الملائكة والشياطين والجان في الأدبين الجاهلي والإسلامي

دراسة مقارنة بين الخرافة في الشعر الجاهلي والحقيقة القرآنية

(فرشتكان، شياطين و جنّ در ادبيات جاهلى و اسلامى: بررسى مقايسه اى ميان أدبيات جاهلى با واقعيت قرآنى)

الأستاذ المشرف: الدكتور سيد محمدرضا الخضري

مساعد المشرف: الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم خليفة الشوشتري

إعداد الباحث: إسلام دبّاغ (الدبّاغ)

٢٤ كانون الثاني ٢٠١٧م - ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ.ق- ٥ بهمن ١٣٩٥ هـ ش

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا

إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

سورة البقرة ٣٢

التقديم

إلى سيّدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) سادة الخلق أجمعين،

إلى رُسل الله الذين آمنتُ بهم ولا أفرّقُ بين أحد منهم،

......

إلى الروح الأمين؛ روح القدس، جبرائيل عظيم الملائكة الذي نزل بالقرآن الكريم،

إلى قرة عيني عزرائيل؛ ملَكُ الموت المكلّف بقبض أرواح العالَمين؛ رِفْقًا بِي!

إلى ميكائيل مَلَك الرحمة المقرّب من ذي العرش العظيم،

إلى الملائكة المقرّبين والجنّ المؤمنين،

......

إلى روح الإمام الشيخ محمد الخالصي الذي علّمني التوحيد الخالص ومعالِم الدين،

إلى روح والدي ومعلّمي ومؤدّبي ومؤنسي بالقرآن ومثبّتي على نهج الحق،

......

إلى والدتي التي أُقبِّل تراب قدَمَيها، إذِ الجَنَّة تحتهما،

إلى جميع أساتذتي لكلّ حرف علَّمونيه،

وإلى كلّ مَن ساعدني في الرسالة،

أهدي جُهدي المتواضع ...

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وامتناني لكل من أعانني في إعداد هذه الرسالة وخاصّة أساتذتي؛ الدكتور السيد محمدرضا الخضري الذي أشرف على الرسالة، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم خليفه الشوشتري مساعد المشرف، وأساتذتي في قسم اللغة العربية بجامعة الشهيد بهشتي بطهران؛ الدكتور عبد العلي فيض الله زاده، والدكتور أبوالفضل رضائي رئيس قسم اللغة العربية، وزوجتي وأُسرتي التي منحتني السكينة ومنحتني وقتها، والى الباحثة مها المرشدي.

كما أتقدم بالشكر إلى؛ مسؤولي مكتبة أمير المؤمنين في النجف الأشرف، ومكتبة جامعة بغداد، ومكتبة الجامعة المستنصرية ببغداد، ومكتبة جامعة مدينة العلم للإمام الخالصي الكبير في الكاظمية المقدسة، ومكتبة جامعة نزوى بسلطنة عمان، ومكتبة جامعة ابن باديس في مدينة مستغانم بجمهورية الجزائر، ومكتبة مجلس الشورى الإسلامي الإيراني بطهران، ومكتبة جامعة الشهيد بهشتي بطهران، ومكتبة جامعة طهران، ومكتبة جامعة العلامة الطباطبائي بطهران، لكل عون ومساعدة قدّموها لي.

الملخص

تناول البحث موضوع الملائكة والشياطين والجان في الأدبين الجاهلي والإسلامي، وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع، في الكشف عن جوانب من الفكر الإنساني في العصر الجاهلي، وما امتزج به من حقيقةٍ وخرافة ووهم، وتصوير جانب من فكر الإنسان العربي قديمًا، ووجود تشابه بينه وبين الأساطير التي انتشرت لدى شعوب العالم القديم، وانعكاساتها في الأدب الجاهلي، وقابلية الشاعر الجاهلي على تجسيد هواجسه وأخيلته في الشعر. هذا من جانب، ومن جانب آخر الإسترشاد بهدي القرآن في هذه الكائنات الثلاثة، من حيث حقيقة وجودها، وكيفية خلقها، ونطاق قدرتها وسلطانها في الكون وعلى الإنسان، وكيف يتعامل الإنسان معها؟ وبحسب متابعة الباحث فانه لم يعثر على كتاب أو بحث يتناول هذه الكائنات الثلاثة سويةً في الأدب الجاهلي والقرآن الكريم. كما جرى الحديث عن علاقة الجنّ بالإنسان، باستعراض ما ورد في الشعر الجاهلي، وتناول شياطين الشعراء وتوابعهم، ثم دراسة ما ورد في القرآن الكريم من إثبات حقيقة وجود الشياطين والجان ومغيبات اخرى من مخلوقات الخير والشرّ، وخلقهم وخُلقهم وحبائلهم ووسوستهم وكيدهم ومكرهم وإغوائهم. وقد حاول الباحث الإجابة على الأسئلة التي تطرح نفسها أو التي طرحها هو في بداية البحث وعرض أهم النتائج التي توصل اليها. أما منهج البحث فهو المنهج التحليلي الوصفي، والتأريخي والتقصّي المكتبي المقارَن.

الكلمات المفتاحية:

القرآن – الملائكة –الشيطان – الجنّ – الأدب الجاهلي – الأدب الإسلامي – الخرافة

فهرس المواضيع

الفصل الثالث

الملائكة في الأدبين الجاهلي والإسلامي

الفصل الرابع

الشياطين في الأدبين الجاهلي والإسلامي

الفصل الخامس

الجِنّ في الأدبين الجاهلي والإسلامي

المباحث العامة والإستنتاج

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)] (فاطر/ ١)، وقال جلّ من قائل: [(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إبليس كانَ مِنَ الجنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً)] (الكهف/ ٥٠).

والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

يعتقد المسلمون إيمانًا يقينيًا بوجود كائنات غيبية تسمى «الملائكة والشياطين والجن» وهي نظرة متأتية من وحي القرآن الكريم. ويعتقد عامة الناس بأن للجنّ والشياطين قوى خارقة وأن باستطاعتها رؤية الناس وإلحاق الأذى بهم. والبعض يعتقد أن أجسام الجنّ غير مرئية وقادرة على التشكل بالشكل الذي تريده، والجنّ له وجود مادي لحياة عاقلة وردَ ذكرهم في الكتب السماوية. والعالم المحسوس الذي نراه ونعيشه فيه الغريب والعجيب فكيف بالعالَم الخفي عن العيون من الغيب الذي احتجب عن ناظرنا، فالنفس البشرية تحب التنقيب والبحث في ما وراء الطبيعة عن عوالم خفية كما دوَّنها الأقدمون وكما وردت في الكتب السماوية.

ومن المؤكَّد بأن الاعتقاد بوجود الملائكة والشياطين والجنّ قديم جدًا، فمفهوم الكائن اللامرئي من المفاهيم التي استقرّت في ضمير اللاوعي الإنساني منذ قرون طويلة، وكانت نتيجتها اختلاط الحقيقة بالخرافة وعدم استطاعة الإنسان من معرفة أسباب الظّواهر التي تحدُث له أو من حوله، مع وجود طبقة من البشر استفادت من تعزيز الخرافات، فكرَّسوها في أذهان النّاس؛ حتى ترسخت كعقيدة يتوارثها الأجيال، ولم تَسلم منها تحريفات الرّسالات السماوية السابقة للإسلام! وتُعرف هذه الأرواح التي لا تراها عيون البشر في الميثولوجيا وتُدرَس ضمن العلم الذي يسمّى

(Demonology)، ويعني باليونانية علم الشياطين، ويبحث في دراسة الشـــياطين وفي المعتقـــدات المتعلقة بها. وقد عرف الإنسان الجاهلي هذه الموجودات وذكرها في حديثه وأشعاره:

قال الشاعر الجاهلي «الملتمس الضبعي»:

أبيـــتُ أهـــوِي في شـــياطينَ تُـــرِنْ   مختلـــفٍ نجـــواهم حـــنٌّ وجِـــنّ

وقال حسان بن ثابت في جاهليته:

ولِي صاحبٌ مـــن بـــني الشيصَـــبان   فطَـــورًا أقـــولُ وطـــورًا هـــوَه

وقال الشنفرى:

ووادٍ بعيـــد العمـــق ضـــنكٍ جماعُـــه   بواطنـــه للجـــنّ والأُســـد مـــألفُ

وسنعرِف كيف أن الدين الإسلامي يفرق بين الملَك والشيطان والجنّ. فالجنّ ليست شـــياطين حسب مفهوم الدين الإسلامي لكن الشياطين هم فئة خاصة من الجنّ تعصي الله وتوسوس للنـــاس. والقرآن الكريم صرّح بوجود مخلوقات خفية لا يراها الإنسان ليثبّت بذلك في ذهن المسلمين ما هو حقيقة عن تلك الموجودات وينفي المزاعم والتخرّصات والأوهام، كي لا يتيه المســـلم في متاهـــات حقيقة لا تُرى بالعين فلا يمكن إثباتها بالإختبارات ولا بالطرق العلمية، الأمر الذي يحـــدو بأخيلـــة البشر الواسعة بأن تتعمّق فيه وتذهب ذات اليمين وذات الشمال.

الفصل الأول

كليات البحث

كليّات البحث

١ - تعريف الموضوع

الأمور الصعبة لا تظهر على حقيقتها للوهلة الأولى، وكلّما تقدّم الإنسان في طريق التعرّف عليها أحسّ بمجموعة معوّقات تكتنفه. ولعلّ من أصعب ما يلقاه الإنسان أحيانًا هو تشعّب السبل. وخلال دراستي تبلورت في ذهني فكرة موضوع الرسالة، فقررت أن أبقر بطون الكتب بحثًا عن أشعار الجاهليين في المغيّبات، فوجدتُها متشعّبة غائرة في أعماق التأريخ.

لقد تكوّنت لدى الطالب فكرة الخوض في هذا البحث كرسالة جامعية – وليس كمقالة أو كتاب– ولفرع اللغة العربية – وليس لفرع العلوم الغريبة أو لفرع العلوم القرآنية– لأن موضوع البحث وهو (الملائكة والشياطين والجنّ في الأدبين الجاهلي والإسلامي) يخصّ الأدب العربي في الصميم، فمن جهة يُعتبر القرآن الكريم قمّة اللغة العربية أولاً، ثم ما ورد في أشعار العرب الجاهليين من ذكرٍ للشياطين والجان والغيلان والعفاريت والسعالي وغيرها وما نسجوه من قصص حولها في أشعارهم، شكّلت جانبًا من الأدب العربي، هذا بالإضافة إلى حالة الرهبة والتقديس التي أولَوها لتلك الموجودات – الحقيقية والوهمية– وخصصوا لها من طقوس مختلفة يرضونها بها أو يتقربون لها أو يطردونها، ومن اولئك العرب الجاهليين من استلهم منها واستقوى بها كما يدّعيه الشعراء من التوابع، هذا كلّه أوّلاً.

والأمر الثاني الذي شجّع الطالب على البحث في هذا الموضوع غرابته، وإن البعض لَيُشَدّ إلى الغريب من العلوم ويَشُدّ إليه رحله! والمؤمَّل منه أن يأتي شيقًا إن وفق الله لذلك وسدد، فالإنسان بطبيعته يحب الجديد.

والأمر الثالث هو إستيناس الطالب بالقرآن الكريم منذ صغره تلاوة واستماعًا، فتكرر على سمعه خلال عقود العمر التي وهبها الله إياه مفردات ومفاهيم قرآنية عن موجودات غيبية، ومغيّبات لا يراها الإنسان وهي فيه أو معه أو قريبة منه. فالرّوح التي يعتزّ بها الجميع ولا أحد يحب أن تفارق جسده ولو للحظة واحدة، إحدى هذه المخلوقات العجيبة التي لا تُرى ولا تُعرف حقيقتها، واختص بعلمها ربنا سبحانه وتعالى فقال وهو أصدق القائلين: [(وَيسْأَلُونَك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)] (الإسراء/ ٨٥)، والمتلقيان الرقيبان؛ معنا ولا نراهما، فكيف لا نؤمن بوجودهما وقد أخبرنا خالقنا عنهما: [(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)] (سورة ق/ ١٧-١٨)، والملائكة الذين يتزلون بالرحمة [(تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كلِّ أَمْرٍ)] (القدر/ ٤) وجنود مقاتلون [(..أَنزلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا..)] (التوبة/٢٦) وشياطين يتنزلون على الأفاكين [(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)] (الشعراء/ ٢٢١-٢٢٢) وجنّ مسخّرين [(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ..)] (النمل/ ١٧) ولطالما قرأ الطالب في بطون الكتب عن الشياطين والجنّ فاستقرّ في نفسه أن يجعلها موضوع بحثه.

٢ - أسئلة البحث

تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع، في الكشف عن جوانب من الفكر الإنساني في العصر الجاهلي، وتصوير جانب من فكر الإنسان العربي قديمًا، ووجود تشابه بين الأساطير التي انتشرت لدى شعوب العالم القديم، وانعكاساتها في الأدب، مع بيان أصل تلك الأساطير والخرافات، وتسعى للإجابة على الأسئلة التالية:

١-٢- ما هي نظرة الإنسان الجاهلي للملائكة والشياطين والجنّ وكيف انعكست صورة الملائكة والشياطين والجنّ في أشعارهم؟

٢-٢- ما هي نظرة الأدب الجاهلي إلى شياطين الشعراء وتوابعهم؟

٣-٢- كيف انعكس الخوف من الجنّ في الشعر الجاهلي؟

٤-٢- ما هو القول الفصل للقرآن الكريم في حقيقة الملائكة والشيطان والجنّ؟

٥-٢- ما هو نطاق قدرة الشياطين والجنّ وسلطاتهم في العالم وعلى العباد؟

٦-٢- ما هي الوصايا القرآنية في كيفية التعامل مع الشياطين والجن، والتغلب عليهم والأمن من شرهم ومكرهم وأحابيلهم؟

٣ - نطاق البحث

ركز الطالب في هذا البحث على أشعار العرب الجاهليين، ووصفهم أو ذكرهم للملائكة والشياطين والجنّ وما تفرّع عنها لأنها الأكثر توغلاً في حياكة الخرافة والأساطير. ولما كانت هذه الموجودات وغيرها قد وردت على لسان العرب وخاصة في أشعارهم ولكن بصفات مختلفة كان

لزامًا أن نبحث عنها في الشعر العربي، ومن دواوين الشعراء أو ما نقلته المصادر عنهم.

ثم تقصّى ما ورد في القرآن الكريم من آيات حول الملائكة والشياطين والجان، ليصل إلى وجوه الإشتراك والتباين، وليعرف القارئ ما هي الحقيقة وما هو الخيال.

ورُبَّ سائل يسأل لماذا اقتصرنا على الملائكة والشياطين والجان دون مغيبات اخرى كالروح مثلاً، والجواب إن الملائكة والشياطين والجنّ هم أكثر شيء جدلاً، وأوسع خرافةً بشأنها.

٤ - الفرضيات

ليست الملائكة بنات الله! وليس الشياطين والجنّ كما زعم الجاهليون موجودات تستحق العبادة للأمن من شرها واستجلاب خيرها، ولا كائنات مطلقة القدرة سُلّطت على البشر لتذيقه البأس والفقر والجوع والعناء والشقاء والسقم والضراء إن خالفها، وتجعله مِلِكًا سعيدًا غنيًا مرفهًا متنعمًا إن أرضاها وتصالح معها ولم يُخِفْها أو يستفزها، ولا هي مخلوقات عُلويّة تخترق حُجُب السماوات العُلى دون رقيب، ولا هي مسوخ تتجسد في حيوانات شريرة تضر الإنسان، ولا هي متداخلة تمامًا مع عالم البشر، بل لكل منها عالمه، ولكن قد تُسلط بأمر الله على البشر أو تقترب منه، وقد تُسخّر بأمره تعالى للإنسان كما سُخّرت الجنّ لسليمان بن داود، وإن الجنّ عالم مأمور كما البشر ومُثاب ومعاقَب كما هم [(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ)]. (الذاريات/٥٦)

٥ - أوليات البحث وسابقيته

لإعداد هذا البحث تبرَّك الباحث بالنظر في القرآن الكريم وراجع مجموعة من تفاسيره منها تفسير الطبري والميزان، وللتعمّق في البحث وإغنائه استعان بالمصادر التاريخية للوقوف على أخبار العرب ومعتقداتهم، كالأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والحيوان للجاحظ، والحيوان للدميري. ثم عمد إلى دواوين الشعراء الجاهليين، ثم معاجم اللغة وباقي المصادر التي تطرقت إلى البحث حول الشياطين والجنّ والخرافات الجاهلية ومعتقداتها والأساطير.

وخلال التقصّي إطلع الباحث على بعض الكتب في مجال الملائكة والجن، فوجد أن الكتب والبحوث التي وقعت بين يديه قبل إعداد الرسالة قد أخذت بجانب من هذا الموضوع فإمّا أنها أخذت بالجانب الأدبي منه، أو الإسلامي، وإما بحثت حول كائن من هذه الكائنات، الأمر الذي أراد الباحث أن يُتَوِّجَه بالبحث حول هذه الكائنات الثلاثة؛ الملائكة والشياطين والجنّ مجتمعة وأن يعقد مقارنة بين ما ورد في الأدب وتحديدًا الأدب العربي – الجاهلي وبين ما بيّنه القرآن المبين،

[(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كلِّ مَثَلٍ)] (الإسراء/ ٨٩).

٦ - أهداف البحث

ليس القصد من وراء هذا البحث ترسيخ الخرافات أو الأساطير أو إجترارها. بالعكس؛ بـل الهدف منه، تعريف الإنسان المعاصر بما إعتقده الأقدمون ومن ثم تصفية ذهنه من الشوائب والزيادات أو المُماحكات الدخيلة، وإعادة الموضوع إلى العذرية الأصيلة. ومن المتوقَّع – بإذنه تعالى – أن يتمتع الموضوع بقيمة أدبية معرفية من المؤمل أن تكشف عن بعض المغالطات والمماحكات حول الجن. وسيتم تطعيم البحث بإلقاء نظرة – وإن عابرة–إلى الأساطير العالمية.

٧ - منهج البحث

وستعتمد الدراسة – قدر المستطاع– على المنهج التحليلي الوصفي، والتأريخي والتقصّي المكتبي. والجديد في البحث إنه سينظر من زاوية خاصة تقارن الرؤية القرآنية والأفكار الجاهلية.

ولا يخفى على المتتبع وعورة هذا الوادي وأنه مليء بالجنّ!! (بمعنى ما خفي وجنّ) واستدعى الحصول على بعض المصادر السفر إلى بعض البلدان العربية، للإستزادة من المصادر بالإضافة الى ما وجدتُه في المكتبات الإيرانية من مصادر البحث. فحالفني الحظّ في السفر إلى العراق وعمان و الجزائر، فاستجمعت من مكتباها مصادر متنوعة.

وبالرغم من ثقل عبء هذا الحمل إلاّ أنَّ الأمل يراودني ببركة القرآن الكريم الذي خصصنا جزءًا من البحث للنظر فيه والإستنارة به وبالاستلهام من آياته وهو القائل [(وَأَن لَّيسَ لِلإنسان إلا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)] (النجم/ ٣٩ – ٤٠)، وبمساعدة الأساتذة الكرام وخاصة الأستاذ المرشد والأستاذ المساعد ومَن أخذَ على عاتقه مساعدتي في هذا الطريق والأخذ بيدي للوصول إلى المبتغى كما يأخذ الأب بيد طفله.

ومن الله أستمدّ العون والتوفيق

الفصل الثاني

إطلالة على التراث الإنساني

إطلالة على التراث الإنساني

نظرة عامة حول العرب والمغيّبات

يتوارث الأجيال الفكر والعقل الإجتماعي، ويتأثرون بمن حولهم ويؤثّرون فيهم، وليس العرب مستثنون من ذلك، فقد آمنوا بمعتقدات ومارسوا طقوسًا روحيّة. انحرفت أحيانًا عن مسير الهداية الإلهية، ووصلت بهم إلى عبادة الأوثان والجن، والإعتقاد بقواهم الخارقة. وأصبحت الأصنام التي كانوا يعبدونها إفكًا، تُعبد لتقرّبهم إلى الله زلفى!. ثم تعاملوا مع القوى الخفيّة بذُلّ بعد أن نسبوا اليها خارق القدرة، استرضاءً لها ودرءًا لشرها وفسادها. وقسّموا هذا الولاء بين الملائكة والجنّ والشياطين، فقريش «عبدت الملائكة بدعوى أنها بنات الله»[1] التي وُلِدن من سُراة الجن. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: [(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الجنّ أَكثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ)] (سورة سبأ/٤٠-٤١).

وقد ورد في المصادر العربية أسماء بعض القبائل التي عبدت الجنّ، وتَسمّى بها البعض مثل عمرو بن عبد الجنّ بن عائد وغيرهم.[2] وقد عبد العرب اللات والعُزى ومناة واعتقدوا بوجود شيطانة في كل منها تكلمهم، وادّعوا بأنهم كانوا يسمعون من أجواف الأصنام همهمة. وعبدوا «قُزاح» الذي ذكر الحموي «إنه اسم للشيطان، وهو الموضع الذي كانت توقد فيه نيران الإستمطار في الجاهلية»[3]. وكان أبو لهب يحذّر العرب من دعوة الرسول صلى الله عليه وآله فيقول: «إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعُزّى ومناة من أعناقكم وحلفائكم من الجن..»[4]. ولم يكن بامكان الجميع التواصل مع الجنّ والشياطين، واختصّ بذلك الكهنة والعرّافون، فكانوا يلجأون اليهم لاستجلاب الخير ودفع الشر أو إنزاله على أعدائهم.

---

١ – زيتوني، عبد الغني: الوثنية في الأدب الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٧م، ص١٤٩.

٢ – عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط١، دار الفارابي بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج٢، ص١٢.

٣ – الحموي، شهاب الدين ياقوت: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م، ج٤، ص٣٤١.

٤ – ابن هشام، عبدالملك: السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٩، ج٢، ص٦٢.

وأما تطيّرهم –أي تشاؤمهم أو تفاؤلهم– فناشيء عن اعتقادهم بتلبُّس الأرواح بعد المـــوت في الطيور فتفاءلوا بها أو تشاءموا، وحددوا جهة اليسار (الشمال) للتشاؤم لأنها نافذة تطلّ منها الجـــنّ والشياطين[1]. واعتقدوا أن الغربان رسل إبليس أو أنه يظهر على هيئة غراب.

وعندما أرادوا تفسير الإبداع الشعري، فسّروه على إنّه إلهام عُلْويّ، ثم أصبح إلهام شيطاني أو جنّي لأن الجنّ متفوّقون على الإنس، ويجيدون نظم الشعر، وخاصة نظرًا لوجود الترابط بين الشعر والغناء والعزف التي نُسبت إلى الجن.

وذكروا قصصًا أيضًا عن تزاوج وتناسل الجنّ مع الإنس، والإنس مع الجـــن، فقـــد تعـــرِض الجنيات لرجال الإنس تعشّقًا أو طلبًا للسَفاد، وكذلك رجال الجنّ قد يعرضون للآدميات. ومـــن ذلك جاء انتساب بعض القبائل للجنّ مثل بني مالك وبني الشيصبان وبـــني الســـعلاة. وروي أن «عمرو بن يربوع تزوّج الغول وأولدها بنين وبنات، ومكثت عنده دهرًا..» ومرة لمع البرق فطارت من عنده وعادت إلى قومها[2].

ومما يعرض للإنسان من الجنّ والشياطين بزعمهم، أنواع الأمراض، والجنون الـــذي يحـــدث بسبب دخول الجنّ أو الشيطان إلى جسد الإنسان، فلا يصحّ المجنون إلا بإخراج الجنّ من جســـده، والطاعون وخز الشيطان ورماح الجن، وأن اللقوة والتشنّج هي لطمة الشيطان، ويقال للمصاب بها «لطيم الشيطان»[3]. وقد يصيب الإنسان عين الجنّ فيصبح مسفوعًا؛ أي مصابًا بالعين.

ومن ذلك نخلص إلى ان العربي – ولا نعني به كل العرب – قد استسلموا للفكر الأســـطوري في الكثير من مناحي حياتهم، حتى إنهم إتهموا النبي العظيم بأنه جاء بالأساطير؛ [(وَقَـــالُوا أســـاطير الاوَّلِينَ اكتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكرَةً وَأَصِيلاً)] (الفرقان/ ٥)، وقد ترسّـــخت في نفوســـهم وهـــم محاطون في حياة ملؤها التناقضات، فاما الجفاف الجارح وأما السيول الجارفة، وأما الجبال الشاهقة، أو المفاوز الشاسعة، وأعداء يغيلونهم ليلاً فلا يُدرى أبشرًا كانوا أم غيلانًا.

ويروي الشاعر الجاهلي «جذع بن سنان الغساني» قصة أثبت من خلالها أن الجـــنّ يـــأكلون الطعام ويشربون الشراب، حيث ورد قوم منهم ضيوفًا عليه فأكرمهم ونحر لهم، ودعاهم إلى طعامه فترددوا في الإجابة. وقال في ذلك:

---

١ – الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص٢٠١.

٢ – الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ج٦، ص٢١٧–٢١٨.

٣ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص١٧٨.

نَحرتُ لُهم وقلـــتُ: ألا هَلمّـــوا كُلوا مما طهَيـــتُ لكُـــم سَـــماحا

فَنازَعني الزُّجاجــةَ بعـــدَ وهْـــنٍ مَزَجتُ لهم بها عَسَـــلاً وراحـــا[1]

إذن دعاهم إلى طعامه، ونازعوه أي عاقروه كأس الراح والعسل. في حين ينفـــي «شمـــير بـــن الحارث الضبي» عنهم صفة الأكل باعتراف جنّي، فهو يدعو ضيفه الجنّي إلى الطعام، ولكنه يرفض هذه المرّة لأن الإنس يأكلون والجنّ لا يأكلون. يقول الشاعر:

فقلتُ إلى الطعامِ، فقـــالَ مِنـــهُم زعيمٌ نَحسـِــدُ الإنـــسَ الطعامَـــا

لقـــد فُضّـــلتُم بالأكـــلِ فينـــا ولكـــنْ ذاكَ يَعقُـــبُكم سِـــقاما

أمِطْ عنّـــا الطعـــامَ فـــانَّ فيـــهِ لآكِلِـــهِ النَقاصـــةَ والسَّـــقاما[2]

الصلة بين الأدب والبحوث النفسية

الصلة بين البحوث النفسية والعلوم الأدبية قديمة قِدم هذه العلوم في جميع أطوارها، فالأدب فن رفيع مصدره النفس الإنسانية، فالمسائل النفسية تتدخل في قواعد البلاغة، «وفي ظل الإسلام ارتقى الفكر الإسلامي، وتقدمت البحوث العلمية، وكان للمعتزلة نشاط ملحوظ في محاربـــة الخرافـــات والأساطير وردّ الامور إلى أسبابها العقلية، وقد أثّر ذلك على سلطان الجـــنّ والشـــياطين فضـــعف نفوذهم، وتقلّصت دولتهم، وخضعت هذه الظاهرة لتفسير علمي يردّها إلى الطبيعة البشرية».[3]

تعريف ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)

أُطلق على المغيبات إسم «ما وراء الطبيعة» أو «الميتافيزيقيا» ووضعوا له تعريفًا كالآتي: «العلم الذي أوجدته البشرية لدراسة الكون وظواهره يُدعى بـــ «علم الطبيعة» **Physics** ولأن (أندرو نيقوس الرودسي) الذي جمع رسائل أرسطو في القرن الأول قبل المسيح (ع) وضع بحث الفلســـفة الأولى بعد علم الطبيعة في ترتيب هذه الرسائل، فقد أطلق مصطلح مابعد الطبيعة أو ما وراء الطبيعة

---

١ – الآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٢، ص٣٥٢.

٢ – الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٤٨٢.

٣ – حميدة، عبدالرزاق، شياطين الشعراء، دراسة تاريخية مقارنة تستعين بعلم النفس، مكتبـــة الانجلوالمصـــرية، القـــاهرة، (د.ت)، ص(ب).

Metaphysice على مقالات ارسطو المخصوصة بالفلسفة الأولى»[1]. «ويعدّ قول جـابر بـن حيان الكوفي (ت٢٠٠هـ) «مابعد الطبيعة» أول إشارة عربية معروفة لترجمة المصطلح اليوناني Metaphysice»[2].

وبعبارة أخرى «العلم بالموجود بما هو موجود» عند الفارابي (ت٣٣٩هـ)، أو «العلم الإلهي» عند ابن سينا (٤٢٨هـ)، أو النظر في الموجود بما هو موجود» عند ابن رشـد (ت ٥٢٠هـ) وكلها تعريفات تشير إلى أن الفكر الإسلامي كان ينظر إلى ما وراء الطبيعة على أنه درس لا يتعدى حدّ العلوم الإلهية»[3].

أما المصطلح الإسلامي له، فهو «عالَم الغيب» فكل ما لا يخضع للحواس ولكنه موجود فعلاً فهو غيب، وهو عكس «عالَم الشهود». الذي هو كل ما ندركه بحواسنا الخَمس. والموجودات في عالَم الشهود تثبت بالوجدان أي من خلال إدراكها باحدى الحواس، في حين أن الموجودات في عالَم الغيب لا تثبت إلا من خلال الدليل والبرهان. والغيب عالَم واسع لا يعلم مداه وحقيقته إلا الله، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نتعرّف عليه إلا من خلال الوحي[4]. قال الله تعالى يصف المؤمنين: [(ذَلِك الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ..)] (البقرة/ ٢-٣).

وإن وجود الملائكة والعالَم الروحاني ثابت كثبوت وجود الإنسان، وان الحكمة تقتضي قطعًا، والحكمة تستدعي يقينًا وجودهم؛ «فلم يُنكر معنى الملائكة حتى المشاؤون من الفلاسفة والإشراقيون الذين أغلوا في الماديات، إذ عبّروا عن معنى الملائكة بقولهم: أن هناك ماهيّة مجردة وروحية لكل نوع، والآخرون من الإشراقيين عندما اضطروا لقبول معنى الملائكة أطلقوا عليها خطًا «العقول العشرة وأرباب الأنواع»... إن مسألة ثبوت الملائكة والعالَم الروحاني من المسائل التي تنطبق عليها القاعدة المنطقية «يُدرَك تحقق الكلّ بثبوت جزء واحد» أي أنه برؤية شخص واحد للملائكة يُعرَف وجود النوع عامّة»[5].

---

١ – صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتيية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٠٠.

٢ – الأعسم، عبدالأمير، المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٧٩.

٣ – صليبا، نفس المصدر.

٤ – النصراوي، حسين: الملائكة في التراث الإسلامي، دراسة تحليلية، ط١، العتبة الحسينية، كربلاء ٢٠١٢م، ص١٣-١٥.

٥ – النوري بديع الزمان، سعيد، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار النيل، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٦ و ١٩.

اعتقاد الفلاسفة بالخلق الروحاني

اعتقد الفلاسفة القدامى والحكماء بأن السماء وما فوقها مسكونة بخلق روحاني من غير معدن المادة، وكانوا يعتقدون بأن للأفلاك نفس (روح) وعقل وشعور وإدراك. فيما كان بعض الفلاسفة يعتقدون بأن كل كائن له نفس عامة تنظّم نوعه وتدبّره، كنفس الإنسان الذاتية، حيث لكل شخص نفس ذاتية تمنحه الحياة والعقل والتدبير. ومن جهة أخرى يعتقد العلماء المعاصرون من الفلكيين وغيرهم بأن للكون قوى منظّمة موجودة، وإن نظم العالَم إنّما يتأتى من تلك القوى كالجاذبة العامة بين الأجرام السماوية والتي تحفظ نظم تلك الأجرام، أو كالتجاذب والتنافر الطبيعي الموجود بين ذرات الأجسام، بل والمشهودة حتى في الذرة الواحدة من سالب وموجَب الموجودان بين جزئيها (النترون والألكترون)، وإن التركيب والتحليل الكيمياوي في جميع الأجسام يعود إلى التنافر والتجاذب، أو السالب والموجب الموجودين بين ذرات الأجسام. واختلف العلماء المعاصرون، هل تمتلك هذه القوى إختيارًا وشعورًا وإدراكًا أم لا؟. ويذهب العلماء المعاصرون إلى وجود العقل والشعور والإدراك في جميع تلك القوى بدليل وجود النظم المشهود في أدائها بالإضافة إلى أدلة أخرى[1].

---

١ – الخالصي، محمد، معراج حضرت خير الأنام آئينه اسلام، مطبعه كلبهار، اصفهان، ١٣٥٠هـ، ص٧٣.

محطات الماورائيات في الوعي البشري

وبعد هذا الإستعراض السريع، سنتدرج في سير الماورائيات في الوعي البشري.

السومريّون

يُعتبر السومريّون – الذين سكنوا بلاد الرافدين– من الأمم الغابرة التي أقرّت بالغيبيات وبأن «الكون مليء بالعفاريت الطيّبة والخبيثة، وصوّروها وحوشًا مخيفة، أو كائنات مركّبة أو أشباحًا كأرواح الموتى، منها ما يخفى ولا يظهر لأحد، ومنها ما يخفى على أناس، ويظهر لآخرين بالرُّقى والعزائم، ومنها ما يتلبس في جسم الإنسان»[1] واعتقد البعض بأنها تصدر من شياطين طيّبين [!] ينتمون لأصل سماوي، وهم أبناء الآلهة[2][!]. واعتقدوا بشيطانة سمّوها «ليليث» اعتبروها إلهة الظلام ورمز الشرّ والعداء وسيّدة السحر الأسود، صوّروها، على شكل امرأة جميلة الجسد مكتنزة الصدر مجنّحة تمسك بالعصا والصولجان وتجثو عند رجلها لَبوَتان[3]. وهناك «الأوتوكو» وهم سبعة شياطين أشرار، يعيشون في الصحاري والجبال، يُنسب اليهم السحر الأسود والأمراض والتشنّجات والصرع، قساة لا رحمة لهم، أعداء للآلهة قطّاعون للطرق[4]. وأضافوا اليها أرواح الموتى صوّروها بصور مختلفة كالوحوش المخيفة أو الحيوانات المركّبة[5]. واعتقدوا أيضا بشياطين غير شرورة مثل «ألاد» تُنبِؤهم بالمغيّبات ومعرفة الفأل وتفسير الأحلام ورؤية الطالع[6].

ولطرد العفاريت مارس السومريون الكهانة، ولردّ أذى الموجودات الشريرة لجؤوا إلى التمائم، ومن تمائمهم صور لموجودات وُجدت في رسومهم، منها وحش برأس أسد وجسد امرأة[7].

---

١ – النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٢٦.
٢ – الماجدي، خزعل: متون سومر، ط١، دار الكتاب الأول و منشورات الأهلية، عمان، ١٩٩٨م، ص١٣٥.
٣ – الماجدي، خزعل: بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، ط١، منشورات الأهلية، عمان، ١٩٩٨م، ص٢٠٧.
٤ – الماجدي، بخور الآلهة، ص٢١٥.
٥ – الماجدي، متون سومر، ص٣٤٢–٣٤٣.
٦ – الماجدي، خزعل: أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧، ص٦١.
٧ – الأحمد، سامي سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ١٩٧٥م، ص٦٢.

البابليون

أما بالنسبة للبابليين وهم أقوام سكنوا بابل في بلاد الرافدين، فقد ورثوا مخلّفات السومريين في المجالات الروحية بحيث يصعب التمييز بينهما، ولا عجب فالقوم أبناء القوم ويرث الأبناءُ الآباء، ويبدو اعتقادهم بوجود علاقة بين الشياطين والريح، لأنهم كانوا يسمّون هبوب الريح الجنوبية «أولوجن» والشرقية «كورجن» والغربية «مارجن» والشمالية «سجن»[1].

الآشوريون

ولم يبتعد الآشوريون الذين عاشوا في بلاد الرافدين أيضًا عمن سبقهم من حيث اعتقاد الكائنات المجنّحة المخيفة، عجيبة الخلقة تسكن الأماكن المهجورة والمظلمة والخرائب والمقابر، أو بأجسام بشرية ورؤوس حيوانية[2]. هي سبب العدوى ونقل الأمراض، ورأوا مسبب ذلك «أجسام غير منظورة، تدخل الجسم مع الهواء عن طريق النفَس، وعن طريق الجهاز الهضمي كالفيروسات»[3] التي أثبت العلم الحديث وجودها.

الحثّيون

وشيئًا فشيئًا تدهورت هذه الإعتقادات وتراكمت الأوهام، فاعتقد الحثّيّون – وهم قوم آخرون استوطنوا بلاد الرافدين– «بوجود الشياطين والأرواح الشريرة التي تكون مستعدة لاستغلال فرصة غفلة الإله، كي تعيث فسادًا»[4] واعتقد الكلدانيون أن الجنّ آلهة، فأخذوا يضحّون لها ويتوسلون إلى رئيس الجنّ بوسائل مختلفة ويقرأون التعاويذ ضد آلهة المرض والشياطين والأشباح[5]. وهذا ما سنشاهده لدى عرب الجزيرة العربية.

---

١ – الماجدي، خزعل: المعتقدات الآرامية، ط١، دارالشروق، عمان، ٢٠٠٠، ص١١١.

٢ – عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط١، دار الكلمة للنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص٦٣.

٣ – الماجدي، بخور الآلهة، ص١٧٠.

٤ – الماجدي، أساطير التوراة الكبرى، ص١٤٥.

٥ – عبدالحكيم، شوقي، مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨، ص١٤٠.

ومن ألغاز بلاد الرافدين لغز عشتار؛ سيدة الأسرار. مَن يجرؤ على هتك سرّها حلّت عليه لعنتها المقيمة[1]. وهي شبيهة بالحية التي اعتقد الإنسان القديم بأنها لا تموت ولكنها تجدد حياتها بتجديد جلدها، ومن هنا جاء اسم الأفعى في اللغة العربية على أنها «الحيّة»، وللتعبير على صِلة عشتار بالحيّة وصفت على أنَّ جسدها مغطّى بحراشف الأفعى. وفي عصر الكتابة اللاحقة، ظهرت عشتار كسيدة للحيوانات في جميع الثقافات[2]. وفيما بعد تسللت سيده الحُب إلى كتاب التوراة العبرانية وشغلت سفرًا كاملاً من أسفاره وهو نشيد الإنشاد المنسوب للملِك سليمان[3]. وعليه نقرأ في سفر الخروج: «وأتى عماليق وحارب اسرائيل رفديم. فقال موسى ليشوع: انتخب لنا رجالاً واخرُج حارب العماليق. وغدًا أقفُ أنا على رأس تلّة وعصا الربّ في يدي. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق. وأما موسى وهارون وحور، فصعدوا على رأس التلّة، وكان إذا رفع موسى يده إن اسرائيل يغلب، وإذا خفض يده إن عماليق يغلب، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين، أخذا حجرًا ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وموسى وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس، فهُزم عماليق وقومه بحدّ السيف»[4]. وعشتار الهة الحب والجمال وهي ذكر في الصباح يُشرف على الحروب والمذابح، وانثى في الليل ترعى الحب والشهوة[5]. «.. إن اختراع الآلهة في تلك العصور، هو رمز واضح للتعبير عن مكنونات النفس البشرية وأمنيات الإنسان وأحلامه.. والإضطرار إلى الرمز يكون بفعل التقديس حينما يكون المقصود إلهًا أو ربًّا أو ملَكًا، والتهيّب والحبّ حينما يكون المقصود صديقًا أورفيقًا، والخوف أو التخوّف حينما يكون المقصود ذا سيطرة نافذة وبطش قاسٍ ليحلّ محل الإله أو الرب»[6].

«فالريح تعبير عن قدرة غامضة، أو قُل هو إله من الآلهة العظام التي يتعبّدها الإنسان البابلي

---

١ – السوّاح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٢، ص٢٩.

٢ – السوّاح، ص١٣٥–١٣٦ و ١٤٥.

٣ – السوّاح، ص١٩٤.

٤ – السفر القديم، سِفر الخروج، الإصحاح ١٧: ٨–١٣. نقلا عن: السوّاح، ص٢٥٩–٢٦٠.

٥ – حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٢٧.

٦ – بريتشارد، جامس ب.(James B. Pritchard): أساطير بابلية (The Ancient Near East)، ترجمة سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٧٢م، ص٣٤–٣٥.

ويخافها.. كما أنها ظلّت في الشعر الأدبي دليلاً على الطغيان والقسوة والعتو»[1].

اليونانيون

وقد آمن اليونانيون كذلك بوجود أرواح شريرة تسمى **(Alstores)** تتولى أعمال الشيطان وهي كائنات مستترة ذات طبيعة غير معروفة جاءت من العالم الآخر، لها تأثير حسن أو شرير على البشر. وأضفوا على بعض آلهتهم صفات شيطانية ودنّسوها بالرذائل كالإله «زيوس» الشيطان النَّهم الأكول الطمّاع[2]. أما «السيرينيات» فهي تمثل نوعًا من الجنّيات اللواتي يرمزن للغواية والضلال والغريزة الجنسية والقتل، فهنّ متعطّشات للدماء ويقطنّ جزيرة سيرين، فيظهرن بهيئة نساء برأس آدمي وجسد طائر، أو نصف إنسان ونصف سمكة، صوتهنّ عذب جميل وغناؤهن ساحر، يجتذبن السفن ويوقعن الرجال في المصير الأسود[3]!. وهي ثقافة متفشّية لدى أغلب الأمم حيث يتصورهنّ العامة فاتنات يمشطن شعورهن، قد يعشقن الإنسان فيخبرنه بالمستقبل وقد يخدعنه فيأخذنه إلى ظلمات البحر[4]. والساتير **(Satyr)** عدّهم اليونانيون آلهة الأنواع، كالماء والمزارع والغابات والحيوانات والرعاة، وهم حسب ما تصورهم الأساطير اليونانية لهم معالم من العتر، فنصفهم الأعلى إنسان له قرن والأسفل عتر، وهي موجودات محتالة ولكنها جبانه وأيضًا خجولة.

وللتواصل مع هذه الموجودات أو الأمن من بأسها لجأ اليونانيون إلى الكهانة والعرافة، فكان من أشهر كهنتهم «أبولو» إله الشمس الذي يُخبر بالمغيّبات[5]. وبالتدريج يُصبح العراف والكاهن أنفسهما إلهًا، ليكون بعدها الشيطان ليس شيطان شرّ ورذيلة، بل شيطان خير ورحمة[6]!!. فاختلط الحابل بالنابل، شياطين وجنّ ومردة وكهنة ثم عالَم عُلوي وسفلي ثم آلهة..الخ.

التعريف الأوربي للأدب

غالى الأوربيون في مرتبة الشعراء وإلهامهم ومراتبهم، فجعلوهم في مرتبة الأنبياء وصنفوا

---

١ – بريتشارد، ص٣٦.

٢ – البنعلي، يوسف، عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٦.

٣ – السوّاح، ص٢٢٥.

٤ – مقال: موجودات افسانه اي، هيولا، ديو و بري (باللغة الفارسية) (الموجودات الخيالية، المردة والعفاريت والملاك) http://ashwood.ir/

٥ – حميدة، ص٨٢.

٦ – صالح، حليمة خالد رشيد، الجنّ في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية مقدمة لجامعة النجاح الوطنية بنابلس في فلسطين، ٢٠٠٥م، ص٢٦.

كلامهم في خانة التشريع فللأدب عند الفرنجة «طبيعة النبوة، وهو مقدّس سماوي، وحقيقة أزلية، وهو سجل لأعقل إنسان وأرقاه، ويوغل «شيللي» في دفاعه عن الشعر، ان الشعر سجل لأفضل اللحظات وأمتعها، لخير العقول وأفضلها، وانه حقيقة مقدسة سماوية، وهو مركز المعرفة ومحيطها، يفهم كل العلوم، واليه يجب أن ترجع كلّها... إن الشعراء ليسوا محدثي اللغة ومبتدعي الموسيقى والرقص والبناء والنحت والتصوير فحسب، بل هم واضعو الشرائع، ومؤسسو المدنيات، ومخترعو فنون الحياة، وهم الأساتذة الذين يصلون ما بين الجمال والحق وبين عوامل هذا العالم المستتر الذي يُدعى الدين... وقد كان الشعراء في العصور الأولى مشرّعين، أو أنبياء حسب ظروف العصر الذي ظهروا فيه، والأمة التي نبغوا منها»[1]. وبرأيهم فالأدب الحقيقي «يتغلغل في القيم الروحية، يمجّدها ويُنشدها، ليرفع النفس البشرية إلى المثل العليا، والشاعر الحقيقي يقف متأملاً في الكون، وفي النفس الإنسانية. ومن أساطير اليونان أن الشاعر اورفيوس (**Orpheus**) استطاع أن يحرّك الجماد بقوة أشعاره، وسحر غنائه»[2].

وتأثّر الهنود باليونانيين، ففسروا الموهبة الإبداعية بأن «براهما» وزوجته «سارسواتي» هما إلهي الشعر والحكمة والخطابة والفن الجميل[3].

وتابع الإفرنج في غلوّهم وغيّهم في الشعراء بعض الأدباء العرب الذين استلهموا من الغرب ثقافتهم. فالشاعر في نظر ميخائيل نعيمة «نبيّ وفيلسوف، ومصور وموسيقي وكاهن. نبي لأنه يرى بعينه الروحية ما لايراه كل بشر... كاهن لأنه يخدم إلهًا هو الحقيقة والجمال»[4].

المصريون

أما المصريون فقد عدّوا هذه الأرواح، أشباح الآلهة المندثرة، وربطوها بإله الشرّ والظلام الذي يُدعى «ست أوستان»، ممثل إله الأرواح الخبيثة، وملَك الموت والدمار، مقابل إله الخير والنور. و«ست» قدّسه المصريون إتقاء شرّه، عبادة خوف، وصوّروه أحيانًا في معابدهم على هيئة حمار[5].

ولّما كانت الأفاعي تكثر في أرض مصر، وتباغتهم وحيواناهم باللسع وهديهم الموت، وخاصة

---

١ – ملحس، ثريا عبدالفتاح، أدب الروح عند العرب، رسالة ماجستير في الأدب مقدّمة إلى كلية الآداب في الجامعة الامريكية، أيار ١٩٥١م. ص١٧ و ١٨. نقلا عن: Shelley- Defence of Petry, PP:71, 101, 103. 104

٢ – ملحس، ص١٧.

٣ – المعطاني، عبد الله سالم، قضايا شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي، مجلة فصول، السنة الرابعة، العدد ٢، ١٩٨٤، ص١٤.

٤ – نعيمة، ميخائيل، الغربال، مصر، ١٩٤٦م، دار المعارف، ص٧٣ و ٧٤.

٥ – البنعلي، ص١٨.

في ظلمات الليل، فقد عدّها المصريون نوعًا من الجنّ يتشكل بشكل الأفعى، فلجأوا إلى التعزيم للوقاية من سمّها تارةً، وجعلوها رمزًا للقوة تارة أخرى[1]. وتطالعنا في القرآن الكريم قصة سحرة فرعون الذين سحَروا أعين الناس واسترهبوهم فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. وعلى هذه الشاكلة جاءت الآيات الإلهية على يد موسى عليه السلام [(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ)] (الأعراف/١٠٧ والشعراء/٣٢).

الشيطان الطاووس أو «الطاووس ملَك»

ولم يقتصر الشرك والضلال على عبادة أو تقديس الجنّ، ولكن تعدّاه إلى الشيطان، فـ «فكرة الطاووس ملَك تُعدّ من أهم ميثولوجيا المجتمع الأيزيدي[2] وموروثهم الشعبي... انّ الإيزيدية لا تعتقد بالطوطمية لكونها لم تؤلّه الطوطم الذي يجسده الحيوان أو النبات»[3]. يقول سعيد الديوه جي في كتابه (اليزيدية):

«إنّ الله خلق سبعة آلهة تعاقبوا على إدارة العالَم، وأن رئيسهم المتسلط اليوم في إدارة العالَم طاؤوس ملَك، وأما الآلهة السبعة فهم على ما نرى، مشائخهم الذين أخلصوا في مجتمعهم وغالَوا فيهم حتى أدى بهم الأمر إلى عبادتهم»[4]. «والأيزيدية حين اعتبرت تمثال [طائر] الطاووس البدائي الذي يحترمونه ويكنّون له التقدير والإجلال تعبيرًا رمزيًا لطاووس ملك، فانها لم تكن أول ملّة أو ديانة تختار الرمزية..»[5].

العقائد اليهودية

وبالنسبة للعقائد اليهودية بالمغيّبات، فيرى البعض بأن اليهود تأثروا بالزرادشتية ومهدها؛ بلاد فارس، وأخذوا كل تصورات الفرس ومعتقداتهم عن الملائكة والشياطين والجنّ بمعالمها وأسمائها

---

١ – عياش، عبدالقادر، الحيّة في حياتنا وتراثنا، دير الزور، سوريا، ١٩٦٨م، ص٤٧–٤٨.

٢ – الايزيدية هي طائفة من الأكراد نشأت بعد انهيار الدولة الأموية، ويقطن أكثرهم الشمال الشرقي في الموصل ونواحي دمشق وبغداد وحلب، ومنهم طوائف في اوران الروسية وايران، ولهم كتابان أحدهما يُسمى (الجلوة) والثاني يُسمى (مصحف رش) أي الكتاب الأسود.، ص٨.

٣ – عبود، زهير كاظم، طاؤوس ملك، رئيس الملائكة عند الإيزيدية، بيروت ٢٠٠٨م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ص١١.

٤ – الديوه جي، سعيد، اليزيدية، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل ١٩٧٣م، ص١١٩.

٥ – عبود، ص٥٥.

الفارسية. ويبدو ذلك من إطلاق لفظ الشيطان وإبليس على إله الشرّ، ثم ما لبث أن تطورت لفظة Diabolos لتصب علَمًا على إله الشرّ وملَك الموت أو زعيم الهاوية[1]. إضافة إلى تـأثر الفكـر اليهودي بالفكر البابلي والتشابه بين «عزازيل» اليهود بإله الهلال البـابلي (سـين) وتـأثر الـنبي «حزقيال» في وصفه للكرّوبيين بما رآه إبّان الأسر البابلي[2].

في حين جاءت كلمة الجنّ عند العبرانيين بمعنى كائنات وسطى بين الملائكـة والبشـر، ذوات أجنحة، تقطع الأرض من أعلاها إلى أسفلها في لمح البصر، وفيها الجنّ الطيارة، ومنـها مـا يشـبه الملائكة أو الناس أو الحيوانات وتتشكل في صور القطط والكلاب. وإن الشيطان مهما يكن خدّاعًا فانه لن ينال من ايمان المؤمن، كما هُزم الشيطان «بليعال» أمام النبي أيوب عليه السلام[3]. واعتقـد اليهود بالعفاريت أيضًا، منها العفريت «شديم» الذي كان يُضحّى له بالأطفـال، وورد ذكـره في العهد القديم[4]. ومن جانبهم نسب العبرانيون قضية الإبداع الفني إلى الجن[5].

ومع عدم وضوح رؤية الشيطان في اليهودية ذلك الكائن الروحي الشرير، إلا أن هذه الصورة بدأت تتضح في الإنجيل، فهو فيها ملَك تردّى بسبب كبريائه وتمرّده على ربه، فتحوّل ومن أيّده من الملائكة إلى شياطين[6]. ومن الشياطين تلك الأرواح الشريرة التي تسبب الأمراض والآلام الجسـدية والعقلية والجنون والشلل والصرع، فهي رُسُل الشيطان وسلطانه[7]. فجاء المسيح ليـنقض أعمـال إبليس «من يفعل الخطيئة فهو من إبليس، لأن إبليس يُخطئ لأجل هذا أُظهر ابن الله، لكي يـنقض أعمال إبليس»[8]. وأما شكله فهو نفسه، إنسان مكسوّ بشعر الماعز وله ساق تيس وقرنان صـغيران وأُذنان مدببان، وتصاوير أخر[9].

واعتقد الأوربيون أن الأرواح الشريرة تخاف من الديكة، فوضعوا رسومات ومجسمات الديكة فوق الأبراج وشُرفات المنازل. وأن الشياطين والأرواح الشريرة والأشباح والساحرات ومردة الجنّ

---

١ – الجوزو، مصطفى: من الأساطير العربية والخرافات، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م، ط٢، ص٢١.
٢ – القمني، سيد: الأسطورة والتراث، ط٣، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ١٩٩٩م،، ص ٣٧ و ٤٤.
٣ – إبليس، ص٩٥–٩٨.
٤ – نعمة، حسن: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ط١، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م، ص١٤٢.
٥ – صالح، ص٣٧.
٦ – السواح، ص٢٢٥.
٧ – إنجيل متّى، الإصحاح ٩، آية ٣٤.
٨ – رسالة يوحنا الرسول الأولى، الإصحاح ٣، آية ٨.
٩ – السوّاح، ص١٩٠.

والأقزام يتربّصون الناس والقوافل على مفترق الطرق فيؤذوهم ويظلّوهم.

وأخيرًا أعتقد الأفريقيّون بالأرواح الشريرة في الجنّ والشياطين التي تعيش وسط الغابات هدفها السيطرة على الأجناس البشريّة، فتعاملوا معها بالكهانة والسحر والشعوذة.

هجرة بعض الأساطير السومرية إلى الهند

جاء في ملحمة الخليقة وهي ملحمة أكدية والتي تروي اختيار مردوخ رئيسًا للآلهة الشباب:«أجل يا مردوخ إنك المنتقم لنا، منحناك ملكية العالم كلّه، حينما تجلس في المحفل، ستكون كلمتك سامية، وأسلحتك لن تخيب، وهي ستمحق خصومك! أيها الربّ! أبقِ على حياة مَن يثق بك، لكن اسلُب حياة الإله الذي فعل الشر»[1]. وفي إطار تنفيذ صلاحياته «قسَّم مردوخ ربّ الأرباب جميع (الأنوناكي) مَن هُم في الأعلى ومَن هم في الأسفل، عيّنهم لتنفيذ تعليمات (آنو). وضَعَ ثلاثمائة منهم حرَسًا في السماء وحدّدَ طرق الأرض على هذا المثال. وأسكن ستمائة منهم في السماء والأرض..»[2].

وقد ورد أيضًا في قصة «أدابا» وهي الاخرى قصة أكدية: «أرسَى [أدابا] في المرسى المقدّس، مرسى القمر الجديد، عصَفَت عندئذٍ الريح هناك، وجرفت قاربه... في اليم العريض.... عصَفت به ريح الجنوب وأغرقته، جعلته يغوص إلى مواطن الأسماك: ياريح الجنوب... عليَّ كل غضبك... ساكسر جناحَك! وحينما نطقَ بهذا لسانه، انكسرَ جناح ريح الجنوب، ولسبعة أيام لم تعصف ريح الجنوب على الأرض..»[3]. وبسبب ما عُرف عن الهنود من تعدد الديانات والمعتقدات «فقد ازدحم الموروث الفكري الهندي المرافق للنتاجات الملحمية الشعرية بفيض من الأفكار صار صعبًا على الدارس معها الوقوف على خصوصياتها... فـ «الويدا»[4] وُضِعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة: (هو الذي قهر الشياطين في السحاب وأجرى الأقمار السبعة الصافية الكبار واقتحم كهوف الكآبة والأكدار، وأخرج البقرات الجميلة من الأرحام وأضاء النار القديمة من البرق في الغمام ذلك هو اندرا البطل الجسور»[5].

---

١ – بريتشارد، ص٦٠.

٢ – المصدر السابق، ص٧٢.

٣ – المصدر السابق، ص٨٣–٨٤.

٤ – الويدا: كتاب الهندوس المقدس، يرجع تأليفه إلى ٣٠٠٠ ق.م. تشمل ١٠١٧ انشودة دينية تغنى بالآلهة وصيانة النار المقدسة.

٥ – شلبي، د. أحمد، أديان الهند الكبرى، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤١.

أما الإيرانيون فقد آمنوا بوجود أرواح وقوى خفية منها ما هو نافع، وهو إله النـــور والخـــير «هرمز» ومنها ما هو ضارّ. واللافت للنظر في المعتقدات الفارسية أن ذكور الجنّ شـــرار ويســـمى واحدهم (ديف/ ديو)، وإناثهم ملاك وحوريّات وتسمى واحدهن «بري» كما صورهما الملحمـــة الفارسية (الشاهنامه). وأن ملوكهم شنوا حروبًا مع الشياطين، فالملك «هوشنك» طرد الشياطين إلى الجبال والصحاري وأراح البشر منهم[1]. وبعد أن أذلّهم حكم عليهم بالأعمال الشاقة، وعلّقهم بين السماء والأرض بأن علّق في أعنافهم أحجار الطواحين الكبيرة[2].

وكان الإيرانيون يقدسون قبل زرادشت العفاريت (ديف) ويعبـــودونهم إلى جانـــب الآلهـــة الأخرى[3]، وتقول الأساطير الإيرانية ان زرادشت اعتبرهم عناصر وقوى عالَم الشـــر والـــرجس، وعلى أثر ذلك انظمّوا إلى الشيطان (أهريمن)، فطردهم زرادشت من على وجه الأرض فهربـــوا إلى باطنها وعاشوا فيها متخفّين، وللوقاية من شرهم وإلحاقهم الضرر كُتب كتاب «فنديداد» أي قانون الوقاية من العفاريت، أو قانون الغلبة على العفاريت. وقد دارت حروب طاحنة بين أتباع العفاريت و أتباع الرب، ويصف الشاعر الإيراني؛ فردوسي حادث مقتل «سيامك» على يد العفريت الأسود وسمّاه «ابن الشيطان»:

ســـيامك بيامـــد برهنـــه تنـــا   بر آويخت بـــا بـــور اهرمنـــا[4]

ويقول الطباطبائي: «لا غرو اليوم بأن عفاريت القصص الحماسية الإيرانية كانوا بشرًا أقويـــاء عظماء البدن، وعندما كانوا يعتقدون عقيدة مخالفة، فان آباءنا كانوا يطلقون عليهم تبعًـــا لكتـــاب «أوستا» اسم العفاريت»[5].

أما الشعراء الإيرانيّون فقد أدلوا بدلوهم في تسجيل تلـــك الأحـــداث، ومنـــهم «الأســـدي

---

١ – المصري، حسين مجيب، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، ط١، المكتبة الثقافية لنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٩٨.

٢ – المصري، ص٩٩.

٣ – آموزكار، زاله: ديوها در آغاز ديو نبودند، زبان، فرهنك، اسطوره، معين، طهران، ١٣٨٦ش (٢٠٠٧م)، ص٣٣٩.

٤ – فردوسي، ابوالقاسم: شاهنامه، نسخة جول مول، شركة سهامي كتابهاي جيبي، طهران، ١٣٧٦ش (١٩٩٧م)، ج١، ص١٦، البيت ٢٥.

المعنى: (وجاء «سيامك» دون أن يلبس بزّة الحرب، فقاتل ابن الشيطان) وكانت النتيجة أن قُتل سيامك في تلك المعركة.

٥ – طباطبائي، احمد: ديو و جوهر أساطيري آن، مجلة كلية الآداب في تبريز (ايران)، السنة ١٦، العدد١، ١٣٤٣ش (١٩٦٤م)، ص٤٥.

الطوسي»[1] الذي أورد فيها تفاصيل مقاتلة كرشاسب للجن. أما «رستم» فقد قاتل الجنّ بعد أن تجمعت ملوكها وشعبها، وأحدثت الأمطار والثلوج والبرد بالسحر والشعوذة، فانتصر عليهم وقتل الشيطان الأبيض «سبيد ديو» وقهره[2]، وقتل ملك الجنّ وأخرج كبده، وأطلق سراح الملك «كيكاوس» من أسر الجنّ[3]. ويشارك الفرس غيرهم من الإعتقاد بأن الشيطان تمّثل لآدم في صورة حيّة فأغواه بالإثم والخطيئة[4]. واستمر الشيطان غي عدائه للبشر فهو أساس المرض وخلق ٩٩,٩٩٩ مرضًا، فقابلوه بالسحر بمساعدة الكهنة الذين «اعتمدوا على الرُّقى أكثر من اعتمادهم على العقاقير»[5].

وتُنسب إلى إله الشر «أهريمن» الذي قام بخلق كل الكائنات الضارة والشريرة، بما فيها الشياطين[6]. وهي أيضًا نُسبت اليها الأمراض والموت والقذارة والتشويش. و «الديف/ الديو» وهم جنّ شرار، والنسناس الخائن الغدّار الذي يعيش على ضفاف الأنهار ويعرض للمسافر بصورة شيخ هرِم يطلب المساعدة لعبور النهر، فاذا حمله المسافر على كتفيه وبلغ به وسط النهر ضغط النسناس برجليه على عنق الرجل وأهلكه[7]. ومنها كائن يُدعى «لاحس القدم» يتسلل إلى النائم في الصحراء ويمتص دمه من خلال إحكام فمه على أخمص قدميه ويميته. وبرأي الباحث إن هذا الكائن قد لا يكون خرافيًا أو من الجن[8]، بل هو حيوان من الحيوانات أو الزواحف التي تعيش في الصحاري التي تمتص دم الفريسة كالوطواط مثلاً الذي هو نوع من الخفاش الشارب للدم أو العقارب والرطيلات.

أما الأديان القديمة التي استوطنت في ايران كالزرادشتية مثلاً فتقول بقِدم الأرض والإنسان. «وتدّعي الزرادشتية أن الأجرام السماوية تحكم الأرض أدوارًا لا تُحصى وبملايين البليونات من السنين، وأن الدورة الحالية هي دورة حكومة القمر، ويقسّمونها إلى خمس طبقات؛ الطبقة الأولى يسمونها (طبقة مهابادیان) وقد تولدت هذه الطبقة من رجل وامرأة، بقيا من دورة سابقة فنيت إلا

---

١ – أبو نصر علي بن أحمد الأسدي الطوسي، ولد في خراسان بايران وعاش في القرن الخامس الهجري وله كتاب «كرشاسب نامه» وله أقدم مخطوطه عثر عليها باللغة الفارسية توفي عام ٤٦٥هـ ودفن في تبريز.

٢ – معلوف، شفيق، عبقر، ط٣، منشورات العصبة الأندلسية و دار الطباعة والنشر العربية، ١٩٤٩م، ص٨١.

٣ – المصري، ص١٠٥.

٤ – نفس المصدر، ص٨١.

٥ – ول، وايزيل، ديورانت: قصة الحضارة (نشأة الحضارة في الشرق الأدنى)، تقديم محي الدين صابر، ترجمة نجيب محمود، دار الجيل، بيروت/ تونس ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٥٥.

٦ – القمني، ص٣٤-٣٥.

٧ – معلوف، ص٨٤.

٨ – معلوف، ص٨٢.

رجل وامرأة تولدت منهما الطبقة الثانية وتسمى عندهم (جي أفراميان) وكان الرجل منهم يعـــيش ألوف الملايين من السنين ثم فنيت، ولم يبقَ منهم إلا رجل وامرأة تولدت منـــهما الطبقـــة الثالثـــة وكذلك تولدت منها الطبقة الرابعة ولما فنيت الطبقة الرابعة ولم يبقَ منها إلا رجل وامرأة تولـــدت منهما الطبقة الخامسة وهذه هي الطبقة التي نحن منها، والرجل والمرأة اللذان بقيا من الطبقة الرابعة وتولدت منهما الطبقة الخامسة يسمى (كل شاه) وزوجته (كل بانو)[1] وهما اللـــذان نســـميهما آدم وحواء، وكان الرجل منهم يعيش في بدء هذه الطبقة أكثر من ألف سنة مثل (كل شاه) وزوجتـــه و (كيومرث) و (جمشيد) و (منوجهر) و (بـــهرام) و (آفراسياب) وغيرهم... وهكذا تنطوي هـــذه الطبقة وتضمحل وتعود الأرض محكومة إلى الأجرام السماوية التي هي أكبر من القمر..»[2].

وبعد هذا الإستعراض السريع، نرى الكثير من الأمم تشترك في أساطيرها بخصوص المغيّبـــات، وتصور بحسب ثقافتها وأرضيتها الفكرية ومخزونها الثقافي الجنّ والشياطين بصور مختلفـــة، تقتـــرب أحيانًا من بعضها البعض وتفترق أحيانًا أخرى. وجاء العقل البشري أحيانًا بوسعة تخيّله بصور مخيفة أراد منها أحيانًا الإستقواء بها أو إرعاب أعدائه. ورغم الحداثة فان الإنسان لم ينفكّ تمامًا عن هـــذه الكائنات، رغم تناقص عددها وتقلّص مواطنها! والذي يهمنا منها في هذه الرسالة، ارتباطها بالبلاد العربية عامة، وبالأدب العربي خاصة، و هذا ما ستناوله في الفصول اللاحقة.

إتصال العرب بباقي الأمم

بعد الذي تقدم.. إذا علِمنا بأن هذا الأدب، وهذه الأساطير والملاحم والأشعار والصـــلوات والترانيم قد انتقلت من أرض سومر، من سهل شنعار إلى بلاد عيلام، وبلاد فلسطين، «حينما نعلم بأن إبراهيم الخليل (ع) ٢٠٠٠ ق.م قد هاجر من العراق إلى أرض فلسطين، وتعلّم هنـــاك اللغـــة العبرية ثم هجَرها إلى وادٍ غير ذي زرع، أرض الحجاز، حيث ابْتَنَى هناك بيت الله الحرام..»[3] فتكون هذه هي الموجة الأولى التي نقلت الحضارة السومرية والبابلية بأفكارها وأساطيرها وملاحمها وأدبهـــا إلى أرض الساميين العرب «فجذور الفكر العربي في جزيرة العرب ليست إلا الحضـــارة الســـومرية

---

١ – تصحيف في الأصل (كل بانون).

٢ – الخالصي، محمد: علوم القرآن، مجلة مدينة العلم، بغداد، السنة الأولى، ج الأول، العدد رجب ١٣٧٣هـــ – آذار ١٩٥٤م، ص٢١-٢٢.

٣ – بريتشارد، ص١٤.

والأدب البابلي بأساطيره وقصصه»[1].

هذا من جهة العراق وبلاد الرافدين، أما من باقي الجهات فيُخطئ من يعتقـد عزلـة عـرب الجزيرة عن أمم التحضّر في الشرق والغرب «وكان لعرب الحيرة والغساسنة وأمرائها أثر كـبير في رفد الحياة العقلية العربية بأفكار وافدة مما عند الفرس والرومان بحُكم الإتصال القائم مع ثقافة هاتين الأمتين، وبفضل معرفة بعض الحيريين والغسانيين لغة جارتيهما..»[2].

الطوطمية

الطوطمية **(Totemism)** هي عبارة عن «اعتقاد جماعة بوجود صلة لهم بحيوان أو حيوانات تكون في نظرها مقدسة، ولذلك لا يجوز صيدها أو ذبحها أو قتلها أو أكلها أو الحاق الأذى بهـا»[3]. وهم يؤمنون بأن الطوطم لا يؤذي أتباعه فلا يخافون منه، حتى وإن كان من الحيوانات المؤذية، التي تلحق الأذى بالإنسان، كالحيّة أو العقرب أو الذئب. وهم يعتقدون أيضًا أنه يدفع البلاء عنهم، وأنه ينذر أتباعه أن أحسّ بقرب وقوع خطر على أتباعه، وذلك بعلامات وإشارات على نحو ما يُقال له الزجر والطيرة والفأل.

وهم يتقرّبون إلى طوطهم، محاولةً منهم في كسب رضاه، فيقلّدونه في شكله ومظهـره، وقـد يلبسوا جلده أو جزءًا من جلده، أو يعلّقون جزءًا منه في أعناقهم أو أذرعهم على نحو من الإنحـاء لأنه يحميهم بذلك ويمنع عنهم كل سوء.. وقد لاحظ روبرتسن سمث **(Robertson Smith)** إن في أسماء القبائل عند العرب أسماء كثيرة هي أسماء حيوان أو نبات أو جماد، فاتخذ من هذه الأسماء دليلاً على وجود الطوطمية عند العرب وعلى أثرها في الجاهليين. فأسماء بني كلب... وبني أسد... وبني الأرقم... وما شاكل ذلك من أسماء، لا يمكن في نظره إلا أن تكون أثرًا من آثـار الطوطميـة ودليلاً ثابتًا واضحًا على وجودها عندهم في القديم»[4].

---

١ – المصدر السابق، ص١٦.

٢ – محراث، كاظم حمد، ما وراء الطبيعة رافدًا للنص الشعري العربي قبل الإسلام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بجامعـة بغـداد، ١٩٨٨م، ص٢٤.

3 – Lang, Voyages.P.87, wesleyen, Journals of Two Expeditions of Discoverying N.W. and W.Australia,

4 – Robertson Smith. Kinship and Marriage in Early Arabia Religion of the Semits, 2nd. Ed. London, 1894, P.35. نقلا عن: علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسـلام، بغـداد ١٩٩٣م، ط٢، ج١، ص٥١٩–٥٢١.

أما واضع نظرية الطوطمية فهو (ماك لينان) (مكلينان) المتوفى سنة ١٨٨١م وخلاصتها:

١- إن الطوطمية دور مَرَّ على القبائل البدائية، وهي لا تزال بين أكثر الشعوب إغراقًا في البدائية والعزلة.

٢- إن قوامها اتخاذ القبيلة حيوانًا أو نباتًا، كوكبًا أو نجمًا أو شيئًا آخر من الكائنات المحسوسة أبًا لها تعتقد انها منه وتُسمى باسمه.

٣- تعتقد تلك القبائل أن طوطمها يحميها ويدافع عنها، أو هو على الأقل لا يؤذيها وإن كان الأذى طبعه.

٤- لذلك تقدّس القبيلة طوطمها وتتقرب اليه وقد تتعبد له»[1].

وتمتدّ أساطير العرب إلى أبعاد أخرى، يلعب فيها الحيوان الطوطميّ وبعض النجوم والكواكب أدوارًا بارزة... وإذا توغلنا في التاريخ العربي القديم وجدنا الحيوان من بين الصور المهمة لمعبودات الإنسان القديم، فهو إما طوطم الجماعة وجدّها الأعلى، وإما معبودها الممثل والرمز للإله السماوي... ومن أساطير بابل القديمة اسطورة تُعرف بملحمة جلجامش، يقوم فيها الثور بدور مهم وخطير، وعند الآشوريين نجد الثيران المجنحة تقف على أبواب قصورهم حارسة راعية، ذلك لأنهم كانوا يعبدون الإله الثور ويلتمسون عنده النصر والحماية... وليس في صيد الحيوان [وأكل لحمه] وعبادته أو الإنتساب اليه تناقض... فقد كان هذا الإنسان يرى أن تناول لحم الضحية المقدسة يجعله متلقيًا لحياة وصفات آلهته، وتحلّ قوى هذه الآلهة في جسده»[2]. وقد اضمحلّت هذه العقائد التي سُميَت «أوابد العرب» أي نوادرهم أو خرافاتهم شيئًا فشيئًا، فلم يبقَ منها قُبيل الإسلام إلا آثارًا باهتة.

الأسطورة والخرافة

الإنسان بطبيعته قادر على خلق الأساطير وصنعها ومهيأ لتناول فكرة الحد الفاصل بين الموت والخلود، ومتمكن من تصور صراع درامي بين ما هو الهي، وماهو شيطاني في كل مكان في الطبيعة. «وناصَرَ الإنسان القديم قوى الكون، الآلهة [!!]، التي تضمر له الخير وكثيرًا ما اقتحم الصراع إلى

---

١ - علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد ١٩٩٣م، ط٢، ج١، ص٥١٨.

٢ - الشورى، د. مصطفى عبدالشافي، الشعر الجاهلي تفسير اسطوري، مصر، ١٩٩٦م، الشركة المصرية العالمية، ط١، ص ٧٤-٧٥.

جانبها، وأنزل ملوكه منازل الالهة وأولَدهم من صلب إله يحلّ بالسماء بعد الإعتراف بأن امه امرأة من الأرض»[1]. ومن جهته أذعن العراقي القديم إلى فكرة الموت، وتخلّى عن فكرة البقاء، «حتى لو كان شبيهًا لجلجامش، ذلك البطل الذي تقول الأساطير انّ ثلثاه من إله وثلثه الآخر بشر، بسبب ان الحياة التي نبغي لن توجد حينما خلقت الآلهة العظام البشر قدّرت الموت على البشرية واستأثرت هي بالحياة»[2].

وقد اختلطت الاسطورة والخرافة «لا سيّما وأن الحكاية الخرافيّة مكَوِّن هام من مكوِّنات الأدب الشفاهي، وقيمتها يكشفها تعريفها: بأنها بقايا أساطير موغلة في القِدم» ومال الدكتور أحمد زكي إلى الإعتقاد بأن الآلهة التي تظهر في الأساطير «عادة تتحوّل في الحكايات الخرافية إلى مجموعة من الكيانات الأرضية الخارقة. منها على سبيل المثال الغول والجنّ والسعلاة، ولا يزال فيها ما يقوم مقام الطقوس الدينية البائِدة، وفيها بكل تأكيد ضروب معقَّدة من السحر»[3].

وتقع الاسطورة الجاهلية في ثلاثة أطوار تدلل كلّ منها على التطور الحضاري في مجال الاسطورة لدى العرب. الأول؛ الأساطير التي ارتبطت بطقوس دينية، والثاني؛ الاسطورة التعليلية التي تفسّر الحوادث الغامضة، كما في الظواهر الطبيعية والكواكب والنجوم. والشكل الثالث؛ في الأساطير الرمزية والتي تعكس فلسفة بعينها تجاه الحياة وأحداثها[4]. والجدير بالإهتمام في الموضوع أن «الصورة في شعر ما قبل الإسلام ليست كل نماذجها ذات جذور اسطورية، فمنها ما تضرب أصوله في الواقع ودقة الملاحظة، ومنها الذاتي، ومنها أيضًا ما يمكن أن يُعد ضربًا من اللعب الخالي بعناصر أسطورية أو ذاتية»[5]، فليست كل صورة تذكر الحيوان هي ايماءة لاسطوره عبادة الحيوان، بل قد تكون من واقع الحياة التي كان يعيشها الإنسان الجاهلي وحياته العادية وتعايشه اليومي مع حيوانٍ يرافقه أو يمتطيه في أسفاره أو يعترضه ويهدد حياته ودوابّه بخطر.

والخرافة يقال أنه رجلٌ من عُذرة، استهوته الجن، فكان يحكي ما رآه، فكذّبوه وقالوا «حديث خرافة». أو «حديث مُستملح كذب» نسبة إلى الخرافة: من خَرَفَ خَرْفًا: أي فسدَ عقله. والخرافة

---

١ – محراث، ص٩. نقلا عن: طه باقر، ملحمة جلجامش، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢ و ٥٦ و ١١٧–١٢١.
٢ – محراث، نفس المصدر.
٣ – زكي، د. احمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩م، ص٦٢.
٤ – عبدالرحمن، د. ابراهيم، الشعر الجاهلي: (قضاياه الفنية والموضوعية)، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٦٢–٦٣.
٥ – البسيوني، محمد ابو المجد علي: اتجاه المعاصر في الشعر العربي القديم، الاتجاه الاسطوري، غرض وتقويم، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، عدد٢، الكويت، ٢٠٠٢م، ص٩٠.

هي: الموضوعة من حديث الليل المستملح[1].

وقال الحطيئة في الخرافة:

وَرَهطَ ابن حبّاس فأنّى غَنِمـتُمُ ... لكم بأحاديث الخرافـةِ أمثـالي

فوالله مامنكُم أبي قـد علمـتُم ... ولا منكم أُمّي ولا منكم خـالي[2]

وهكذا يتصل حديث الآباء للأبناء عن ماضيهم، ويحرص الأبناء على حفظ هـذه الأحاديـث أينما حلّوا وأينما ارتحلوا، «ولابد أن يكون منهم رواة أخبار وشعراء تغنّوا بماضيهم العزيز علـيهم، وندبوا مجدهم الآفل، كما ندب عمر بن الحارث جرهمًا، فقال:

كأن لَم يكُن بينَ الحَجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَم يَسـمُرْ بمكـةَ سـامرُ

بلى نحـنُ كنّـا أهلَهـا فأزالَنـا ... صروفُ الليالي والجُـدودُ العـواثِرُ

ونحنُ وَلينا البيتَ مِن بعـدِ نابـت ... بعزٍ ممّـا يَحظـى لـدَينا المكـاثرُ

وهكذا كان العرب على علم تامّ بالمخلّفات الثقافية التي كانت سـائدة في هـذه العصـور السحيقة»[3]. والأمر لا يحتاج إلى عناء لنقول إنه كانت هناك حياة اسطورية عند العرب، فقـد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان المشركين: [(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أساطير الأوَّلِينَ)] (الأنفال/٣١) وقولهم: [(وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أساطيرُ الأَوَّلِينَ)] (النحل/٢٤) وقولهم: [(وَقَالُوا أساطير الاوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكرَةً وَأَصِيلاً)] (الفرقان/ ٥) وآيات أُخر. فقد ادعى الكفار أن ما جاء به النبي محمد (صـلى الله عليـه وآله وسلم) هو نفسه ما سُطِّر في كتب الأولين، وإنها تُملى، عليه فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل.

ويستدل الدكتور زكي على معرفة العرب للأساطير من خلال الشبه الحاصل بين «المينوطور»؛ الحيوان الخرافي الذي كان نصفه الأسفل عجل، ونصفه الأعلى رجل، وله أنياب أسد، والغول: التي طالما عرِضت في أشعار شجعان العرب وهم يقطعون الصحراء[4]. «وتحكي الخرافات أن الغيلان توقد بالليل النيران، للعبث بالسابلة، وايقاعهم في حبائلها، وحدّث الجاحظ كثيرًا في حيوانه عـن هـذه

١ – الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ص٧٨.

٢ – الحطيئة العبسي، ديوان الحطيئة، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م، ص١٧٣.

٣ – الشورى، د. مصطفى عبدالشافي: الشعر الجاهلي تفسير اسطوري، ط١، الشركة المصرية العالمية، مصر، ١٩٩٦م، ص ٦٥–٦٦.

٤ – الخطيب، عماد علي، الصورة الفنية اسطوريًا، دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي: دار جهينة، الاردن، ٢٠٠٦م، ص٣٤٢.

النيران»[١]. حتى ان الأعشى يصور إثارة الثور وزجره عن سقي الماء عندما تمتنع البقرة عن وروده، بأنه نتيجة ضرب الجنّي له فيقول[٢]:

لَكالثَّورِ والجنّي يَضـرِبُ وجهَـهُ   وما ذَنْبُهُ أنْ عافَـتِ المـاءَ بـاقِرُ

ومن أساطير العرب «أن الشياطين تهرب من نهيق الحمار»[٣]، لذلك كان أحدهم إذا خاف من وباء قرية يُعشّر كما ينهق الحمار قبل أن يلج القرية أو يعلّق عليه كعب أرنب. وكانوا يفعلون ذلك قبل دخول خيبر ليأمنوا الإصابة بحُمى خيبر، وأنكر عليهم ذلك عروة بن الورد بقوله:

لا يُنجيـك مِـن حِمـامٍ واقـعٍ   كَعـبٌ تُعلّقـه ولا تعشـيرُ[٤]

وعندما يقال «مخلوقات أسطورية» و«حيوانات أسطورية» و«كائنات أسطورية»، يقصد بها كائنات لا وجود لها في الطبيعة لأن وجودها يفتقد للدليل الفيزيائي، وهي كائنات وصفها من يؤمن بوجودها أو مَن زعم أنه رآها بصفات غريبة، وهذه الكائنات ليست حصرًا على ثقافة دون أخرى؛ بل يمكن العثور في جميع الثقافات المعروفة على كائن أسطوري واحد على الأقل خاص بكل ثقافة، وفي كل ثقافة هناك من لا يؤمن بوجود تلك الكائنات الأسطورية، لكن دائمًا ما يكون هناك البعض ممن يعتقدون بوجودها، وخاصة بعد دخول تلك الكائنات الذاكرة الشعبية للجماعة. وفي التراث العربي هناك عديد من تلك الكائنات الأسطورية كالغول والسعلاة والشق والقطرب وغيرها ومنها ما بقي ليومنا هذا كالغول وكذلك السعلاة، وقد تم إضافة أعداد أخرى من الكائنات الأسطورية لهذه القائمة وهي قائمة يتم تحديثها بصورة مستمرة مع تغير الظروف والمكان والزمان.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي ساد الإعتقاد بأن الأسطورة حكر على الشعوب البدائية، والحضارات القديمة، حيث قسمت أطوار البشرية إلى ثلاث مراحل هي: المرحلة الأسطورية، المرحلة العلمية، وأخيرًا المرحلة ما بعد العلمية، وكانت الأسطورة تمثل مرحلة اللاعلمية والخرافية واللاوعي. لكن الفكر الحديث في القرن العشرين أعاد صياغة نظرته إلى الأسطورة، ولم تعد الأسطورة معبرة عن الشعوب البدائية، بل صارت من المكونات الأساسية لشخصية الإنسان خاصة مع «نورثروت فراي» Northeroot Fray بـ (نظرية الأنماط العليا في النماذج البدائية)،

١ – زكي، د. احمد كمال، الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩م، ص٨٦–٨٧.
٢ – المصدر السابق، ص٢١٩.
٣ – آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، ص٢٣٩.
٤ – الآلوسي، ج٢، ص٣١٦. والتعشيق: نهيق الحمار. كعبٌ تعلّقه: المقصود تعليق كعب رجل أرنب لطرد الجن.

وفريزر **Frisser** بـ (نظرية الأنساق الكونية) في منتصف القرن العشرين، لتغدو منظومة وعي قائمة بذاتها مع ليفي شتراوس **Levis Schtraws** بـ (نظرية الكشف عن العلاقات بين كل الأساطير)[1].

كما تم استحداث مصطلح علمي يتضمن البحث عن الحيوانات الخفية وهو الكريبتوزولوجيا **Cryptozoology**، وهو مصطلح صاغه عالِم الحيوان الفرنسي بيرنارد هوفلمانز**Bernard Heuvelmans** في العام ١٩٥٥م غير أن هوفلمانز نفسه ينسب صياغة المصطلح للمرة الأولى من قبل المستكشف الاسكتلندي إيفان سندرسون، وهو الذي اشتهر عنه بحثه الدائم عما «وراء الطبيعة» و«الحيوانات الخفية»، وأصل المصطلح مجموع من كلمتين:**Crypto** و **Zoology**، الأولى هي كلمة يونانية في الأصل (**kryptos**) وتعني «خفي» أو «غامض»، وطبعًا الثانية تعني «علم الحيوان»، وبالتالي فالمصطلح يعني حرفيًا: «علم الحيوانات الخفية» وهو علم مستقل وليس فرعًا من علم الحيوان. ومهمة هذا العلم هي التحقيق (وفق أساليب علمية) في فصائل حيوانية تم التبليغ عن وجودها لكن دون أن توثق بشكل رسمي، أو البحث عن حيوانات تعتبر منقرضة كالديناصورات، وبصورة دقيقة فإن هذا العلم مخصص للبحث عن حيوانات يفتقد وجودها للدليل الفيزيائي لكنها مذكورة في الأساطير والقصص الخارقة أو البطولية والتقارير الشفاهية من أناس يعتقدون بأنهم شاهدوا هذه الحيوانات، وعادة ما تسمى تلك الحيوانات التي يُبحث عنها في هذا العلم «**cryptids**» وهو مصطلح تمت صياغته من قبل «**John Wall**» العام ١٩٨٣م وتعني «الحيوانات الخفية»[2].

---

١ – البسيوني، محمد أبو المجد علي: الإتجاه الأسطوري، عرض وتقويم، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، العدد ٢٠٢، الكويت، ٢٠٠٢م، ص١٨.

٢ – حسين محمد حسين: مقال: المخلوقات الأسطورية: النشأة والمفهوم، موقع الوسط
http://www.alwasatnews.com/news/600773.html

الإستنتاج

بعد الذي قيل وقُرئ يمكن الإستنتاج إن الكائنات التي ثبت وجودها بالوحي الإلهي والوجدان، ولم ترَ بالعيان ولم تدخل إلى مختبرات التجربة الحسّية والفيزيولوجية موجودة، وقد تعرّف عليها الإنسان الأول؛ أبونا آدم فهو حضر مشهد سجود الملائكة له فتعرّف عليهم وخاصة عندما أنبأهم بأسماء «هؤلاء»، وتعرّف على إبليس عندما امتنع عن السجود له وعلى الشيطان عندما حذّره الله تعالى من فتنته. وكلّما ابتعد الإنسان عن ينبوع الرسالة السماويه كلّما إبتدع لنفسه آلهةً وأندادًا من دون الله، وخلق له من وهمه قوى قادرة على نفعه أو ضرّه وهي لا تملك له نفعًا ولا ضرًّا، فخاف كلَّ شيء، ولجأ إلى السحرة والكهنة ليكونوا عونًا له وملجأ. ولم يقتصر الإنحراف على أمة من الأمم، بل تشعبت في شعوب الأرض وفي مشارق الأرض ومغاربها.

وتقهقرت مسيرة بعض البشر، حتى عبد الشمس والنجوم والقمر، وعبد الشجر، وتسافل إلى عبادة الحجر، وهم يعلمون أن خالق السماوات والأرض؛ الله، فقال تعالى: [(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفَاتُ ضُرِّهِ أو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكلُ الْمُتَوَكلُونَ)] (الزمر/٣٨).

الفصل الثالث

الملائكة

في الأدبين الجاهلي والإسلامي

التعاريف

الملائكة لغةً

ألك: في ترجمة علج، يُقال هذا ألوك صدق وعلوك صدق وعلوج صدق لمـا يؤكـل، ومـا تلوكت بألوك وما تعلَّجت بعلوج. الليث: الأَلوك الرسالة وهي المَأْلُكة، على مَفْعُلة، سميت أَلوكًـا لأَنه يُؤْلَكُ في الفم مشتق من قول العرب: الفرس يَأْلُك اللُّجُمَ، والمعروف يَلوك أو يَعْلُك أَي يمضغ. ابن سيده: أَلَكَ الفرسُ اللجام في فيه يَأْلُكه عَلَكه. والأَلوك والمَأْلَكة والمَأْلُكة: الرسالة لأَنها تُؤْلَك في الفم؛ قال لبيد:

وغُـــلامٌ أَرْسَـــلَتْهُ أُمُّـــه　　　بـــأَلوكٍ، فَبَـــذَلْنا مـــا سَـــأَلْ

قال الشاعر:

أَبْلِـغْ أَبـا دَخْتَنُـوسَ مَأْلُكـةً　　　عن الذي قد يُقالُ مِ الكَـذبِ

قال: وقد يقال مَأْلُكة ومَأْلُك[1]؛ وقوله:

أَبْلِغْ يَزِيد بني شَـيْبان مَأْلُكَـةٌ:　　　أَبا ثُبَيْتٍ، أَما تَنْفَـكُّ تأْتَكِـلُ؟

وقول الشاعر:

أَيُّها القاتلون ظلمًـا حُسَـيْنًا[2]،　　　أَبْشِـرُوا بالعَـذابِ والتَّنْكيـل

كلُّ أَهلِ السماء يَدْعُو عليكُمْ:　　　مِـن نَـبِيّ ومَـلأَكٍ ورسـول

ويقال: أَلَك بين القوم إِذا ترسّل أَلْكًا وأُلوكًا والاسم منه الأُلوك، وهي الرسـالة، وكـذلك الأَلُوكة والمَأْلُكة والمَأْلُك، فإِن نقلته بالهمزة قلت أَلَكْتُه إِليه رسالةً، والأَصل أَأْلَكْتُه فأَخرت الهمـزة

---

١ – فأَما قول عديّ بن زيد:

أَبْلِغِ النُّعْمـان عـني مَأْلَكـا:　　　أَنه قد طال حَبْسـي وانْتِظـار

فإن سيبويه قال: ليس في الكلام مَفْعُل، وقيل: مَأْلُك جمع مَأْلُكة، وقد يجوز أَن يكون من باب إِنْقَحل في القلة.

٢ – الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص)، استشهد في كربلاء عام ٦١ للهجرة.

بعد اللام وخففت بنقل حركتها على ما قبلها وحَذْفِها[1]. قال عمرو بن شَأْسٍ:

أَلِكْنِي إلى قومي السلامَ رِسالةً، بآية ما كانوا ضِعافًا ولا عُزْلا

وأَلَكَه يأْلِكُه أَلْكًا: أَبلغه الأُلُوك. ابن الأَنباري: يقال أَلِكْني إلى فلان يراد به أَرسلني، وللاثنين أَلِكاني وأَلِكُونِي وأَلِكِيني وأَلِكَانِي وأَلِكْنَني، والأَصل في أَلِكْني أَلْئِكْني فحولت كسرة الهمزة إلى اللام وأُسقطت الهمزة؛ وأَنشد: أَلِكْني إليها بخير الرسول، أُعْلِمُهُمْ بنواحي الخَبَرْ قال: ومن بنى على الأَلوك قال: أَصل أَلِكْني أَأْلِكْني فحذفت الهمزة الثانية تخفيفًا.

والملائكة؛ جمع مَلأَكة ثم ترك الهمز فقيل مَلَك في الوحدان، وأَصله مَلأَك كما ترى. ويقال: جاء فلان قد استَأْلكَ مَأْلُكَته أَي حمل رسالته[2].

الملائكة اصطلاحًا

خَلقٌ من خلقِ الله تعالى، خلَقهم الله عز وجل من نور، مربوبون مسخرون، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصوفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله. فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رُسُل الله بينه وبين أنبيائه ومَن أرسلت إليه من عباده[3]. كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز: [(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)] (الحج/ ٧٥).

---

١ – فإِن أَمرتَ من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت أَلِكْني إِليها برسالة، وكان مقتضى هذا اللفظ أَن يكون معناه أَرْسِلْني إِليها برسالةَ، إِلا أَنه جاء على القلب إِذ المعنى كُنْ رسولي إِليها بهذه الرسالة فهذا على حد قولهم: ولا تَهَيَّبُني المَوْماةُ أَركبها أَي ولا أَتَهَيَّبُها، وكذلك أَلِكْني لفظه يقضي بأَن المخاطَب مُرْسِلٌ والمتكلم مُرْسَل، وهو في المعنى بعكس ذلك، وهو أَن المخاطب مُرْسَل والمتكلم مُرْسِل، وعلى ذلك قول ابن أَبي ربيعة:

أَلِكْني إِليها بالسلام، فإِنَّهُ يُنَكَّرُ إِلْمامي بها ويُشَهَّرُ

أَي بَلِّغْها سلامي وكُنْ رسولي إِليها، وقد تحذف هذه الباء فيقال أَلِكْني إِليها السلامَ. وإِن شئت حملته إِذا نصبت على معنى بَلِّغ عني رسالة، والذي وقع في شعر عمرو بن شأْس:

أَلِكْني إِلى قومي السلامَ ورحمةَ الـ إِله، فما كانوا ضِعافًا ولا عُزْلا

وقد يكون المُرْسَلُ هو المُرْسَل إِليه، وذلك كقولك أَلِكْني إِليك السلام أَي كُنْ رسولي إِلى نفسك بالسلام، وعليه قول الشاعر:

أَلِكْني يا عتيقَ إِليكَ قَوْلًا، سَتُهْدِيهِ الرواةَ إِليكَ عَني

وفي حديث زيد بن حارثة وأَبيه وعمه: «أَلِكْني إِلى قومي، وإِن كنتُ نائيًا، فإِني قَطِينُ البيتِ عند المَشاعِرِ» أَي بَلِّغ رسالتي، من الأَلُوكِ والمَأْلُكة، وهي الرسالة. وقال كراع: المَأْلُك الرسالة ولا نظير لها أَي لم يجئ على مَفْعُل إِلا هي.

٢ – ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، (كلمة ألك).

٣ – الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تفسير آي القرآن (تفسير الطبري)، حققه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج١، ص٤٤٧ (تفسير الآية ٣٠ سورة البقرة).

وآيات أُخر سنستنير بهَديها.

أما العلامة الطباطبائي فيعرّفهم بأنهم: «أولاً: مكرمون وهم وسائط بينه تعـالى وبـين العـالَم المشهود. فما من حادثة أو واقعة صغيرة أو كبيرة إلا وللملائكة فيها شأن وعليها ملَك موكـل أو ملائكة موكّلون بحسب ما فيها من الجهة أو الجهات، وليس لهم في ذلك شأن إلا إجراء الأمر الإلهي في مجراه أو تقريره في مستقرّه، كما قال تعالى: [(لا يَسْبِقُونَهُ بِـالْقَوْلِ وَهُـم بِـأَمْرِهِ يَعْمَلُـونَ)] (الأنبياء/٢٧)

وثانيًا: إنهم لا يعصون الله فيما أمرهم فليست لهم نفسية مستقلّة ذات إرادة مستقلة تريد شيئًا غير ما أراد الله سبحانه، فلا يستقلّون بعمل ولا يغيّرون أمرًا حمّلهم الله إياه بتحريفٍ أو بزيـادة أو نقصان...

وثالثًا: ان الملائكة على كثرتهم على مراتب مختلفة علوًّا ودنوًّا فبعضهم فوق بعض وبعضـهم دون بعض، فمنهم آمر مُطاع ومنهم مأمور مطيع لأمره، والآمر منهم آمر بأمر الله حامـل لـه إلى المأمور، والمأمور مأمور بأمر الله مطيع له، فليس لهم من أنفسهم شيء البتة، قال تعالى: [(وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)] (الصافات/١٦٤) ، وقال: [(مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)] (التكوير/ ٢١).

ورابعًا: إنهم غير مغلوبين لأنهم يعملون بأمر الله وإرادته [(وَمَا كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِـي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الارْضِ)] (فاطر/٤٤)»[1].

الملائكة في التراث والأدب

في الفصل الأول من البحث، استعرضنا جانبًا من التراث الإنساني حول المغيّبـات، ووجـدنا الإضطراب الذي ساد الفكر البشري بشأن هذه المغيّبات، وشاهدنا الخبط الذي أصاب بعض البشر بشأنها، وأهم ما يمكن ملاحظته هو الخلط في الأفكار البشرية التي ابتعدت عن معدن النبوة المـرتبط بالله عزوجل عن طريق الوحي.

فمرّة يجعلون من المخلوقات كالملائكة والشياطين والجن وبعض القوى الطبيعية آلهة ويعطـون كلاً منها دورًا في الكون. ثمّ يعودون فيقسّمون الآلهة إلى آلهة خير وآلهة شر، ويقفون متفرجين على الصراع بينهما، فإله الخير مرةً هو الغالب، وإخرى إله الشرّ. ويجعلون أحيانًا الصراع بين الآلهة وبين

١ – الطباطبائي، السيد محمدحسين، المخلوقات الخفيّة في القرآن، الملائكة، الجن، إبليس، بيروت، ١٩٩٥م، دار الصـفوة، ط١، ص٥-٦.

الشياطين. وثالثة بين الآلهة والعفاريت و..

وبعدما قلناه من تسويل الشيطان للبشر وإضلالهم، لا يستبعد الباحث أن يكون الإنحراف قد استشرى نتيجة ما أوكله الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة من واجبات، وأعطاهم من قدرة على تصريفها، ومن قدرة على العروج إلى السماوات والغور إلى بطون الأرض، وسوق السحاب ونزول المطر، وجري الرياح، وقبض الروح، وتقسيم الأرزاق، وحفظ الإنسان، فاعتبرها الإنسان آلهة، ثم ازداد غيًا فجعل الشيطان الذي أنظره الله تعالى إلى يوم يبعثون أحد آلهة الشرّ والعذاب والمكر والخداع!! ثمّ عدَوه إلى قبيله من الشياطين والجن فعبدوها[1].

وقد يكون هناك ثمّة سبب آخر لذلك، وهو ان للملائكة واجباتهم الخاصة بهم، فهم يسبحون في عالَمهم دون أن يضايقوا أو يعارضوا الإنسان في شيء، وربما لذلك اعتبرهم الجاهليون بنات الله – سبحانه وتعالى عما يصفون [(وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)] (مريم/ ٩٢-٩٣). في حال أن عالَم الشياطين الذين سلّطوا على الإنسان، والجنّ الذين سكنوا الأرض وأفسدوا فيها فطُردوا منها وسكنها الإنسان، وأخذوا مكانهم عليها، هما الّذان يحتكّان بالإنسان خيرًا أو شرًا.

وبحسب مقدار تتبع الباحث للمصادر التي تدور حول موضوع البحث قلّما وجد أشعارًا جاهلية في الملائكة، وخاصة في وصفهم وصفاتهم على العكس مما حصل مع الجن.

ويقول الأصفهاني في أغانيه: أما الملائكة فـ «لم نسمع عن العرب في الجاهلية تحدثوا عن الملائكة حديثًا واضحًا، أو سمعوا بوحيها أو نزولها على الناس، إلا قبيل الإسلام. فقد عرفها منهم مَن هوّدوا أو تنصّروا أمثال أمية بن أبي الصلت الذي ذكر الملائكة في شعره. وأشهر رجل منهم ورقة بن نوفل الذي قصّت عليه خديجة خبر «حِراء» فعرف أنه الناموس الذي أنزله الله على موسى، بل إنه سماه الناموس الأكبر»[2].

ولقد ورد اسم الملائكة في بعض الأبيات كشاهد على جذر كلمة «الملَك». ومما ذكروا:

«فجرى كلامهم في «يفعل» ونظائرها بترك الهمز، حتى صار الهمز معها شاذًا، مع كون الهمز فيها أصلاً. فكذلك ذلك في «ملك وملائكة» جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم، وبالهمز في جميعهم. وربما جاء الواحد مهموزًا، كما قال الشاعر:

---

١ – يُنظر كذلك: زيتوني، عبد الغني: الوثنية في الأدب الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٧م، ص١٤٩.

٢ – الأصفهاني، ابو الفرج، الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مصر، ١٩٥٨، دار الكتب المصرية، ج٣، ص١٢٢.

فلستَ لإنسـيٍّ ولكـنْ لِمـلأكٍ   تحدَّرَ من جَوِّ السَّـماء يَصُـوبُ»[1]

وممّا نُسب من الشعر لأمية بن أبي الصلت في الملائكة[2]:

مِن الحِقـد نـيرانُ العَـداوة بيننَـا   لأن قالَ ربي للملائكـةِ: اسـجُدوا

لآدمَ لّمـا كَمّـلَ اللهُ خَلقَـه   فخَرُّوا لهُ طوعًا سجودًا وكـدّدوا[3]

وقال عَـدُوُّ الله للكِبْـر والشَّـقا   لطينٍ على نارِ السَّموم فسـوَّدوا[4]

فأَخْرَجَه العصيان من خير منـزلٍ   فذاك الذي في سالف الدهر يحقـدُ[5]

وفي هذه الأبيات يصف حقد إبليس بعد أن أمره الله بالسجود لآدم، فأبي لأنه خُلِق مـن نـار وآدم من طين. وقد كثُر اللَّغط حول أميّة بن أبي الصلت، الذي عاش في الجاهلية وعاصر الإسـلام ولم يؤمن رغم ما كان يبديه من حماس للإيمان بالنبي الخاتم، وانسلخ من الهداية[6]. ولقد اقتصرنا على إيراد هذه الأبيات المنسوبة اليه كشاهد على الموضوع دون الخوض في تصديقها أو رفضها وهو مـا يحتاج إلى بحث مستقل.

وممّا نُسب إلى أميّة في وصفه للملائكة الذين يحملون العرش ورواه ابن عساكر[7]:

فَمِن حاملٍ إحدى قـوائِمَ عرشـه   ولولا إله الخَلقِ كَلّـوا وأبلَـدوا[8]

قيام على الأقـدامِ عـانونَ تحتَـه   فرائِصُهم مِن شِدّة الخـوفِ تَرعَـدُ

وفي هذين البيتين تصوير لعظمة العرش وإن الملائكة من حملة العرش لولا مدد الله لهم لتعبـوا وسقطوا.

وروي عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية:

---

١ – الطبري، ج١، ص٤٤٧.

الإنسي: الإنسان، تحدّر، هبط، نزل، يصوب: من الصواب.

٢ – المستشرق الألماني كارل بروكلمان يؤكد أن أكثر ما يُرْوَى من شعر أمية هو في الواقع منحول عليه، ماعدا مرثيتـه في قتلـى المشركين ببدر (كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، ط٤، دار المعارف، ج١، ص١١٣.

٣ – الكدَدْ الشدة في العمل والتعب، أطالوا السجود،

٤ – الرّيح الحارّة القاتلة، النافذة إلى البدن.

٥ – سالف الدهر: قديمه.

٦ – أمية بن أبي الصَّلْت الثقفي، ويقال له «أبو الحكم» شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، قدم دمشق قبل الإسلام وانه كان غي أول أمره على الايمان ثم زاغ عنه وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ). للمزيد يُنظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج٢، ص٢٢٠–٢٢٩، اخبار امية بن ابي الصلت.

٧ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٢٩.

٨ – إحدى قوائم عرشه: إحدى ركائز العرش. كلّوا: تعبوا. أبلدوا: لصقوا في الأرض أو سقطوا إلى الأرض من الضعف.

مَجِّدوا اللهَ فهـــوَ للمجــدِ أهـــلُ ربّنَـــا في الســـماءِ أمسَـــى كَـــبيرا

بالبناءِ الأعلى الذّي ســـبقَ النَّـــاس وَســـوَّى فـــوقَ الســـماءِ سَـــريرا

شَرْجَعًا مـــا ينالـــهُ بصـــرُ العَـــين تُـــرى دونَـــه الملائِـــكُ صُـــوْرا[1]

---

١ – ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٢٩.
الشرجع: الطويل . الملائك، جمع ملَك، والصور: جمع أصور، وهو المائل العنق، وهؤلاء حملة العرش.

الملائكة في القرآن

[(وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)] (النحل/ ٤٩).

خصصنا هذا القسم من الفصل للحديث عن هذه الموجودات المطيعة العابدة الساجدة، وكمقدمة للدخول إلى هذا الباب، سنأخذ بداية مفهوم الغيب من المنظار الإسلامي:

الغيب

[(ذَلِك الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)] (البقرة/ ١-٣)

الغيب مصدر غاب غيبًا، حمل على الغائب مبالغة. يقول العلامة الطباطبائي في الميزان: «الغيب خلاف الشهادة وينطبق على ما لا يقع عليه الحس، وهو الله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، ومنها الوحي هو الذي اشير إليه بقوله: (والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْك وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِك) فالمراد بالايمان بالغيب في مقابل الايمان بالوحي والايقان بالآخرة، هو الايمان بالله تعالى ليتم بذلك الايمان بالاصول الثلاثة للدين»[1]. والتصديقِ بالله ومَلائكته وكُتُبه ورسله، وكل ما لم تكن العرب تدينُ به في جاهليّتها[2].

بعض واجبات الملائكة في القرآن

يختلف عمل الملائكة اختلافًا كبيرًا، فمنهم حفظة الأرض والسماء، ومنهم حملة العرش وحفظته، وبعضهم موكّلون بالمطر والرعد والبرق، وآخرون يحفظون نبات كل سماء وأرض وحيوانها وإنسانها ويحرسونهم، وبعضهم موكّلون بتقسيم أرزاق البشر والحيوان. وخلاصة الأمر ما مِن خير في هذا الكون في سماء كان أو في أرض إلا من صنيع هذا الكائن[3].

---

١ - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص٤٥-٤٦.

٢- الطبري، محمد، ج١، ص٢.

٣ - الخالصي، محمد بن محمدمهدي، معراج حضرت خير الأنام آئينه اسلام، اصفهان، ١٣٥٠هـ، مطبعه كلبهار، ص٥٤.

ومن جملة ما أوكل الله تعالى للملائكة:

١- إبلاغ الوحي:

[(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)] (الشورى/ ٥١) وقوله تعالى: [(يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ)] (النحل/٢).

٢- التوفّي (الوفاة):

[(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)] (السجدة/١١). [(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)] (محمد/ ٢٧) وفي ذلك إشارة صريحة أن الموت لا يقع إلا بإذن الله، وإن خروج الروح مقرر من عنده، وإنما وكّل بذلك ملائكته ينتزعون الروح، ويتولّى أمرهم ملك الموت العظيم «عزرائيل» عليه السلام، وهذا خلاصة القول في الموت، وبذلك تصرّح الآية الكريمة: [(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً...)] (آل عمران/ ١٤٥)

٣- الحفظ:

[(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)] (الأنعام/٦١) وقوله تعالى: [(لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)] (الرعد/ ١١).

٤- النصر والتأييد والقتال:

[(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)] (الأنفال/ ٩).

٥- الكتبة والرقباء:

[(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)] (الإنفطار/ ١٠-١٢). وقوله تعالى: [(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)] (سورة ق/١٧-١٨).

٦- إبلاغ أوامر الله جلّ جلاله لغير الأنبياء:

كما هو الأمر مع السيدة مريم سلام الله عليها [(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)] (آل

عمران/ ٤٢-٤٣).

٧- تقسيم الأمور وتدبيرها:

[(فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)] (الذاريات/٤-٥).

٨- كلّ أمر:

وسورة القدر تلخص كل ما يمكن أن تتنزل به الملائكة بعبارة (مِن كل أمر) مع التأكيد على(بإذن ربّهم) [(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)] (القدر/ ٤).

هذا بعض ما ورد في القرآن الكريم عن واجبات الملائكة وأفعالهم، وفيه المزيد. ولكن نكتفي بهذا القدر.

فِرية المشركين أن الملائكة بنات الله

سبقت الإشارة في الفصول السابقة بأن المشركين خلطوا خلط عمياء في أمر الملائكة والشياطين والجن، سواء في صفاتهم أو أفعالهم وغيرها.. ومما نسبوه كذبًا للملائكة أنهم بنات الله، ثم تعاملوا مع القوى الخفيّة بعد أن نسبوا اليها خارق القدرة، بذلّ استرضاءً لها ودرءًا لشرها وفسادها. وقسّموا هذا الولاء بين الملائكة والجنّ والشياطين، فقريش «عبدت الملائكة بدعوى أنها بنات الله»[1] التي وُلِدن من سُراة الجن.

والشبهة التي أثارها الكفّار؛ إن الملائكة إناث وقد ثبّت القرآن شهادتهم وندد بهم لذلك في قوله تعالى: [(وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)](الزخرف/ ١٩) ثم عنّفهم تعنيفًا، فقال عزّ من قائل: [(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ)] (الصافات/ ١٥٠) وليس هذا الزجر والتنكيل لنسبة البنوتة لله تعالى، بل تتريهًا لله عن أن يكون له ولد أو والد [(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)] (التوحيد/ ٣) لأن جميع الأديان السماوية تستند إلى التوحيد الخالص ونفي أي شرك، وتتالت الآيات تقريعًا لهم وتعاقبت الأدلة على خطِئِه ببراهين عقلية ومنطقية غير معقدة، فقال عزوجلّ: [(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا)] (الإسراء/ ٤٠) وقال: [(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ)] (الصافات/١٥٠).

---

١ - زيتوني، المصدر السابق، ص١٤٩.

وقد تبرأ الملائكة من عبادة الإنس لهم، ونأوا بأنفسهم عن هذا الضلال، قال العزيز الحكيم: [(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَك أَنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهِم بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الجِنّ أَكثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ)] (سورة سبأ/٤٠-٤١).

تشخيص الملائكة وتجسّدهم

أنبأنا القرآن المبين بامكان أن يتشكل أو يتمظهر ملَك من الملائكة بمظهر مادي فيُرى، كما كان يتشكل فيه جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أحيانًا، فقد روي[1] أن جبرئيل كان يأتي النبي صلى الله عليه وآله بصورة «دِحْيَة الكلْبي»[2]. ومن الآيات الهامة التي وردت في القرآن الكريم، قضية تمثّل الملائكة بأشكال مختلفة يألفها البشر، بل وبصورة البشر أنفسهم، لغايات عدّة أما تعليمية أو لإبلاغ نداء السماء، فلنقرأ بعض تلك الآيات: [(وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْـرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)] (هود/ ٦٩-٧٠) ومثله في سورة الحجر ٥٢-٥٩. إذن هبط الملائكة على نبينا إبراهيم عليه السلام على هيئة بشر، ودخلوا بيته فاستضافهم وأعدّ لهم الطعام وقرّبه إليهم وتحاور معهم ولم يعرفهم. فهم لم يكونوا يختلفون عن أي بشر في شكلهم وكلامهم وتصرّفهم، وتستثني الآية في مطاويها تناولهم الطعام، حيث ان أيديهم لم تمتدّ إلى الطعام ولم يطعموا. وفي نفس السياق جاءت الآيات التي أخبرتنا عن توجه نفس هؤلاء الملائكة إلى نبي الله لوط عليه السلام، فساء لوط حضورهم لِما عهده من قومه من سوء نية وتطاول على الغرباء، وبالفعل ما أن حلّ هؤلاء الضيوف حتى جاء قومه مسرعين اليه، يُبيّتون لضيوفه المكر!! [(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَك عَنِ الْعَالَمِينَ)] (الحِجر/٧٠)، وما تضايُق لوط من حضور ضيفه إلا لأنه لم يعرفهم، حتى عرّفوه بأنفسهم، فلنقرأ هذه الآيات التصويرية العظيمة التي تهزّ الضمير: [(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي

١ – المجلسي، بحار الأنوار، ج١٤، ص٣٤٣ ؛ ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٦، ص٧٤.

٢ – هو الصحابي الجليل "دحية بن خليفة الكلبي" ، من الأنصار ، شهد مع النبي صلى الله عليه و سلم غزوة "أحد" وما بعدها. اشتهر "دحية الكلبي" إلى جانب العقل الراجح – بجمال الصورة ، وكان "جبريل" عليه السلام يأتي في صورته . وكان "دحية الكلبي" سفير رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى "هرقل ".

ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ* قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِك مِنْ حَقٍّ وَإِنَّك لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكمْ قُوَّةً أو آوِي إلى رُكنٍ شَدِيدٍ* قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّك لَن يَصِلُواْ إِلَيْك...)][1] (هود/ ٧٧-٨١). ومثلها الآيات ٦٢-٦٦ من سورة الحجر..

وفي قصة مريم عليها السلام تمثل لها الملك بشرًا سويًا، وجرى بينهما حوار جميل ينبئ عن عفتها وحيائها وعذريّتها: [(... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)] (مريم/ ١٧)

ولما أراد الله تعالى أن يُعلِّم نبيّه داود عليه السلام حُكمًا، أرسل اليه ملَكين متمثلَين آدميين،

جمال الملَك وقبح الشيطان

ومما ورد في القرآن عن لسان البشر، إعتقادهم بجمال صورة الملَك، كما قالت المصريّات في حُسن يوسف وجماله تعجّبًا وانبهارًا: [(... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَك كرِيمٌ)] (يوسف/ ٣١). ووردت الآية الشريفة تصف شجرة الزقوم التي تنبت في جهنّم، في أصل الجحيم بقبح الشياطين: [(طَلْعُهَا كأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ)][2] (الصافات/ ٢٥) وفي تفسير هذه الآية أورد الطبري: «فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين، وإنما يمثَّل الشيء بالشيء تعريفًا من المُمَثِّل له قُرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟. قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) فلم يتركهم في عَماء منها. وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم: أحدها أن يكون مثل ذلك برؤوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال. والثاني أن يكون مثل برأس

---

١ - ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا: ضَجرَ مِنْهُ، تَعِبَ. ضاق بهم ذرعا: ضعُفتْ طاقته عن تدبير خلاصهم. أَهْرَعَ الرجلُ: أَسرعَ في عَدْوِه. يُهرعون إليه: يُسرعون إلَيه كأنّهم يُدفعون.

٢ - الطَّلْعُ: غِلاف يشبه الكوزَ ينفتح عن حَبّ منضود فيه مادة إخصاب النخلة. ويطلقُ الآنَ على مجموعة أعضاء التذكير (الأُسْدِيَة) في الزَّهرة. مادة تلقيح النباتات.

حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله:

عَنْجَـــرِدٌ تَحْلِــفُ حِـــينَ أحلِــفُ   كمِثْلِ شَيْطَانِ الحَماطِ أعْـــرَفُ»[1].

في ختام هذا الباب، إنما استطردنا في المقال واستفضنا مـــن الإســـتنارة بالآيـــات النيّـــرات لاستكشاف حقيقة هذا الكائن القدسي. وكما هو معلوم فبخلاف الغموض الجاهلي حول الملائكة، جاءت الآيات القرآنية جليّة بيّنة، كما هو شأن كلام الله [(ذَلِك الْكِتَـــابُ لاَ رَيْـــبَ فِيـــهِ هُـــدًى لِّلْمُتَّقِينَ)].

---

١ - تفسير الطبري، ج٢١، ص٥٢.

الإستنتاج

كما أسلفنا لم يتضمن الشعر الجاهلي (حسب تقصّي الطالب) إلا النزر القليل من الإشـــارة إلى الملائكة، في المقابل ورد في القرآن وصحيح الأخبار ذكر الملائكة كثيرًا، وأن ما يُستفاد من مجمـــوع الآيات والأحاديث بأن الخالق المتعال قد خلقَ لحراسة ونظم العالَم المادي كائن غير مادي وليس من جنس المادة، له إدراك وعقل وتدبير وقوّة خارقة. ولهذا الكائن حيِّز معيّن يُطلَق عليه لهذا الإعتبـــار جسمًا، ويُطلَق على ذلك الحيِّز لفظ الجناح، لأن جناح أي جسم حدّه وطَرَفه. ولهذا الكائن أعمال مختلفة في السماوات والأرض وفوق السماوات، ولذلك فقد قسّمه الشـــرع إلى أقســـام عديـــدة؛ كملائكة العرش، وملائكة الكرسيّ، وملائكة السماوات، وملائكة الأرض، وملائكة اللوح والقلم، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة المطر، وملائكة البرق، وملائكة الرعد، وملائكة الـــبرّ، وملائكة البحر، وملائكة النبات، والملائكة الحَفَظة، والملائكة المدبّرات التي تـــدبّر أمـــور العـــالَم، وملائكة الرزق لأي كائن يفتقر إلى الرزق، وملائكة الزلازل، وملائكة الجـــزر والمـــدّ، والملائكـــة الرسل الذين يبلّغون الوحي إلى الأنبياء وغيرهم من أقسام الملائكة الذين ورد اسمهـــم في الشـــرع. وبناءً على ما تقدم فان الشارع المقدّس قد سمّى قوة الجاذبية العامة الموجودة بين الأجرام الســـماوية بإسم الملَك الحافظ للأجرام السماوية. فاسرافيل والذي يتصل رأسه بالعرش وتغور قدمه في أعماق الأرض يعني؛ القوة التي تَحفظ الأجرام السماوية، وتعبير الرأس والرجل هو لبيـــان حيِّـــزه وهـــو كالتعبير بالجناح. وهذا يتّفق مع قول بعض العلماء المعاصرين الذين يذهبون إلى أن للجاذبية شـــعور وإدراك.كذلك فان الشارع قد أوضح القوة المولدة للكهربائية بين الغيوم والتي ينشأ البرق والرعد من خلالها، و يجهل العلماء مصدرها، بأنها تنشأ عن قوة مختارة عاقلة، اسمها ملَك الرعـــد والـــبرق، وإن مصدر القوة التي تحرك أبخرة الأرض وباقي حركات باطن الأرض والتي تنشـــأ عنـــها زلازل الأرض قد بيّن الشارع مسبباتها وهي قوى مختارة عاقلة شاعرة واسمها ملائكة الزلازل. وانّ القـــوة التي تؤثر في مياه البحار وتُحدث الجزر والمدّ يسميها الشرع ملائكة الجزر والمدّ، وان تلك القـــوة تمتلك عقلاً وادراكًا وشعورًا، وهكذا سائر القوى المولّدة للرعد والبرق والمطر والغيوم وغيرها.[1]

١ – الخالصي، معراج حضرت خير الأنام ، ص٧٣–٧٥.

الفصل الرابع

الشياطين

في الأدبين الجاهلي والإسلامي

التعاريف

الشيطان

«شطن: الشطن: الحبل، وقيل: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به وتشد به الخيل، والجمع أشطان؛ قال عنترة:

يَدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ

... وفي حديث علي عليه السلام: وذكر الحياة، فقال: إن الله جعل الموت خالجا لأشطانها[1]؛ هي جمع شطن، والخالج المسرع في الأخذ، فاستعار الأشطان للحياة لامتدادها وطولها... وبئر شطون: ملتوية عوجاء. وحرب شطون: عسرة شديدة، قال النابغة:

نَأت بِسعادٍ عنك نَوى شطونِ ... فَبانت والفؤاد بها رَهين

والشيطان: حية له عرف. والشاطن: الخبيث. والشيطان: فيعال من شطن إذا بعد فيمن جعل النون أصلا، وقولهم الشياطين دليل على ذلك. والشيطان: معروف، وكل عات متمرد من الجنّ والإنس والدواب شيطان؛ قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل ... وهن يهوينني إذا كنت شيطانا

وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله... وقال الشاعر يصف ناقته:

تلاعب مثنى حضرمي كأنه ... تعمج شيطان بذي خروع قفر».[2]

---

١ – «وَ خَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِه» نهج البلاغة، الخطبة ٩٠، في صفة الارض ودحوها على الماء.

٢ – لسان العرب، ج٨، ص٨١–٨٢ (مادة شطن)

إبليس

«بلس: أبلس الرجل: قطع به، عن ثعلب. وأبلس: سكت. وأبلس من رحمـــة الله أي يــئس وندم، ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل. وفي التتريل العزيز: [(وَيَـــوْمَ تَقُـــومُ السَّـــاعَةُ يُـــبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ)] الروم/ ١٢[١]. وإبليس – لعنه الله – مشتق منه لأنه أبلس من رحمـــة الله أي أويـــس، وقال أبو إسحاق: لم يُصرف لأنه أعجمي معرفة... والمبلس: اليائس، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس، وقال العجاج: قال: نعم أعرفه، وأبلسا. أي لم يحر إلي جوابا. والمُبلس: الساكت من الحزن أو الخوف. والإبلاس: الحيرة، ومنه الحديث: ألم تر الجـــنّ وإبلاسها ، أي تحيرها ودهشها. وقال أبو بكر: الإبلاس معناه في اللغة القنوط وقطع الرجـــاء مـــن رحمة الله تعالى، وأنشد:

وحضرتُ يومَ خَمـــيسِ الأخمـــاسِ وفي الوجـــوهِ صُـــفرَةَ وإبْـــلاسِ

والإبلاس: الانكسار والحزن. يقال: أبلس فلان إذا سكت غما، قال العجاج:

يا صاحِ هل تَعرِفُ رسمًا مُكرســـا؟ قَـــالَ نَعـــم أعرِفُـــهُ وأبلَســـا»[٢].

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن مرارًا سنأتي عليها في دراستنا لآيات القرآن النورانية، ويذكر أميّة بن أبي الصلت قصة طرد إبليس بهذا البيت:

وقـــالَ لإبلـــيس ربُّ العبـــادِ أنِ اخرُج دَحيرًا لَعِينًـــا ذؤومًـــا[٣].

---

١ – في الأصل تصحيف وذكرت الآية خطأً (يومئذ يبلس المجرمون)!.

٢ – لسان العرب، ج٢، ص١٤٠–١٤١، مادة بلس.

٣ – أمية بن أبي الصلت: ديوانه، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٣.

الشياطين في الأدب الجاهلي

شياطين الشعراء

كثيرًا مانسمع عن شياطين الشعر، ذلك ان الشعراء لا يقولون الشعر من تلقاء أنفسهم أو من قريحتهم الخاصة، بل يدخل جنّي أو شيطان هو الذي يلهم الشاعر الشعر والقصائد، فيصبح عندها المتلقن مسحورا، فهو من ناحية بَشَري – إنسي لكنه من ناحية اخرى جنّي – ساحر، وطالما اعتبر التراث العربي الشاعر مسكون من قبل الجنّ بل من قبل جنية الشعر. ان ما يسكن الشاعر هو الجنية. فهي تتجسد في الشاعر الإنسان وتقيم فيه. ان الجنية أو «الحليلة» هي التي تنشد الشعر على لسان الشاعر، ذلك ان الجنية تحول الشاعر إلى مسحور يردد ما تمليه عليه، لكن الشاعر ايضا يستحثها على تزويده بالمطلوب خصوصا في المناسبات. والجنية الحمراء أكثر شيطنة من غيرها. والجنية هي غير شيطان الشر.

وقوة الشاعر من قوة حليلته التي تقيم فيه، وهو وحده يعرف شكلها وصوتها وملامحها، وتتميز بالاخلاص له فلا تخونه مع غيره من الشعراء. لكن عمر الجنية وسنها لا تقاس بسن الشاعر، فقد يكبر الشاعر في السن وتظل جنيته صغيرة، ولا تسكن الا في قلب الشاعر الذي اختارته من بين جميع الناس، لكن لا يمكن البوح عنها باي سر والا فارقته دون رجعة. ومن حكايات الشعراء مع الجنية التي توحي لهم بالشعر قصص عديدة لا تزال اثارها إلى الان في المعتقدات الشعبية، ولا شك ان براري ورهبة الطبيعة في الجزيرة العربية هي التي شحذت الفكر والقريحة التي نسبها الإنسان إلى شيطان الشعر.

تقسيم عصور شياطين الشعراء

وتنقسم العصور التي تابعت تطور شياطين الشعراء وتأثّرها بالعوامل التي أحاطت بالعقل العربي الإسلامي إلى ثلاثة عصور، هي:

أ) العصر الأسطوري: ويبتدئ مع العصر الجاهلي المعروف في تاريخ الأدب، وينتهي بظهور

الإسلام.

ب) العصر الديني: ويمتدّ من القرن الأول الهجري إلى نهاية العصر الأموي تقريبًا.

ج) العصر العلمي: ويبتدئ حيث ينتهي العصر السابق، ويستمر إلى القرن الخامس الهجري»[1].

ولما كان للشعر بالغ الأثر في نفوس البشر، وشدّ ضميرهم ووجدانهم اليه، اعتبروه مَلَكة، لا يلقّاها إلا من هو مؤهل بتفوّقه على أبناء جلدته، ومن أوتيَ قريحة فيّاضة وبيانًا فضفاضًا، ولما عجز البعض عن الشعر وأوتيَ آخرون بسطة من الفصاحة فاقت أقرانهم، إعتبروه إلهامًا من قوى خارجة عن الجنس البشري.

ولقد طال النزاع حول مصدر الألهام الشعري، وجعلوا له آلهة وأرباب يلهمونه، ولم يقتصر القول بأن مصدر الإلهام الشعري من الشيطان والجنّ والماورائيات على العرب، بل قد تكون هذه الفكرة وصلت إلى العرب من أمم أخرى. وقبل الخوض في غمار هذا البحث العميق، نستعرض نماذج مما ورد في الأدب الجاهلي مما حمل هذا التصور. وآخر ما توصّلوا اليه إن الشعر إلهام من الشياطين، وان لكل شاعر شيطانًا يلهمه الشعر، ورسّخَ هذا المفهوم الشعراء أنفسهم، الذين صرّحوا جهارًا نهارًا بذلك وسمّوا شياطينهم ووصفوهم، وأقرّوا بأن الشياطين تلقي الشعر على أفواههم، وتلقّنهم إياه وتعينهم عليه، ويدّعون ان لكل فحل منهم شيطانًا يقول الشعر على لسانه، فكلما كان الشيطان مَريدًا كان الشعر أجود[2]. وظلت هذه الفكرة تتأرجح بين رافض لها وآخذٍ بها، وبين الجد والهزل، وكثرت حولها الفرضيات والتقولات، أدخلت حينًا في دائرة الحقيقة، وخرجت أحيانًا إلى عالم الخيال[3].

وما يقوّي الإعتقاد بأن الشاعر كان في بداية أمره كاهنًا، أن العرب كانت تذكر أن لكل شاعر صاحبًا من الجنّ يساعده ويعينه على قرض الشعر، مثلما كان للكاهن أيضًا صاحب من الجنّ يسترق السمع فيعطي الكاهن ما سمع. وكان الشاعر كذلك يتكلّم بكلام غامض مسجوع يؤثر في السامعين فيحملهم على الإنتباه والإصغاء[4]. فالعقّاد يُغلب أن يكون شيطان الشعر من خلق الشعراء

---

١ – حميدة، ص٢.

٢ – الثعالبي، ابو منصور محمد بن اسماعيل النيسابوري: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٧٠.

٣ – المعطاني، عبدالله سالم: قضايا الإبداع، قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي، مجلة فصول، م٤، عدد٢، ١٩٨٤م، ص١٤. نقلا عن: صالح، الجنّ في الشعر الجاهلي، ص١٣٩.

٤ – الشورى، د. مصطفى عبدالشافي، الشعر الجاهلي تفسير اسطوري، مصر، ١٩٩٦، الشركة المصرية العالمية، ط١، ص ٨٠.

أنفسهم، وأن يكون الكلام عنه لاحقًا لظهور الشعر وانتشاره[1]. وزعم سقراط الفيلسوف اليوناني أنّ له شيطانًا خاصًا يوحي اليه ما يريد[2].

ولكن عقيدة شيطان الشعراء كانت قد ترسّخت في أذهان القدماء، فـ «هبيد» إسم صاحب عبيد و «مسحل السكران ابن جندل» صاحب الأعشى، و «جُهُنام»[3] صاحب عمرو بن قطن، و «لافظ بن لاحظ» صاحب امرئ القيس، و «حاطب» صاحب النابغة، و «هاذر بن ماذر» صاحب زياد الذبياني، وأسماء أخرى مثل؛ «مُدرِك بن واغِم»، و »ابن الصلادم» و «هيّاب».[4]

ولكن بقيت تفاصيل طريقة تواصل الشياطين مع شعرائهم غامضة، فهل هم على تواصل دائم معهم؟ وهل بأمكان الشاعر التواصل مع شيطانه؟ أم ان الشيطان هو الذي يتواصل معه؟ كيف يتحاوران فيما بينهما؟ وهل يرى الشاعر صاحبه على حقيقته وبهيئته الشيطانية أم أنه يتمثل له بصورة أخرى؟ ومن أين تعلَم الشياطين الشعر؟ كلها أسئلة تحتاج إلى الإجابة عليها، وأظنّها بقيت بلا إجابة عبر التاريخ. وهنا نأتي إلى نماذج من ذكر الشعراء لأسماء شياطينهم.

يزعم أعشى ميمون أن اسم شيطانه «مسحل» وهو يقول ردًا على هجاء «جُهنّام» صاحب عمير بن عبدالله بن المنذر:

فلمّا رأيتُ الناسَ للشرِّ أقبلوا	وثابوا إلينا من فصيحٍ وأعجمِ
دَعوتُ خليلي مسحلاً وَدعَوا له	جُهُنَّام جَدْعا للهَجينِ المُذَمم[5]
فانّي وثَوبَي راهبِ اللُجِّ والتي	بَناها قُصيٌّ والمضاضُ بنُ جُرهمِ
لئن جدَّ أسبابُ العداوةِ بيننا	لَترتَحِلنْ منّي على ظَهرِ شَيهَمِ
حباني أخي الجنّي نفسي فداؤهُ	بأفْيَحَ جيّاشِ العَشيّاتِ خِضْرِمِ[6]

ومن الملاحظ أن الشاعر يستقوي مرّة بشيطانه «مسحل» وأخرى يستظهر بقوى دينية أخرى، فنراه يُقسم براهب اللج، وبالكعبة التي بناها قصي بن كلاب، وبمضاض بن جُرهُم القائم على أمر

---

١ – العقّاد، محمود عباس: إبليس، القاهرة، ١٩٥٥، ص١٨٢.

٢ – الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م، ج٣، ص٥٩.

٣ – معنى جهنم في لسان العرب الجِهنّامُ القَعْرُ البعيد وبئر جَهَنَّمٌ وجِهنَّامٌ بكسر الجيم والهاء بعيدة القَعْر وبه سميت جَهَنَّم لبُعْدِ قَعْرها ولم يقولوا جِهنَّام فيها وقال اللحياني جِهنَّام اسم أَعجمي وجُهُنّام اسم رَجل وجُهُنَّام لقب عمرو بن قَطَنٍ من بني سعد بن قيس بن ثعلبة وكان يُهاجِي الأَعشى ويقال هو اسم تابعته.

٤ – جمهرة أشعار العرب، ص٤٣-٤٤.

٥ – الجَدْع: قطع الأنف أو الطرف، الهجين: الناقة. المذمم: ذو حرمة.

٦ – الأعشى، ميمون بن قيس: ديوانه، دار صادر، بيروت،(د.ت) ص١٨٣-١٨٤.

الكعبة قبل قريش. وهدد خصمه الجني بأن يرحّله على ظهر الشيهم (القنفذ) في إشارة إلى إذلاله وتعذيبه، أو إشارة إلى ما كانت تعتقده العرب من أن القنفذ من مطايا الجن. ومن الملاحظ في هذه الأبيات إن الأعشى يذكر شيطانه أو جنّيه بلفظة «أخي الجنّي» إشعارًا إلى عُرى الصلة بينهما، فهي أقوى من أن تنفصم أو أن يخذله أخوه، ولم يعبّر الأعشى في هذه الأبيات بلفظ الشيطان بل ذكره بلفظ «الجني» مما يدل على اتحاد المعنيين بالنسبة لهم.

و ذكر الأعشى مسحلاً مرة أخرى فقال:

وَما كنتُ شاحِرْدًا[1] ولكن حسبتني	إذا مِسحلٌ أسَدّى لي القَولَ أنطِقُ
شريكانِ فيما بيننَا مِن هَوادةٍ	صَفيَّان جنّي وإنسٌ موَفَقُ
يقولُ فلا أعيا لشيءٍ أقولهُ	كفاني لا عَيٌّ ولا هو أخرقُ
جما عُ الهوى في الرُّشدِ أدنى إلى التُقى	وتَركُ الهوى في الغيِّ أنجى وأوفقُ[2]

إذًا شاعرية الأعشى متوقفة على استلهامه من مسحل، الذي تفوّق بقدرته على الشعر، إن مدّه بالقول نطق ولم يعيَ، وهو لا يتركه لوحده فهما صفيان متحابّان.

ويروي الآلوسي قصة لقاء غير مخطط بين الأعشى وشيطانه، فالأعشى: «ضلّ الطريق في أوائل أرض اليمن، وأصابه مطر فوقعت عينيه على خباء من شعر، فقصده وإذا بشيخ على باب الخباء فسلّم عليه، وأدخل ناقته خباءً آخر وحطَّ رحله وجلس، فسأله عن اسمه وعن المكان الذي يقصده، فأجابه، وسأله عن شعره فقال:...

ودِّع هُريرة إنّ الركبَ مُرتحِلٌ	وهل تُطيقُ وداعًا أيها الرَّجلُ[3]

فنادى الشيخ: يا هريرة، فخرجت جارية وأكملت القصيدة حتى نهايتها، فخاف الأعشى وتحيّر، فلما رأى الشيخ ما نزل به قال: ليفرح روعك يا أبا بصير، أنا هاجسك «مسحل بن أثاثة» الذي أُلقيْ على لسانك الشعر، فسكنت نفسه ورجعت اليه»[4].

ويدّعي امرؤ القيس لا بوجود جنّي واحد، بل بوجود توابع. «والتابعة: الرئي من الجن،

١ – وروايته في الأصول المخطوطة: «وما كنتُ شاجردًا... بالجيم» موسوعة العين، ج٣، ص١٣٩. وشاجرد: معرب الكلمة الفارسية «شاكرد» وهو التلميذ المتعلّم.

٢ – الأعشى: ديوانه، ص١١٩.

٣ – نفس المصدر.

٤ – الآلوسي، ج٢، ص٣٦٨.

ألحقوه الهاء للمبالغة أو لتشنيع الأمر أو على إرادة الداهية. والتابعة: جنية تتبع الإنسان»[1].

يقول امرؤ القيس:

أنا الشاعرُ الموهوبُ حولي تــوابعي　　　من الجنّ تَروي ما أقولُ وتعــزِفُ[2]

ويقول في بيت آخر:

تُخيّـــرُني الجـــنُّ أشـــعارَها　　　فما شِئتُ من شعرهنّ اصـطفيتُ[3]

الملاحظ من بيت امرئ القيس الأول أنه لم يدّعِ الإستلهام من توابعه، بل قال إنهم يـروون شعره ويعزفون ويتغنّون به. ومن الثاني أن له مطلق الحرية في انتقاء ما يشاء من أشعار الجنّ، ينتقـي منها ما يحب.

أما حسان بن ثابت فهو الآخر يدّعي في جاهليّته بل في صباه أن له شيطانًا، ويُسمّيه ويدّعي أنه من قبيلة «بني الشيصبان»، والطريف إنّه لم يعزو كل ما ينشده لصاحبه، بل قال إنهما يتناوبـان الإنشاد، فمرة حسان يُنشد ومرة صاحبه. ويروى أن حسانًا عندما كان صبيًا لقيتـه السـعلاة في بعض طرقات المدينة، قبل أن يُنشد الشعر، فبركَتْ على صدره وقالت: أنت الذي يرجو قومك أن تكون شاعرهم، قال: نعم، قالت: فأنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد، وإلا قتلتُك، فقال:

إذا ما ترعـرعَ فينـا الغُـلامُ　　　فمـا أن يقـالُ مَـن هَـوَه

إذا لَم يَسُدْ قبـلَ شـدِّ الإزار　　　فـذلكَ فينـا لا هـوَه

ولي صاحبٌ مُن بني الشيصـبانِ　　　فَطَورًا أقـولُ وطـورًا هـوَه[4]

إذن كان شاعرًا منذ صباه، بل وكان على تواصل مع صاحبه، الذي تمكّن منه وهو في صـباه، وعبّر عنه بالصاحب؛ أي إنه يصاحبه ولا يفترق عنه. ويتطرّق في قصيدة أخرى إلى جنّي يلقـي في روعه الشعر ويزيّنه ويوشيه ويجوّده له، فتكون له الغلبة على الشعراء:

لا أسـرِقُ الشُـعراء مـا نَطَقـوا　　　بَـل لا يوافـق شِـعرَهم شـعري

---

١ – لسان العرب، ج٣، ص٢١١–٢١٢ (مادة تبع). وفي الحديث: أول خبر قدم المدينة يعني من هجرة النبي –صـلى الله عليـه [وآله] وسلم– امرأة كان لها تابع من الجن، التابع ههنا: جنّي يتبع المرأة يحبها. والتابعة: جنية تتبع الرجل تحبه. وقولهم: معه تابعـة، أي: من الجن.

٢ – امرؤ القيس: ديوانه، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٢٥.

٣ – الأعشى، ديوانه، ص١٤٤.

٤ – حسان بن ثابت، ص٢٩٦.

إني أبى لي ذلكُم حَسَبي ومَقالةٌ كمَقاطع الصخرِ
وأخي من الجنّ البصيرُ إذا حالَ الكلامَ بأحسنِ الحِبر[1]

نلاحظ إن الأعشى وحسان اشتركا في الوصف فسَمّيا ملهماهما الشعر، «جنًّ» ووصفاه «أخي»؛ «حَباني أخي الجنيُّ» «وأخي من الجنّ البصيرُ».

وبعدَ إسلام حسّان لا أظن أن أحدًا سأله عن حقيقة شيطانه، لنعلَمَ هل تخرّصَ حسان في جاهليته أم لا؟!.

ويروي أبو زيد القرشي أشعارًا للملائكة، وأخرى للجنّ وإبليس، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يزعم أنّ هذه المخلوقات هي أول من قال الشعر، وقصّد القصائد[2].

ويقول بدر بن عامر:

ولقد نطقتُ قوافيًا إنسية ولقد نطقتُ قوافي التجنينِ[3]

وقد سرى الإعتقاد بالإلهام الماورائي للشعر حتى ما بعد بزوغ فجر الإسلام، فالفرزدق مثلاً يزعم أن له شيطانًا اسمه «عمرو». تروى قصة للفرزدق الذي كان عليه أن يـرُدّ على أحد خصومه...لكن، كانت ساعة جمود قريحته فاضطر إلى شحذها على الشكل التالي قال: «أتيت منزلي فأقبلت أصعد واصوب في كل فن من الشعر فكأني مُفحم أو لم أقل شعرًا قط، حتى نادى المنادي بالفجر فرحلت مع ناقتي، وقد فقدتُ زمامها حتى اتيت ريانا وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: اخاكم اخاكم ابا لبنى –يعني شيطانه– فجاش صدري كما يجيش المرجل.. ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا»، على انه كان في كل مرة تخونه قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليا منفردا وحده في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيهبط عليه إلهام الشعر!!.

وبحسب أبيات سويد بن أبي كاهل، فقد يهزم الإنسان شيطان الآخرين، وهذا الذي جرى لشيطان غريمه الذي فرّ أمامه بمساعدة من صاحبه:

فـرَّ منّي هاربًا شيطانُهُ حيثُ لا يُعطي ولا شيئًا منَع

---

١ – المصدر السابق، ص١٤٢.
٢ – عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٣م، ص٣٩.
٣ – الهذليون: الديوان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢، ص٢٦٦.

وأتـــاني صـــاحبٌ ذو غيِّـــثٍ زَفَيـــانٌ عنـــد إنفـــادِ القُـــرَع[1]

قـــال: لبيـــكَ ومـــا استصـــرختُهُ حـــاقرًا للنـــاس قـــوّالَ القـــذَع[2]

وصرح كثير منهم في العصر الجاهلي وفيما بعده بأن شياطينهم تلهمهم أفانين القول، بـــل إن شيطانه أمير الجنّ وله طرائق الفن. قال الراجز:

إني وإن كنـــتُ صـــغيرَ الســـنِّ وكـــانَ في العـــينِ نبـــوٌّ عنّـــي

فـــإن شـــيطاني أمـــيرَ الجـــنِّ يَذهبُ بي في الشـــعرِ كـــلَّ فـــنِّ[3]

وقال ابن ميادة:

وَلَمّا أتـــاني مـــا تقـــولُ مُحـــارِب تغَنّت شَـــيطاني وجَـــنَّ جُنونُهـــا[4]

وهذا جرير[5] الفرزدق في اعتقاده، بزعمه إن الذي يلهمه الشعر هو أبو الأبالسة، فيقول:

إني لَيُلقـَـى عليَّ الشِّعـــر مُكتَهـــل مـــِن الشياطينِ إبليس الأبـــاليس[6]

ولم يقنع أبو النجم العجلي[7] أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء، فادعى أن شـــيطانه ذكـــر وشياطينهم إناث؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر:

إني – وَكل شـــاعرٍ مِـــن البَشَـــرْ شيطانُه أنثى – وشَـــيطاني ذكَـــرْ[8]

وهو ما يولّد لدى القارئ سؤالاً عن جنس الجنّ والشياطين، وهل فيها ذكر وانثى.

ونسبوا إلى أبي نواس انه كان يستعين بإبليس في نظم الشعر ورووا له أبياتًا منها:

دعـــوت إبلـــيس ثم قلـــتُ لـــه في خَلـــوة والـــدموع تنحـــدرْ

أما تَرى كيف قـــد بُليـــت، وقـــد قـــرح جفـــني البُكـــاء والسَّـــهر

---

١ – سَحَابٌ غَيِّثٌ: كَثِيرُ الْغَيْثِ. فَرَسٌ ذُو غَيِّثٍ: أَيْ يَزْدَادُ جَرْيًا بَعْدَ جَرْيٍ.

٢ – المفضليات، ص٢٠١–٢٠٢. ذو غيث: سريع الإجابة. زفيان: خفيفٌ سريع. القرع: المزادة. القذاع: صاحب الكلام السيء القبيح.

٣ – الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. النسخة الألكترونية، ج١، ص٢٢.

٤ – الثعالبي: المصدر السابق.

٥ – جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (٣٣ – ١١٠هـ).

٦ – الحيوان، الجاحظ، ج٦، ص٢٢٧.

٧ – الفضل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عُبيدة بن الحارث العِجلي، من بني عجل بن لُجيم البكريين. راجـــز شـــاعر أمـــوي (٤٠– ١٢٠هـ)

٨ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٢٩.

إن أنـــتَ لم تلـــقَ لي المـــودةَ في صـــدرِ حبـــيبي وأنـــتَ مُقتـــدِرْ

لا قلتُ شـــعرًا ولا سمعـــتُ هُنـــا ولا جـــرى في مفاصـــلي السُـــكرْ

فمـــا مَضَـــت بعـــد ذاك ثالثـــةً حـــتى أتـــاني الحبيـــبُ يَعتـــذرْ[1]

في حين كان الفرزدق يعتقد أن شيطانه نفس شيطان جرير، إلا أنه من فمه يكـــون أخبـــث. ويذهب شاعر يُسميه الجاحظ (أعشى سُلَيم) إلى غير ذلك، إذ يشير إلى أن شيطان المُخبـــل كـــان أقوى من شيطان الفرزدق، بل كان من أقوى الشياطين إطلاقًا:

وما كان جنّـــي الفـــرزدق قـــدوةً وما كانَ فيهم مِثلَ فَحـــل المُخبّـــل

وما في القَوافي مِثل عَمرو وشَـــيخِه ولا بَعدَ عَمرو شاعرٌ مِثل مِســـحِل[2]

وفي حوار ظريف بين شاعر وآخر أورده الجاحظ يشير إلى مسألة الإلهام الشعري الشـــيطاني، والحوار هو «أن بعض الشعراء قال لرجل أنا أقول في كل ساعة قصيدة، وأنت تعرضـــها في كـــل شهر، فلِمَ ذلك؟ قال: لأني لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبله من شيطانك»[3].

وطريفة أخرى يرويها وهذه المرة عن نفسه، فيقول إن إمرأة اقتادته إلى الصائغ فقالت للصائغ: «مثل هذا» وانصرفت. فسأل الجاحظ الصائغ، ماذا قد عنَت المرأة بقولها ذاك، فأجابه بأنهـــا قـــد طلبت رسم صورة شيطان على فصّ خاتمها، فاصطحبتك لتمثيل صورته[4].

أسماء بعض شياطين الشعر المعروفين!

كانت عند العرب الأقدمين عقيدة شبه مترسخة، أن لكل شاعر رِئيًا من الجانّ يحبّه، ويتّبعـــه، ويوحي إليه زخرف القول. وإذا كان اليونانيون يذكرون في أساطيرهم، أن هناك قوة إلهيـــة تلـــهم المبدعين الشعر وسائر الفنون، فإن العرب، قبل الإسلام وبعده، كانوا يعتقدون بأن كل شاعر متّصل بشيطان خاصّ به يلهمه قول الشعر.

وانطلاقًا من هذا المعتقد، تحدّث أبو زيد القرشي بشيء من التفصيل عن شياطين الشعراء وأخبارهم، حيث خصّص قسمًا من كتابه أورد فيه ضروبًا من الأساطير

---

١ – الحوفي، أحمد محمد (المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول): شياطين الشعراء، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٣، ١٩٤٩م.

٢ – الأصبهاني، ابو الفرج: الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ط٦، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج١٠، ص١٦٠.

٣ – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٤، دار الفكر، (د.ت)، ج١، ص١٥٠.

٤ – الجاحظ، البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٩هـــ، ج١، ص٨.

والخرافات، زاعما أن لشعراء العرب شياطين تنطق بالشعر على ألسنتها. فهذا لافظ بن لاحظ يمنح إمرأ القيس ما يعجب الناس، ويُعلي كعبه بينهم، ومسحل صاحب الأعشى ينطق بلسانه، وهاذر صاحب النابغة، وهو أشعر الجنّ وأضنّهم بشعره، ومدرك بن واغم يستنبغ صاحبه الكميت، وغيرهم كثير[1]. وبهذا الصنيع يكون أبو زيد القرشي قد أورد حكايات موغلة في الأسطورية، وذكر أسماء شياطين لم يذكرها من كان قبله، ولم تجئ في مصادر أخرى.

ويورد ابن شهيد أسماء شياطين لشعراء مشهورين، في تلك الرحلة الخيالية التي قام بها إلى وادي الأرواح، حيث زار صاحب امرئ القيس عتيبة بن نوفل، وصاحب طرفة عنترة بن العجلان، وصاحب قيس بن الخطيم أبا الخطار من شعراء الجاهلية؛ ثم يصير إلى توابع العباسيين مبتدئا بتابع أبي تمام عتاب بن حبناء، ومنتهيا بصاحب أبي الطيب المتنبي حارثة بن المغلّس، وفي زيارته هذه إلى أرض التوابع والزوابع، ساجل الشعراء وذاكرهم، وأخذ الإجازة منهم، وقد أضاف ابن شهيد إلى «الفكرة العامة إضافات قليلة منها أنه مدّ الفكرة بحيث تشمل الناثرين مثل عبد الحميد بن يحيى، والجاحظ، وبديع الزمان، وكان له في ذلك غرضان، فهو ناثر أيضا ولذلك أراد أن يحرز شهادات الناثرين الكبار، كما أراد أن يُدخل فيهم بعض كتّاب الأندلس»[2].

وقد اشتهر من بين الشياطين والجنّ بعضهم، وعُرفوا بأسمائهم على ما ورد في الأدب العربي، منهم «دحرش»، ومن الجنّ وفد نصيبين الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، وجنّ نينوى الذين وفدوا عليه بنخلة[3]. والشيصبان: رئيس من رؤساء الجنّ وله سلالة كبيرة اسمها بنو الشيصبان[4].

---

١ – عباس، إحسان: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٣م، ص٢١.

٢ – يُنظر: رسالة التوابع والزوابع، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص١٣٢.

٣ – القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١٩، ص٣، تفسير سورة الجن.

٤ – حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م، ص٢٢١.

الشياطين في الأدب الإسلامي والقرآن

صفات الشيطان وإبليس في القرآن الكريم

وردت كلمة «شيطان» – بحسب متابعة الباحث – ٦٣ مرة في القرآن، و بالجمع؛ «شياطين» ١٧ مرة، و «إبليس» ١١ مرة بالمفرد فقط، و «مبلسون» ٤ مرات كلّها بالجمع، و «رجـيم» ٦ مرات. و «مذؤوم» مرة واحدة، و«مدحور» مرة واحدة. وذكر الشيطان بلفظ الجنّ أيضًا وأطلقت عليه مسمّيات تدل على الصفة أيضًا. ولقد حاولت في التقصي القرآني إلى تصنيف الآيـات الـتي أوردتُها موضوعيًا بحسب الموضوعات التي تهدف اليها الرسالة.

وهناك من يَعتبر إبليس والشيطان كائن واحد، والكلمتان مترادفتان، وفي المقابل هنـاك مـن يفرّق بينهما، من حيث إن الشيطان ملازم للإنسان وليس إبليس[1]. وان إبليس تكاثر مع نفسه بعد أن هبط إلى الأرض فكانت منه الشياطين، فهو أبو الجنّ والشياطين[2]. ولكن السرد القرآني يُفهم أن إبليس نفس الشيطان، فلنهتدي بهدي القرآن الكريم في سورة طه. قال تعالى: [(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَـةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إبليس أَبَى* قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّك وَلِزَوْجك فَلا يُخْرِجَنَّكمَا مِـنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)] (طه ١١٦–١١٧) ثم يقول بعد آيتين: [(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَـا آدَمُ هَـلْ أَدُلُّك عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْك لا يَبْلَى)] (طه ١٢٠)

قصّة إبليس وآدم

كما أعلَمنا الله سبحانه وتعالى بخلق أبينا آدم عليه السلام ومِمَّ خُلِق، أطلعنا على المـادة الـتي خُلِق منها إبليس، فعندما استكبر إبليس عن السجود، استدلّ على عصيانه بخَلقه من نار متفاضـلاً على آدم المخلوق من طين، [(قَالَ مَا مَنَعَك أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُك قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّـارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)] (الأعراف/ ١٢) ومثلها الآية ٧٦ من سورة ص، [(قَالَ لَمْ أَكن لآسْجُدَ لِبَشَـرٍ

---

١ – انظر: عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط١، العربية للنشر والتوزيع، تـونس، ١٩٩٤م، ج٢، ص٦٤.

٢ – خليل، أحمد خليل: مضمون الإسطورة في الفكر العربي، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٦٠.

خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)] (الحجر/ ٣٣)، [(قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)] (الإسراء/ ٦١). دون أن يُثبت الشيطان الرجيم فَضل النار على الطين أولاً، ناهيك عن أن عصيان أمر الله تعالى غير مبررٍ حتى مع التفضيل!. فجاء عقاب هذا الفعل لأنه يندرج في خانة التكبّر المقوت [(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكونُ لَك أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّك مِنَ الصَّاغِرِينَ)] (الأعراف/ ١٣) فكان أول المتكبرين، وأصبح أول الصاغرين.

نلاحظ تكرار ذكر قصة آدم والملائكة وإبليس في عدة مواضع من القرآن الكريم وبعبارات متقاربة منها؛ البقرة والأعراف، والحِجر، والكهف، و طه، والإسراء وغيرها. وما ذلك إلا لأهمية الموضوع من عدة نواحي، بدء خلق الإنسان، عصيان إبليس الذي عبد الله ثم عصاه، إطاعة الملائكة و...، وكيف توعّد إبليس ذرية آدم. فلنأخذ بعض هذه الآيات الكريمات، ومرّ ذكر بعضها في باب الملائكة:

[(قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)] (الحجر/ ٣٩). وقال لربّ العزّة: [(قَالَ أَرَأَيْتَك هَذَا الَّذِي كرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً)] [1] (الإسراء/٦٢).

آدم يستغفر وإبليس يستكبر

وهنا يبرز الفرق بين آدم وإبليس، فبعد أن عصى آدم وزوجه ربهما [(قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)] (الاعراف/ ٢٣)، [(فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)] (البقرة/ ٣٧). وأما إبليس فقد استكبر وكان من العاصين، وهدد وتوعّد، وقال: (فبما أغويتني.. لأقعدنَّ لهم.. ولأحتنكنّ ذرّيته!!)

الشيطان عدوّ

حذّر الله سبحانه وتعالى أبينا آدم وزوجه من عداوة الشيطان عندما أسكنهما الجنة [(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّك وَلِزَوْجِك فَلا يُخْرِجَنَّكمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)] (طه/١١٧)، فجاءت التحذيرات تترى، قال تعالى: [(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكونُوا مِنْ

---

١ – احْتَنَك فلانًا: استولى عليه واستماله. احْتَنَك الشيءَ: استأْصَله. احْتَنَك الدَّابةَ: جعل في حنكها الأسفل حَبْلًا يقودُها به.

أَصْحَابِ السَّعِيرِ)] (فاطر/ ٦) ومثلها الآية ٢٤ من سورة الأعراف، [(وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)] (الزخرف/ ٦٢)، [(... إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإنسان عَدُوٌّ مُّبِينٌ)] (يوسف/ ٥)

سلطان إبليس

وردت كلمة إبليس كما سبقت الإشارة إليه أحدى عشرة مرة وكل حول قصة آدم وعدم سجود إبليس له عدى في آيتين: [(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبليس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)] (سبأ/ ٢٠)، والثانية في سورة الشعراء [(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إبليس أَجْمَعُونَ)]. ولما كانت الدنيا دار فتنة، وكان الإنسان مختارًا فيها، أعطى الله إبليس بعض السلطان على بني آدم، فقال تعالى للشيطان؛ [(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ...)][1] (الإسراء/ ٦٤)، وقال: [(أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)] (مريم/ ٨٣). و قال: [(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِك حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)] (المجادلة/ ١٩)

ومع كلّ ذلك يبقى الشيطان وكيده ضعيفًا أمام عباد الله وحزبه: [(...إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)] (النساء/ ٧٦)، وقال الله تعالى للعاصي إبليس: [(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَك عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَك مِنَ الْغَاوِينَ)] (الحجر/ ٤٢)، [(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كنتُم مُّؤْمِنِينَ)] (آل عمران/ ١٧٥)

قَبِيْلُ الشيطان وذريته وجنوده

لقد حدّثنا القرآن الكريم بأن الشيطان له قبيل وذرية وأعوان وحزب وجند وخيل ورجال، وحذّرنا منهم جميعًا، واليك نماذج من الآيات الشريفة:

[(... إبليس كانَ مِنَ الجنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ...)] (الكهف/٥٠)، وكذلك سورة طه الآيات ١١٦-١٢٣، وقال تعالى: [(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِك وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِك وَرَجِلِك...)][2] (الإسراء/ ٦٤)، [(... إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ...)] (الأعراف/ ٢٧)، [(وَجُنُودُ إبليس أَجْمَعُونَ)]

١- إستفزز: استخِفّ و استعجلْ و أزعِجْ.

٢- بخيلك و رجلك: بكلّ راكب و ماشٍ في معاصي الله. الرَجِل: القِوى.

(الشعراء/٩٥).

عبادة الشيطان

وقد عبد بنو آدم الشيطان وهو لهم عدو، رغم ما حذرهم الله تعالى وعهدً اليهم، فما ارتعـوا، فمنهم من عبده حقيقة ومنهم من عبده إطاعةً: [(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)] (يس/ ٦٠)، والنبي ابراهيم يحذر آزر من أن يقع في فخ الشيطان، فيقول لـه: [(يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)] (مريم / ٤٤)

وتبقى عناية الله وحفظه للإنسان الضامن لسلامته وتحرره من الشيطان، إن أطاع الإنسان ربّه: [(... وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)] (النساء/ ٨٣)

غايات إبليس وتعاليمه

أورد ربّ العُلى صفات للشيطان، ولما سبق له أن حذّرنا من إبليس والشيطان، فان في ذكـر صفاته نهي لنا عن الإتيان بها، وبيّن لنا عاقبة إطاعة الشيطان، قال العزيز الحكيم في محكـم كتابـه الكريم: [(الشَّيْطَانُ يَعِدُكمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكم بِالْفَحْشَاء...)] (البقرة/ ٢٦٨)، وقال: [(... وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكرِ)] (النور/ ٢١)، أما الشيطان فقد توعد الإنسان أيّما وعيد بقوله: [(وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْـقَ اللّـهِ ...)][1] (النساء/ ١١٩).

ومما نُسب إلى الشيطان من أعمال:

١- نسبة الإنساء للشيطان:

[(... فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُـرَهُ...)] (الكهـف/ ٦٣)، [(... فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكرَ رَبِّهِ...)] (يوسف/ ٤٢)، [(... وَإِمَّا يُنسِيَنَّك الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)] (الأنعام/ ٦٨).

٢- زلل الشيطان:

[(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كسَبُواْ...)] (آل

١- ليبتكنَّ: بتَّك الأُذنَ قَطَّعَها وشقَّها.

عمران/ ١٥٥)

٣- رِجْس الشيطان ورِجْزه وإيقاع العداوة:

[(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)] (المائدة/ ٩٠-٩١)١، [(... وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ...)]٢ (الأنفال/ ١١)

٤- إضلال الشيطان وخذله:

[(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا)] (النساء/ ٦٠)، [(... وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا)] (الفرقان/٢٩)

٥- التزيين والوسوسة والتسويل:

[(تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)] (النحل/ ٦٣) وقوله تعالى: [(الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)] (محمد/ ٢٥)

٦- مَس الشيطان والجنون:

[(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...)] (البقرة/ ٢٧٥)، [(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)] (الأعراف/ ٢٠١). [(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)] (سورة ص/ ٤١)

٧- استراق السمع:

قبل بعثة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن الشياطين والجنّ محجوبون

١- المَيْسرُ: قِمَار، مُقامرة، كلّ لعب فيه مُراهنة. الأنصاب حجارة حول الكعبة يعظمونها

الزَّلَمُ: السهم الذي لا ريش عليه، وكان أهلُ الجاهلية يستقسمون بالأزلام، وكانوا يكتبون عليها الأمرَ أو النهي ويضعونها في وِعاء، فإذا أراد أحَدُهم أمرًا أدخَلَ يده فيه وأخرجَ سهمًا فإن خرج ما فيه الأمرُ مضى لقصدِه، وإن خرج ما فيه النّهي كَفَّ.

الرِّجْسُ: القَذَرُ و الرِّجْسُ الشيءُ القَذِر و الرِّجْسُ الفعلُ القبيح و الرِّجْسُ الحرامُ و الرِّجْسُ اللَّعنةُ.و الرِّجْسُ الكُفْرُ. و الرِّجْسُ العذابُ. ورجْسُ الشَّيْطَان: وسْوَسَتُه. والجمع: أَرْجاس.

٢- الرُّجْزُ: الذَّنْبُ. و الرِّجْزُ: العذابُ. وفي التتريل العزيز: (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ.) الرِّجْزُ: عبادة الأَوثان. وفي التتريل العزيز: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرِّجْزُ: الشِّرْكُ. رِجْزُ الشيطان: وَسْوَسَته.

عن السماء، فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة منعهم عن اســتراق الســمع. [(وَحَفِظْنَاهَا مِن كلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيم * إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّــبِينٌ)] (الحجــر/ ١٧- ١٨) [(لا يَسَّمَّعُونَ إِلى الْمَلا الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كلِّ جَانِبٍ)] (الصافات/ ٨)

٨- الشيطان القرين:

ومن صفات الشيطان؛ القرين. قال تعالى:[(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَــا خَلْفَهُمْ ..)] (فصلت/٢٥) [(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُــوَ لَــهُ قَــرِينٌ)][1] (الزخرف/ ٣٦)، [(... وَمَن يَكنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا)] (النساء/ ٣٨)

في الآية الكريمة الأولى نسب الله سبحانه وتعالى لنفسه تقييض القُرناء، ولكن جاءت آية سورة الزخرف توضّح إن التقييض لم يأتِ فرضًا من الله وهو العادل، بل جاء نتيجة عمل بعض النــاس، فمن يعشُ عن ذكر الله يكون هذا حاله.

٩- المَريد:

ومن صفاته أيضًا المريد وتعني الخَبيثُ المُتَمَرِّدُ الشرِّيرُ. قال جل وعلا: [(وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا)] (النساء/ ١١٧)

وفي آي القرآن الكريم المزيد. ونكتفي بهذا القدر.

الشيطان وتعليم السحر (قصّة المَلَكين هاروت وماروت)

وردت قصة هذين الملكَين هاروت وماروت في سورة البقرة، قال تعالى: [(وَاتَّبَعُواْ مَــا تَتْلُــواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْك سُلَيْمَانَ وَمَا كفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكنَّ الشَّيْاطِينَ كفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّــحْرَ وَمَــا أُنزلَ عَلَى الْمَلَكيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ..)] (البقرة/ ١٠٢) «والقصة باختصار أنهمــا ملكــان بعثهما الله تعالى لأجل تعليم الناس طريقة إبطال السحر، حيث إنّ السحرة كثروا في ذلك الزمــان، ولأن تعليم الناس طريقة إبطال السحر لا يمكن إلا بعد تعليمهم القواعد السحر واصوله، فكــان لا بدَّ من تعليم الناس السحر أولاً.

ويُذكر أن هذين المَلكَين بعثهما الله إلى نبي ذلك الزمان فعلّماه السحر وما يبطــل بــه، وأدى ذلك النبيّ بدوره ما تعلّمه منهما إلى الناس، وأمر النبي المَلكَين أن يظهرا للنــاس بصــورة بشــرَين

---

١ - عَشا، يعشو: ساء بصرُه باللّيل وبالنّهار أو أبصر بالنّهار ولم يبصر باللّيل أو عمِي، عشَا عن الحَقِّ: أعرضَ، غَفَلَ، انصرفَ عنه.

ويعلماهم ما علمهما الله ويعظاهُم. فإذن هذا الأمر كان بتوجيه وأمر من الله تعالى، وليس من عند الملَكين أنفسهما. يقول القرآن الكريم: [(وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)] أي إن اليهود – لأن الكلام كان عنهم – اتّبَعوا السحر الذي قرأته الشياطين في زمن سليمان (على نبيّنا وآله وعليه السلام)، حيث إن إبليس كتب السحر ودفنه تحت كرسي سليمان عليه السلام، ليتصوّرَ الناس أن سليمان نال ما نال من المكانة من خلال السحر، وزعمت الشياطين ذلك أيضًا [(وَمَا كفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكنَّ الشَّيْاطِينَ كفَرُواْ)] فسليمان ليس له علاقة بالسحر الذي هو بمنزلة الكفر، وإنّما الشياطين هم الذين نسبوه اليه: [(يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ)] أي هاروت وماروت [(حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكفُرْ)] أي تعليمنا لكم السحر هو ابتلاء، إذ السحر سلاح ذو حدّين، إما أن تستخدموه لإبطال السحر وهو الجانب الخيّر، أو لعمل السحر، وهو الجانب السيئ، ولكن هناك قصة أخرى ذُكرت لهاروت وماروت قد تتنافى مع عصمة الملائكة، وملخص تلك القصة: (أنّ هاروت وماروت ملَكان اختارهما الملائكة لما كثُر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحرّمة، وأن الله يعذّبهما ببابل، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر، وأن الله تعالى مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزُهرة»[1]. يُذكر أن هذا الكلام طُرح على الإمام العسكري عليه السلام فقال: «معاذ الله من ذلك، إنّ الملائكة معصومون من الخطأ محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله»[2].

أما الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقد أجاب على سؤال للمأمون حول هاروت و ماروت قائلاً: «وأما هاروت وماروت فكانا ملَكين علّما النّاس السحر ليحترزوا به من سحر السحرة، ويُبطلوا به كيدهم، وما علّما أحدًا من ذلك شيئًا إلا قالا له: إنّما نحن فتنةٌ فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالإحتراز منه»[3]. كما وضّح الإمام الرضا للمأمون في ردّ قول إن كوكب الزهرة وكوكب سُهيل كانا إنسانين فمسخهما الله بقوله: «كذبوا في قولهم: إنهما كوكبان... وما كان الله تعالى ليَمسخ أعداءه أنوارًا مضيئةً ثمّ يُبقيهما ما بقيت السماء والأرض، وانّ المُسوخ لم تبقَ أكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم

---

١ – النصراوي، حسين: الملائكة في التراث الإسلامي، ط١، العتبة الحسينية، دراسة تحليلية، كربلاء ٢٠١٢م، ص٦٠–٦٢.
٢ – الحسيني البحراني، السيد هاشم: البرهان في تفسير القرآن،، موسسة البعثة، قم (د.ت)، ج١، ص٢٩٧.
٣ – الحسيني البحراني، ص٢٩٨.

مسخ»[1]. ولو أمعنّا النّظر في الروايات التي أشارت إلى مسخ الزهرة والتي كانت امرأة فُتن بها هاروت وماروت سنرى انها تشبه الإسرائيليات، وهذا ما قرره العلامة الطباطبائي في الميزان فقال: «فهذه القصة.. تطابق ما عند اليهود على ما قيل من قصه هاروت وماروت، تلك القصة الخرافية التي تشبه خرافات يونان في الكواكب والنجوم»[2].

فِريَة الغرانيق

وردت آية التمنّي في سورة الحج، ودخلت في تفاسيرها الإسرائيليات للتشكيك في القرآن الكريم، بل بما يوحى إلى الأنبياء ودسّوا أن وسوسة الشيطان قد تختلط مع الوحي الإلهي دون أن يلتفت اليها النبي!! فلنستمع إلى الآية الكريمة وما بعدها، قال العزيز الحكيم: [(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)][3] (الحج/ ٥٢-٥٣)

ومعنى الآية على أول المعنيين وهو كون التمني هو تمني القلب: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى وقدر بعض ما يتمناه من توافق الأسباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به ألقى الشيطان في أمنيته وداخل فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فأفسد الامر على ذلك الرسول أو النبي وأبطل سعيه فينسخ الله ويزيل ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته بإنجاح سعي الرسول أو النبي وإظهار الحق والله عليم حكيم.

والمعنى: على ثاني المعنيين وهو كون التمني بمعنى القراءة والتلاوة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا وقرأ آيات الله ألقى الشيطان شبهات مضلة على الناس بالوسوسة ليجادلوه بها ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم فيبطل الله ما يلقيه الشيطان من الشُبَه ويذهب به بتوفيق النبي لرده أو بإنزال ما يرده.

« فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ» التفات من التكلم بالغير إلى الغيبة

---

١ – نفس المصدر.

٢ – الطباطبائي، السيد محمدحسين، تفسير الميزان، ج١، ص٢٣٩.

٣ – التمني تخيّل الإنسان وجود ما يحبه سواء كان ممكنا أو ممتنعا، والأصل في معناه المني بالفتح فالسكون بمعنى التقدير وقيل: ربما جاء بمعنى القراءة والتلاوة يقال تمنيت الكتاب أي قرأته. والالقاء في الأمنية المداخلة فيها بما يخرجها عن صرافتها ويفسد أمرها.

والوجه فيه العناية بذكر لفظ الجلالة وإسناد النسخ والاحكام إلى من لا يقوم له شيء، ولذلك بعينه أعاد لفظ الجلالة ثانيًا مع أنه من وضع الظاهر موضع المضمر ومنه أيضا أعاده لفظ الشيطان ثانيًا دون ضميره ليشار إلى أن الملقى هو الشيطان الذي لا يعبؤ به وبكيده في قباله تعالى، وكان الظاهر أن يقال: فينسخ ما يلقيه ثم يحكم آياته». لذا ذكر سبحانه في هذه الآية أن هذه الالقاءات الشيطانية محنة يمتحن بها الناس عامة. وفي الدر المنثور: قرأ رسول الله (ص) بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا. ثم جاء جبريل بعد ذلك قال: أعرض عليَّ ما جئتك به فلما بلغ «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» قال جبريل لم آتك بهذا، هذا من الشيطان فأنزل الله «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي» الآية... على أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان في لسانه (ص)بإلقاء آية أو آيتين في القرآن الكريم لارتفع الأمن عن الكلام الإلهي فكان من الجائز حينئذٍ أن يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان... وبذلك يرتفع الاعتماد والوثوق بكتاب الله من كل جهة وتلغو الرسالة والدعوة النبوية بالكلية جلت ساحة الحق من ذلك[1].

١- الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٤، ص٢٩٠-٢٩٧ بتلخيص.

الإستنتاج

إن الله خلق كائنات مسيّرة غير مخيّرة، وهم الملائكة، خلق خلقًا مختارين، لهم أن يؤمنا ولهم أن يكفروا، ولما عصى إبليس واستحب الكفر، أوكله الله إلى نفسه، ولم يسلبه قدرة الإغواء والمكر والإضلال، فوسوس لآدم فاخرجه من الجنّة، وظل يغوي ذريته، هو وقبيله وجنوده. ولما كانت الشياطين ذات قدرة على الإغراء، فلا يمكننا أن ننفي أن بامكانها التحدث إلى البشر وتزيين الشرّ لهم، بل هي تتنزّل عليهم أيضًا، كما تتنزل الملائكة على المؤمنين [(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)] (فصلت/ ٣٠)، ولا يتبعد الباحث إمكان أن تتنزل الشياطين على الشعراء وتوحي اليهم زخرف القول غرورًا، وتلهمهم ببعض ما قالوا، وكلّما ازداد الإنسان إفكًا ازدادت علاقة الشيطان به وأعانه على كثير مما يريد. قال تعالى: [(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)] (الشعراء/ ٢٢١-٢٢٢)

وبعد هذا فلا أبالي أن يقول محمد صادق حسن: «فلو اعتقدنا بسلطان الشيطان ونفثه، لما أصبح للموهبة وحِدّة القريحة تأثير في القول، ولما أصبح لتعلّم الشعر وتهذيبه مكان في نظمه، ولكان أمر إنشاء القصيدة توقيفًا على الشيطان إلا أننا نظنّ أن الشيطان يوسوس للشاعر بالسوء في أثناء إنشاده كما يوسوس لنا أثناء الكلام»[١]. وسنناقش ذلك في مناقشتنا لسورة الشعراء إن شاء الله تعالى.

---

١ - عبد الله، محمد صادق حسن: خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٧٧-٧٨.

الفصل الخامس

الجِنّ

في الأدبين الجاهلي والإسلامي

التعاريف

الجنّ لغة:

«جنن: جنّ الشيء يجنّه جَنًّا: ستره. وكل شيء سُتر عنك فقد جنّ عنك. وجنَّه الليل يجنه جنًّا وجنونًا وجُنّ عليه يُجنّ – بالضم – جُنونًا، وأجنه: ستره... وفي الحديث: جنّ عليــه الليــل؛ أي: ستره، وبه سُمي الجنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار؛ ومنه سُمي الجنين لاستتاره في بطن أمــه. وجنّ الليل وجنونه وجنانه: شدة ظلمته وادلهمامه، وقيل: اختلاط ظلامه؛ لأن ذلك كله ساتر؛ قال الهذلي:

حتى يجيء وجنّ الليــل يوغلــه   والشوك في وضح الرجلين مركوز

... وحكي عن ثعلب: الجنان؛ الليل. يقال جنّ عليه الليل، وأجنه الليل إذا أظلم حتى يســتره بظلمته. ويقال لكل ما ستر: جنّ وأجن. ويقال: جنّه الليل، والاختيار جنّ عليه الليل وأجنّه الليل؛ استجنّ فلان إذا استتر بشيء. وجنّ الميت جنا وأجنه: ستره؛ قال وقول الأعشى:

ولا شَــمطاءَ لم يتــرك شَــفاها   لهــا مــن تســعة إلا جنينــا

فسَّره ابن دريد فقال: يعني مدفونا؛ أي: قد ماتوا كلهم فجنوا. والجنن – بالفتح: هو القــبر لستره الميت. والجنن أيضا: الكفن لذلك. وأجنه: كفنه؛ قال:

مَا إن أبالي إذا ما مِتُّ مَا فَعَلُــوا   أأحسَنوا جُنني أم لَــم يَجنّــوني

... وفي الحديث: وُلي دفن سيدنا رسول الله – صلى الله عليه [وآله] وسلم – وإجنانه علــيّ والعباس؛ أي: دفنه وستره. ويقال للقبر: الجنن، ويجمع على أجنان؛ ومنه حديث علي – رضي الله عنه: جعل لهم من الصفيح أجنان.

والجَنان – بالفتح: القلب لاستتاره في الصدر، وقيل: لوعيه الأشياء، وجمعه لها، وقيل: الجنــان روع القلب، وذلك أذهب في الخفاء، وربما سُمي الرّوح جنانا؛ لأن الجسم يجنه.

والجن: ولد الجان. ابن سيده : الجنّ نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، ولأنهــم استجنّوا من الناس فلا يُرَون، والجمع: جنّان، وهم الجِنّة. وفي التنزيل العزيز: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ؛ قالوا: الجِنة ههنا الملائكة عند قوم من العرب، وقال الفراء في قوله تعالى: وَجَعَلُوا بَيْنَــهُ

وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا، قال: يقال الجِنة ههنا الملائكة، يقول: جعلوا بين الله وبين خلقه نسبا، فقالوا: الملائكة بنات الله، ولقد علمت الجِنَّة أن الذين قالوا هذا القول محضرون في النار. والجني: منسوب إلى الجنّ أو الجنة. والجِنّة: الجن، ومنه قوله تعالى: من الجِنّة والناس أجمعين ... الجوهري: الجنّ خلاف الإنس، والواحد جنّي سميت، بذلك لأنها تخفى ولا تُرى. جنّ الرجل جنونا وأجنه الله، فهو مجنون... وقال مدرك بن حصين: وقوله:

وَيحكِ يا جنّي هل بَدا لكِ   أن تُرجعي عقلي فقد أنّى لكِ؟

إنما أراد مرأة كالجنية، إما في جمالها، وإما في تلونها وابتدالها... والجِنّة: طائف الجن، وقد جنّ جنا وجنونا واستجنَّ؛ قال مليح الهذلي:

فلَم أرَ مثلِي يَستَجنُّ صَبابَة   مِنَ البَيْن أو يَبكي إلى غيرِ واصِل

... والجُنُن – بالضم: الجنون، محذوف منه الواو؛ قال يصف الناقة:

مِثلَ النّعامة كانت وهيَ سائِمةً   أذناءَ حتى زَهاها الحِين والجُنُنُ

جاءت لِتَشري قَرنًا أو تعوِّضَهُ   والدهرُ فيه رباحُ البيعِ والغُبُنُ

فقيلَ أذناكِ ظلم ثُمَت اصطلمتْ   إلى الصِّماخ فلا قَرنٌ ولا أذنُ

والمَجَنّة: الجنون. والمجنة: الجن. وأرض مجنة: كثيرة الجن: بات فلان ضيف جن؛ أي: بمكان خال لا أنيس به؛ قال الأخطل في معناه:

وبِتنا كأنّا ضَيفَ جنّ بِلَيلةٍ

والجان: أبو الجن، خُلق من نار، ثم خُلق منه نسله. والجان: الجن، وهو اسم جمع كالجامل والباقر. وفي التنزيل العزيز: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ.

... المجانين: جمع تكسير لمجنون وأما مَجانون، فشاذّ كما شذ شياطون في شياطين... والجان: ضرب من الحيات، أكحل العينين، يضرب إلى الصفرة، لا يؤذي، وهو كثير في بيوت الناس. سيبويه: والجمع جِنّان... التهذيب في قوله تعالى: تهتز كأنها جانّ، قال: الجانّ حية بيضاء. أبو عمرو: الجانّ حية، وجمعه جوان؛ قال الزجاج: المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجانّ حركة خفيفة، قال: وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيات، ونحو ذلك قال أبو العباس؛ قال: شبهها في عظمها بالثعبان، وفي خفتها بالجانّ، ولذلك قال تعالى مرة: فإذا هي ثعبان، ومرة: كأنها جانّ؛ والجانّ: الشيطان أيضا... قال الأعشى يذكر سليمان– عليه السلام:

وسخَّر مِن جنّ الملائك تِسْعة قيامًا لديه يَعملونَ بِلا أجرِ

... وجنّ الشباب: أوله، وقيل: جدته ونشاطه، ويقال: كان ذلك في جنّ صباه؛ أي: في حداثته، وكذلك جنّ كل شيء أول شَداته، وجنّ المرح كذلك؛... والجَنَّة: البُستان، ومنه الجنات، والعرب تسمي النخيل جَنة... والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها: جِنَان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها. وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة، وليست بجنة، وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع. والجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها»[1].

وقد إستعملت العرب «جَنَّ» بمعنى خَفِيَ، منها قول حُمَيد بن ثور:

لَزَاحَمْتُ مِكْسالاً كأنَّ ثيابَها تُجنّ غَزالاً بالخَميلةِ أغيَدَا[2]

وقد ورد في كتاب إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، لحسام هاشم البيطار في معنى الجذر الثنائي لكلمة «جنّ» غير ما تقدّم ذكره: «قيل انّ الأصل جنّ هو من الستر... فهل هذا صحيح؟... ويبدو ان الجنّ، وهي المخلوقات المستورة عن العيون هي التي أوحت بمعنى الستر لهذا الأصل... [ولكن] جنّ، من الأصل الثنائي (جن) تعني الميل والعطف وليس الستر.»[3].

الجنّ اصطلاحًا:

وعرّفهما القزويني بلفظ «زعموا» فقال: «زعموا أن الجنّ حيوان ناري... واختلف الناس في وجوده، فمنهم من ذهب إلى أن الجنّ والشياطين مردة الناس، ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار، وخلق الجنّ من لهبها، والشياطين من دخانها، وأن هذه الأنواع لا يراها الناظر»[4].

---

١ – لسان العرب، ج٣، ص ٢١٧– ٢٢٠

٢ – الهلالي، حميد بن ثور، ديوان حُميد بن ثور الهلالي، صنعة عبدالعزيز الميمني، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ– ١٩٥١م، ص٤٧. الكسول التي لا تغادر مجلسها، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى. تُجنّ: تُخفي. الخميلة: ريش النعام، الأرض كثيرة الشجر.

٣ – البيطار، حسام هاشم، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة، الأردن – عمان ٢٠٠٥م، ط١، ص١٢٥–١٢٧. حقق الطالب (كاتب الرسالة) الترجمة الفارسية لهذا الكتاب تحت عنوان «اعجاز كلمه در قرآن كريم» ترجمة د. بيزن كرمي ميرعزيزي و بهرام بهرامي، صدر عام ٢٠١٧م في ايران عن دار نور كستر.

٤ – القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م، ص٣١١.

والدميري وصفها: «هي أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهـام وقدرة على الأعمال الشاقّة»[1] أي الأفعال الخارقة التي يعجز الإنسان عن القيام بها. أمـا الوصـف القرآني فقد أثبت أن خلقهم من مادة غير مادة الإنسان، وهذا ما سنتوسع ببحثه في موضـعه مـن الرسالة إن شاء الله.

الغول لغة

«غول: غاله الشيء غولاً واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدرِ. والغول: المنيّة. واغتاله: قتله غيلة، والأصل الواو. الأصمعي وغيره: قتل فلان فلانا غيلة أي في اغتيال وخفية، وقيـل: هـو أن يُخدع الإنسان حتى يصير إلى مكان قد استخفى له فيه مَن يقتله؛ قال ذلك أبو عبيد. وقـال ابـن السكيت: يقال غاله يغوله إذا اغتاله، وكل ما أهلك الإنسان فهو غول، وقالوا: الغضـب غـول الحلم أي أنه يهلكه ويغتاله ويذهب به. ويقال: أية غول أغول من الغضب. وغالت فلانا غـول أي هلكة، وقيل: لم يدر أين صقع. ابن الأعرابي: وغال الشيء زيدًا إذا ذهب به يغوله. والغَول: كـل شيء ذهب بالعقل. الليث: غاله الموت أي أهلكه؛... وتغولت الغول: تخيلت وتلونت؛ قال جرير:

فيومًا يوافِيني الهَوى غير ماضِـي ويومًا تُرى مِنهنَّ غَـولاً تغـول

... وتغوّلتهم الغول: توّهوا. وفي حديث النبي، صلى الله عليه [وآله] وسلم: عليكم بالدلجـة فإن الأرض تُطوى بالليل، وإذا تغوَّلت لكم الغيلان فبادروا بالأذان ولا تنزلوا على جواد الطريـق ولا تُصلّوا عليها فإنها مأوى الحيات والسباع، أي ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها، وفي الحديث: أن رسول الله، صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: لا عدوى ولا هامـة ولا صفر ولا غول؛ كانت العرب تقول إن الغيلان في الفلوات تراءى للناس، فتغول تغولاً أي تلون تلونًا فتضلهم عن الطريق وتهلكهم، وقال: هي من مردة الجنّ والشياطين، وذكرها في أشعارهم فاش فأبطل النبي، صلى الله عليه [وآله] وسلم ذلك... والغول: بُعد المفازة لأنه يغتال من يمر به»[2].

---

١ – الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، بـيروت، (د.ت)، ج١، ص١٨٥.

٢ – ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١١، (باب غول) (بتلخيص)

الجنّ في الأدب الجاهلي

أبيات من صراع الإنسان والجان

إن واحدة من أبرز الصور التي صوّر بها العرب الجنّ، عداءها لبني البشر وللخير، وبالرغم من عدم وجود ميدان للتنافس والتزاحم بين هذين الكائنين العاقلين، في عيشهما ورزقهما، إذ كل يعيش في عالمه، فانه لم يُعرف السرّ بعد في عدائهما للآخر، وإن كان الإنسان يعتقد إن الجنّ هم الذين يعدون على الإنس ويتربّصون بهم الشرّ، ويعزو البعض سرّ ذلك إلى أن الجنّ بأنواعه موجودات شريرة لا تحبّ الخير، ويرجح البعض الآخر انّ سبب ذلك إلى طرد إبليس – الذي كان من الجنّ– من ملكوت السموات بعد أن استكبر عن السجود لآدم! وقد نطق الجاهليّون عن لسان إبليس وهو يُحاجج آدم:

تنَحَّ عن الجِنان وساكِنيها	ففي الفردوس ضاقَ بكَ الفسيحُ
وكنتَ بها وزوجك في رخاءٍ	وقلبُكَ مِن أذى الدنيا مريحُ
فما برِحتْ مُكَايدتي ومَكري	الى أن فاتَكَ الثَّمنُ الربيحُ[1]

وقابله عداء أبناء آدم للشيطان الذي وسوس لأبيهم وأمّهم فأخرجهما من الجنة فشَقيا. وذهب آخرون إلى أن الجنّ سكنوا الأرض قبل الإنس فأفسدوا فيها، فطُردوا منها وسكنوا بعض الصحارى والوديان، كما مرّت الإشارة اليه.

وهذا عنتر بن شداد يتأفف من مفاعيل الدهر الذي يأخذ كل من يُحب قُرْبه، ويبعث له شياطين الحرب:

كَم يُبعدُ الدّهر مَن أرجو أُقارِبُهُ	عنّي ويبعثُ شيطانًا أُحارِبُهُ[2]

أما قوم عامر بن الطفيل فقد تعرّضوا لهجوم أعدائهم وغُلبوا على أمرهم، فشبّه عامر عدوانية الأعداء بالجن:

فلو كانَ جمعٌ مِثلُنا لم يَبزُّنا	ولكن أتانا كلُّ جنّ وخابلُ[3]

---

١ – القرشي، ابو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٦.

٢ – عنترة بن شداد، ديوانه (شرح مجموعة من الأدباء) مكتبة الحضارة، دمشق (د.ت)، ص٥١.

٣ – عامر بن الطفيل: ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٩١.

ووصف الأسدي الطاعون بأنه رماح الجنّ على ما كانت تعتقده العرب، فقال للملك الغساني الحارث:

ولكنّي خَشَـيتُ علـى أُبَـيَّ رماحَ الجـنّ أو إيّـاكَ حـارِ[1]

أو قول زيد بن جندب الأيادي أيضًا يصف قوما لا تهزمهم الحروب، بل هزمهم القدَر:

ولولا رماحُ الجنّ ما كـان هـزَّهُم رماحُ الأعادي مِن فصيحٍ وأعجَم[2]

وورد الطاعون أيضًا على لسان حسان بن ثابت على أنه وخز الجنّ، فقال يصف الطاعون الذي حلّ بأهل الشام:

فأعجلَ القومَ عن حاجاتِهم شُـغُلٌ من وخزِ جنّ بأرضِ الروم مذكورُ[3]

اقتحام الأهوال

أُعجب العرب بالقوة وأعجبوا بالشجاعة لأن الشجاع قوي القلب ثابت الجنان، شديد الثقة بقدرته وطاقاته، «والشجاعة سِمة لسكان الصحراء، وإن مَن يقرأ أشعار الجاهليين يرى إلى أي حدّ احتفلوا بها وفخروا ومدحوا. بأعمال البطولة كان يُقاس إعجاب الفتيات بالفتيان»[4]. وبالقوة يفاخِر الفتيان.

وأهم مواطن الشجاعة عدم الخوف من الجنّ في الفلوات والمفاوز، لذا فان عنترة بن شداد الذي عُرف ببأسه الشديد، لا يهاب الجنّ فحسب، بل الجنّ يفرُق منه ويخاف، حتى إنهم ليتهامسون ويهمهمون فيما بينهم كي لا يَسمع لهم حسيسًا، فيقول:

والجنّ تَفْرُقُ حولَ غابات الفَـلا بهمـاهمٍ ودَمـادِمٍ لم تُغفَـل[5]

أما المثل السائر الذي يقول: «الحمى أضرعتني للنوم» فقصته تخص خصام بين الجنّ والأنس، حيث خطفت الجنّ رجلين من قبيلة كلب، فأقسم أخوهما أن ينتقم من الجن، فذهب إلى الجبل الذي

---

١ – الحيوان، ج٦، ص٢١٩.
٢ – نفس المصدر، ص٢١٩.
٣ – حسان بن ثابت، شرح ديوانه، ص١٧٠.
٤ – ضناوي، د. سعدي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣، ط١، ص١٠٤.
٥ – عنترة بن شداد، ص١٣٤.

قتلا فيه، فرأى حية من الجنّ بعد سبعة أيام فرماها بسهم فقتلها، فأصابته حمّى فنـام، فأتـاه جنّـي فحمله وقال له: ما أنامك وقد كنت حذرًا، فقال: الحمى أضرعتني للنوم. وقال:

غزوتُ الجنّ أطلبهُم بثـأري   لأسقيهُم بـه سُمًّا نقيعًا
فيَعرِض لي ظليمٌ بعد سبْعٍ   فأرميهِ فأتركهُ صريعًا[1]

وفي البيتين التاليين يربط أمية بن أبي الصلت بين الأفعى التي لا يؤمن مكرها والتي كانت السبب في خروج آدم من الجنّة وبين الجنّي أو الشيطان الذي لا تُقبل منه توبة وبين الآدمي، فقال:

كـَذي الأفعى يُربّيها لديـهِ   وذي الجنّـي أرسلهُ يُسابُ
فلا رَبُّ المَنيَّةِ يأمَنُها   ولا الجنّي أصبحَ يُستتابُ[2]

ولقد زعم العرب أن الجنّ قتلوا من الإنس أشخاصًا. وممن قتلته الجنّ على ما زعموا، حرب بن أمية لأنه قتل حية، وبعد قتله قالت فيه الجنّ بيتًا:

وقَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفْرٍ   وليسَ قُربَ قبرِ حَربٍ قبرُ[3]

وحتى في العصر الإسلامي استُغلّت هذه الفكرة، فتم تصفية واغتيال سيد الأنصار سعد بن عبادة بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لمخالفته البيعة مع فريق آخر من المهاجرين والأنصار واتهموا الجنّ الأبرياء بقتله[4]. ونقلوا عن لسانهم:

قد قتَلْنا سيد الخزرَ   ج سعدَ بن عبادَة
ورَميناهُ بِسَهمينِ   فلم نُخْطِ فؤادَه[5]

ولم يقتصر أذى الجنّ على الإنس، بل تعدّاه إلى الحيوان، فربما تنفر الدابة أو تفزع عندما ترى الجن، أو يتلبّس بها، كقول الأعشى يصف ناقته فيقول:

وتُصبِحُ مِن غَبِّ السُرى وكأنّما   أَلَمَّ بها من طائف الجنّ أوْلَقُ[6]

---

١ – الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٥٦.
٢ – أمية بن أبي الصلت: ديوانه، ص٥١.
٣ – الحيوان، المصدر السابق ال، ص٢٠٧.
٤ – الخالصي، محمد: في سبيل الله؛ سيرة ذاتية ومذكرات جهادية، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٦م، ص٦٦. (حقق الباحث كاتب الرسالة هذا الكتاب وقدّم له فليُراجَع).
٥ – الحيوان، ج٦، ص٢٠٩.
٦ – الأعشى، ديوانه، ص١١٨. أولق: الجنون

والطائف من الطيف وهو الغضب والجنون وما يراه الشخص في النوم أو الخيال. وقد نُسب في القرآن بهذا المعنى إلى الشيطان. قال تعالى: [﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾] (الأعراف/ ٢٠١).

أبيات في الإحتراس من الجنّ

انقسم العرب إلى أقسام بشأن الجنّ، فبعضهم استسلم إلى الجنّ وخضع لسلطانه إن عنّ له، وبعضهم توقّى منه بالرقى والتعاويذ واللجوء إلى الكهنة أحيانًا. وللجنّ أيضًا كرامتها، فهي تحمي حماها وتدافع عنه وتأبى أن يُمَسَّ بسوء. لذلك كان البدوي دائمًا يخاف أن يدوس على أرضها دون معرفة منه وإذن منها. فاذا جاء واديًا عُرف بأنه موطن لها، كان يبدأ بالسلام على «سيد ذلك الوادي» طالبًا الإذن بالمرور أو النزول في جواره، حتى إذا سمع صوتًا أو رأى إشارة يفسّرها قبولاً وترحيبًا، يطمئن ويرتاح. أما في الحالات الأخرى فانه يستشعر خوفًا لا يوصف، ويهيأ له سماع صوت فتطير نفسه ويخال الجنّ غضبى عليه لأنه اقتحم عليها ديارها، أو لأنه قتل غزالاً في أرضها قد يكون أحد أفرادها قد تشكّل بهيئته، فيحسب ألف حساب لانتقامها السريع ولصنوف العذاب التي يمكنها أن تلحقها به؛ ويُصبح في هلع تام، يفزع من كلّ ما يراه، من الأليف والمفترس، من الخيال الذي يطوف، من الأحلام التي تداعب أجفانه، ويرى في كل شيء وفي كلّ حركة نذيرًا. وهو بالنتيجة إذا لم يُقيّض له الخروج من التجربة، أو إذا نفد الماء منه والزاد، أو هبّت عليه أعاصير تاه إثرها، فانه يكون في أذهان معاصريه ضحية القوى الخفيّة تُرسّخ فكرة الجنّ والعفاريت لدى مَن خلفه.

ومثال ذلك ما روي عن حجاج السلمي الذي نزل وقومه بوادٍ موحش، فجعل يطوف بالركب ويقول:

أُعيذُ نفسي وأُعيذُ صحبي من كلّ جنّي بهذا النقبِ
حتى أؤوبَ سالمًا وركبي[1]

وساد لديهم اعتقاد بأن الجنّ سكنوا قبل الإنس في الأرض، فتحاشوا الإقتراب من مواطن الجن، مثل وادي «برهوت» و «يبرين» و «صهيد» وهذه المناطق كانت قرى لقبائل عاد وثمود،

---

١ – الأعشى، ديوانه، ص١٤٦.

فلما بادوا سكنها الجن[1]. فكانوا إذا هبطوا واديًا مما يخشى أن يكون موطنًا للجان قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ليأمنوا شر الجنّ[2]. أو قالوا: أعوذ بصاحب هذا الوادي، أو بعظيم هذا الوادي من الجنّ الليلة ومن شرّ ما فيه. وبذلك يكونون في حمى الجانّ ويأمن مكرهم. وكان أحدهم إذا ظلّ في الصحراء صرخ متعوّذًا؛ «ألوحا ألوحا، النجا النجا، العَجَل العَجَل، الساعة الساعة، فكأنه يتعوّذ بذلك من شرّ الضلال ومغبّته»[3]. أو يقول رافعًا صوته: «أنا مستجير بسيد هذا الوادي»[4].

وربما كان في كلامهم وهم يخاطبون الجنّ نوع من الخنوع والتمجيد، وخاصة لسيد الجن، ليحميهم من أتباعه أو المردة، وبذلك قال الشاعر:

أعوذُ من شرّ البلادِ البِيدِ   بسيّدٍ معظَّمٍ مجيدِ
أصبحَ يأوي بِلَوى زَرْوُد   ذي عزّةٍ وكاهلٍ شديدِ[5]

وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى بخصوص ما ورد على لسان الجنّ: [(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الانسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجنّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)] (سورة الجنّ ٦).

ومن اللطيف ما ورد في الآثار من إن رجلاً استجار بعظيم وادٍ نزل فيه، ولكن ليثًا افترس ابنه، فأنشد:

قد استعذنا بعظيمِ الوادي   من شرّ ما فيه من الأعادي
فلم يُجِرنا من هِزَبرٍ عادي[6]

ومع ذلك لم يكن هذا الأمر عامًا بين العرب، ففيهم من تبرّأ من عبادة الجنّ والأوثان كما نُقل عن زيد بن عمرو بن نفيل الذي خلع عن نفسه الرضوخ للأوثان والجنّ وأنشد:

أربًا واحدًا أم ألفَ ربٍ   أدينُ إذا تقسّمتِ الأمورُ
عزلتُ اللات والعزى جميعًا   كذلك يفعلُ الجلِدُ الصبور

---

١ – عبد الحكيم، شوقي: مدخل لدراسة الفلوكلور والأساطير العربية، ط١، دار ابن خلدون، (د.م/ د.ت)، ص١٣١.
٢ – القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ج١٩، ص١٠.
٣ – خليل، احمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٠.
٤ – ابن هشام، عبدالملك: السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٩، ج١، ص١٥٣.
٥ – الآلوسي، ج٣، ص٣٢٦.
٦ – السيرة النبوية، ج٢، ص٣٢٥.

فلا العُــزى أديـــنُ ولا ابنتيهـــا   ولا صنمَيْ بـــني عمـــروٍ أزورُ[1]

ونُسبت إلى ورقة بن نوفل الذي كان على دين المسيحية وعالًما بالتوراة والإنجيل أبيات، منها:

أقولُ إذا جاوزتُ أرضًا مخوفَـــةً   حنانَيْكَ لا تُظهِر عليَّ الأعاديـــا

حنانَيْك إنِ الجنّ كانت رجاءَهمُ   وأنتَ الهـــي ربّنـــا ورجائيـــا[2]

وتحالف قسم آخر مع الجنّ ليأمن شرّه، أو حاولوا استرضاءه بالمال أو الفداء. وكانوا يقدّمون للجنّ فداءً ليشفوا من علّة أو سقم، وقال شاعرهم وقد أدى ذلك الفداء ولم يشفَ من مرضه:

قالوا وقد طالَ عنائي والسّـــقَم   احـــمِل إلى الجنّ جَمالاتِ وَضَمْ

فقد فعلـــتُ والسُـــقام لم يُـــرَم   فبالذي يَملكُ بُرئـــي أعتصِـــم[3]

ويقول آخر يشكو غضب الجنّ عليه وعدم قبولهم ما حمله اليهم، واستزادهم دونما انصاف:

ألا إنّ جنّانَ النُّـــويرةِ أصـــبحوا   وهم بينَ غضبانٍ عليَّ وآسِـــفِ

حمَلتُ ولم أقبل الـــيهم حَمالـــةً   تُسكّنُ عن قلب من السَّقم تالِفِ

ولو أنصفوا لم يطلبوا غيرَ حقّهم   ومَن لي مِن أمثالهم بالتناصـــفُ[4]

قبائل الجنّ والشياطين

ويعتقد العرب بأن للجنّ قبائل، وفيهم أشراف وسادة وكبراء، ومن قبائلهم؛ بنو غزوان[5] وبنو الشيصبان الذين ادعى حسان بن ثابت في جاهليته ان له منهم شـــيطان، وهـــم كُثـــر في العـــدد وشديدون في القوة. فقال:

---

١ – ونُقل بعبارة أخرى، أنظر: الوثنية في الأدب الجاهلي، ص١٧٢. ابنتيها: قد يكون المقصود اللات ومناة، بني عمرو: روى ابن الكلبي: بني غنم، وفي أصل الأغاني: بني طسم. يُنظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص ٤١٦.

٢ – الأغاني، المجلد الثاني، ج٣، ص١٦. حنانَيك: من الحنان، وتقول حَنَانَكَ يا رب و حَنَانَيْكَ يا رب بمعنى واحد. أي تحنن علـــيَّ يارب.

٣ – الآلوسي، ج٢، ص٣٥٩. جمالات: جمع جمل. وضم: خشبة القصاب التي يقطع عليها اللحم. وَضَمَ القومُ وَضَمَ: (يَضِـــمُون) وُضُومًا: تجمَّعوا وتقاربوا.

٤ – الآلوسي، نفس المصدر. النويرة: الأرض البائرة التي لم تزرع. التالف: الهالك.

٥ – داود، جرجس: أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والإجتماعي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م، ص٣٥٤.

ولِي صاحِبٌ مِن بني الشَيْصَــبان		فَطَورًا أقــولُ وَطَــورًا هُــوَه[1]

وبني زوبعة الجنّي الذي قال فيهم الشاعر:

إنّ الشــــياطِينَ أتــونِي أربَعَــة		في غبَشِ الليلِ وفــيهِم زَوبَعَــه[2]

ومنهم آل عذام الذين كانوا في الشام، ومنهم «شصار» رِئْي خنافر الحميَري، وبنــو مالــك، وبنو أقيْش[3]. وجاء وصف النابغة لفرسه يشبهه بجِمال بني الأُقِيْش التي تنفر من كلّ شيء، فكيف بها وهي تسمع صوت قعقعة مرعبة خلفها.

كأنّكَ من جِمــال بَــني أُقــيْشٍ		يُقعقِعُ خَلْــفَ رجلَيــه بِشَــنِّ[4]

ووصف رهبةَ حيّ بني أُقِيش وهوله الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة بقوله:

كــأنّي في نَــديَّ بــني أُقِــيْشٍ		إذا ما جئــتَ نــاديهُم تُهــالُ[5]

وبني يربوع، أو بني السُعلاة الذين هجاهم علياء بن أرقم.

يــا قاتَــلَ اللهُ بــني السِّــعلاة		عمرو بنَ يربوعَ شِرارَ النّــات[6]

اختلاف مسمّيات الجنّ

وَردت للجنّ مسمّيات عدّة في المصادر العربية، فسمّاهم بعض العــرب «جِــنّ» و «حِــنّ»، ويُقال انّ الحِن هم سفلة الجنّ وضعفاؤهم، وقد أنشد المتلمّس الضبعي:

أبيتُ أهوِي في شــياطِينَ تُــرِنْ		مُختَلفٍ نَجــواهُم حِــنٍّ وجِــنّْ[7]

---

١ – حسان بن ثابت: شرح ديوانه، عبد الرحمن البرقوقي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٩٦.
٢ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٣١.
٣ – نفس المصدر، ج٢، ص٦٣١.
٤ – حسان بن ثابت، المصدر السابق، ص٢٩٦.
٥ – لبيد بن ربيعة: ديوانه، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٤٩.
٦ – الجاحظ، المصدر السابق، ج٦، ص١٦١.
٧ – المتلمس الضبعي، ديوان، شرح وتحقيق محمد الونجي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٨٦.

وكانوا يسمّون الجنّ الذين سكنوا مع الناس عمّارًا ومفرده عامر، ومَن يعرض للصبيان منهم؛ روحًا، والخبيث المتعرّم؛ شيطان، وأخبث منه؛ المارد، والأقوى؛ عفريت، والطاهر النقيّ؛ مَلَك[1]، وهناك الجنّ الأحمر وهو أشرّ أنواع الجن، والنَسناس ويُسمّى أيضًا الشِقّ الذي هو جنّي له نصف جسد إنسان؛ عين ويد ورجل واحدة، و «جينان» (Gynan) جماعة من الجنّ في اعتقاد قبائل الدوجون يتميّزون بأن لهم ذراعًا واحدة وساقًا واحدة ويستقرون في الأشجار ويسببون المرض[2].

والتوابع التي ادّعى الشعراء أنها تلهمهم الشعر، والخُبّل الذي يتسبب بالخَبَل وهو اختلال في العقل، والغول التي تتغوّل للإنسان وتتلون أمامه وتغتاله، فهذا «ثابت بن جابر الفهمي» قبل أن يتأبّط شرًّا!! يصادفه كبش، فيمسكه ويحمله ويعود به، فاذا هو الغول، فقال له أصحابه: «لقد تأبَّطتَ شرًّا» فقال في ذلك:

تأبّطَ شرًّا ثم راحَ أو اغتَدى   يوائمُ غُنمًا أو يسيفُ على ذُحلِ[3]

والخافي؛ أي الخفيّ الذي لا يرى، فقال الأعشى يصف جرأته على اجتياز الصحراء المقفرة التي لا أثر لها سوى لجنّ:

يَمشي ببيداءَ لا يمشي بها أحدٌ   ولا يُحَسُّ خلا الخافِي بها أثَرُ[4]

ويصف شمير بن الحارث الضبّي «سراة الجنّ» الذين أتوا إلى ناره التي أوقدها في الصحراء بقوله:

أتَوا ناري فقلتُ لهم مَنُونَ قالوا: سُراة الجنّ قلتُ: عِمُوا ظَلاما[5]

وفي النسناس، وهو كائن اعتقد بوجوده غير العرب أيضا، قال أعشى سليم:

فما أنا مِن جنّ إذا كنتُ خافيًا   ولستُ مِن النسناسِ في عُنصرِ البشَرِ[6]

وعلى ذِكر النسناس أو الشّق، فقد ظهر هذا الكائن مبارزًا شاهرًا سيفه في مواجهة علقمة بن

---

١ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص١٩٠–١٩١.
٢ – حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، بيروت ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، ص١٥٧.
٣ – تأبّط شرًا: ديوانه، إعداد طلال حرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٦.
الذُحل: الثأر أو العداوة والحقد.
٤ – القرشي، ابو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٥٥.
٥ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص١٧١.
٦ – نفس المصدر، ص١٩٣.

صفوان، هامًّا بقتله، فأنشده علقمة:

يـــا شِـــقّ مـــاليَ ولـــكْ أغمِـــد عـــني مُنصُـــلك
تقتُلُ مَن لا يقتُلك؟[1]

فهمّ كل منهما بصاحبه فقُتلا.

و المارِد والمَرِيد وردتا في القرآن في وصف الشياطين قال تعالى:[(وَحِفْظًا مِّـــن كُـــلِّ شَـــيْطَانٍ مَّارِدٍ)] (الصافات/ ٧)، وقال تعالى: [(.. وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا)] (النساء/ ١١٧) وقال عزّ من قائل: [(... وَيَتَّبِعُ كلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ)] (الحج/ ٣) والعفريت وردت للجنّ في قوله تعالى:[(قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الجنّ أَنَا آتِيك بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِك وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)] (النمل/ ٣٩)

التابع: الجنّ أو الشيطان يتبع الإنسان حيث يكون ويقدّم له المعونة إن كان من توابع الخـــير، ويصيبه بالصرع إن كان من توابع الشرّ[2]. وقد يُدعى لمن لهم حدّة ذكاء وفطنة مثل: "أحيحة بـــن الجلاح" بأن معهم تابعهم يُعلّمهم ذلك.

الرِّئي: وهو جنّي يتعرّض للرجل، يريه كهانة وطبًا ويخبره ببعض الأسرار[3].

الهاتف: نوع من الجنّ يتكلّم بصوت مسموع وهو لا يُرى، ينصح الناس ويرشدهم، وينقـــل الأخبار عبر الجبال والقفار بسرعة غريبة[4]. ومنه أخذ الهاتف (التلفون) اسمه، فالصوت فيه مسموع والمتكلّم لا يُرى.

العفريت: الخبيث المارد من الشياطين[5]. وله قوة و سرعة فائقة، كما في قصة عـــرش بلقـــيس ملكة سبأ التي وردت في القرآن الكريم. والعفريت من المردة الذين يستمعون أخبار الســـماء مـــن الملائكة ويلقوها إلى الكهنة[6].

القُطْرُب: قالت العرب «أجول من قُطرب» لأنه كما عرّفه البعض طائر يجول الليل لا ينـــام، ومن هذا التعريف يمكن تصوره الخفاش مثلاً، أو أي طائر ليلي آخر كالبوم. وقيل هو الذكر مـــن السعالي وقيل على شكل الهرّة[7].

---

١ - نفس المصدر، ص٢٠٦.
٢ - صالح، ص٩٦.
٣ - نفس المصدر، ص٩٧.
٤ - نفس المصدر، ص٩٧.
٥ - لسان العرب، (مادة عفر).
٦ - الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٣٠.
٧ - مروج الذهب، ج٢، ص١٣٨.

الدّلهاب: وهو من المتشيطنة، يوجد في جزائر البحار، ويبدو على صورة إنسان راكبًا على نعامة، يأكل لحوم البشر الذين يرميهم اليه البحر[1]. ومن هذا التعريف يُمكن تصوره من القبائل الوحشية البدائية التي تعيش في جزر نائية وتأكل لحوم البشر، وتلبس الريش في رأسها أو على جسدها.

الغول

وهو حيوان لا وجود له، تخيّله العرب فوصفوه. ويقول الجاحظ عنه إنه اسم لكلّ شيء من الجنّ يعرِض للسفار، ويتلوّن في ضروب من الصور والثياب. وقالوا فيه: إنه حيوان خيالي، عينه مشقوقة بالطول، إذا حدّقت في إنسان خرج منها الشرر.

والذي يتأمل وصف الغول يجد أنه لا ينطبق على حيوان معروف، إنما هو أي حيوان مفترس جمع اليه الوهم كل ما حيك حولها من أساطير وخرافات[2].. يلقاها تأبط شرًا فيضربها فيصرعها وينتظر الصباح ليطلع فيرى وجهها، فيراها أبشع صورة، رأس قبيح كرأس القط ولسان مشقوق، وساقان مشوّهتان وجلدة رأس كلب، ثم ثوب من عباءة أو من جلدٍ بالٍ.

بأنّي قد لقيتُ الغولَ تَهوي	بسَهْبٍ كالصحيفةِ صَحصَحانِ
فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ	أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني
فشدّت شدّةً نحوي فأهوَتْ	لها كفّي بمصقولٍ يمانيّ
فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت	صَريعًا لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ
فَقالَت عُد فَقُلتُ لَها رُوَيدًا	مَكانَكِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ
فَلَم أَنفَكُّ مُتَّكِئً لَديها	لأَنظُرَ مُصبِحًا ماذا أَتاني
إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ	كرأسِ الهرِّ مَشقوقَ اللسانِ
وساقًا مُخدَجٍ وشِواةُ كلبٍ	وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ [3]

«ولعلّ نونية تأبّط شرًّا من أبرز ما يُطالعنا في هذا المجرى، وهي محاورة مع الغول بوصفها جنسًا

---

١ – القزويني، ص٣٩٢.

٢ – ضناوي، د. سعدي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، بيروت، ١٩٩٣، دار الفكر اللبناني، ط١، ص ١٩٠–١٩١.

٣ – الأصفهاني، ابو الفرج، الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مصر، ١٩٥٨، دار الكتب المصرية، ج٢١، ص١٥٢. السهب: الفلاة – صحصحان: أرض مستوية جرداء– شدّت شدة: وثَبَت وثبة – المُخدج: حيوان ناقص الخلق لم تتم أيام حمل أمه به – الشواة: قحف الرأس وجلدته – الشنان: القربة البالية.

من الجنّ والشياطين، أو ساحرة الجنّ»[1] ولا تخرج في الأوصاف كلّها عن كونها حيوانًا مخيفًا يتجنبون قتله وأذاه. وعادت الغول رمزًا لشجاعة الشاعر الذي استطاع تحديها.

ويمكننا أن نستوحي بأن الغول أو السعلاة لدى العرب، هو ذلك الحيوان الأسطوري، المستمدّ قوته من القوى الغيبية الضارّة أو الشريرة، لذا نرى امرئ القيس يصف أنيابه:

أَيَقْتُلُني والمَشرفيُّ مُضاجعي ... وَمسْنونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أغوالِ[2]

ويصف عنترة سرعة ظهور الغول واختفائه كوهج الشعلة يظهر ويختفي، ثم يبرق ويختفي، فلا يستقر في مكان، يقدح من عينيه بريق أزرق مهيب، يزيده رعبًا وجهه الأسود المرعب، وتُجسّد حدّة أظافره الموت.

والغول بين يدَيَّ يخفى تارةً ... ويعود يظهرُ مثلَ ضوءِ المِشعلِ

بنواظِرٍ زُرقٍ ووجهٍ أسودِ ... وأظافرٍ يشبهنَ حدَّ المنجلِ[3]

وبعد تراجيديا المعركة التي دارت في ليلة ظلماء موحشةً بين تأبَّط شرًا (ثابت بن جابر) وبين الغول، بمنظرها الكريه المخيف والحوار الذي دار بينهما والإنتصار الذي حققه بسيفه اليماني عليها. يعود فيسرد لنا قصة أخرى جرت بينه وبين غول أخرى، ولكنه هذه المرّة يبدو أن شاعرنا أعجب بجارته الغول رغم هولها فراودها عن نفسها فتمانعت فقتلها وأطار قحف رأسها وأنشد في ذلك:

فأصبحتُ والغولُ لي جارةٌ ... فيا جارَتا ما أهوَلا

وطالَبتُها بُضعَها فالتَوتْ ... بوَجهٍ تَهوَّلَ فاسْتَغْوَلا

فقلتُ لها يا انظُري كي ترَي ... فولَّتْ فكنتُ لها أغوَلا

فطارَ بِقَحفِ ابنةِ الجنّ ذو ... سَفَاسِقَ قد أخلَقَ المِحمَلا[4]

ومن الطريف أن العرب تزعم في أساطيرها أن الغول يجب أن تُقتل بضربة واحدة قاضية، فأن ضُربت ضربة ثانية ردّت اليها الحياة. لذلك نرى تأبط شرًا قد قتل غولَيه كل منهما بضربة واحدة أطارَ قحف رأسهما. ويقول شاعر آخر في باب تثنية ضرب الغول:

---

١ – النعيمي، د. احمد اسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص ٣١٤-٣١٥.

٢ – الخطيب، عماد علي، الصورة الفنية اسطوريًا، دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي، دار جهينة، الاردن، ٢٠٠٦، ص ٣٧٤.

٣ – عنترة بن شداد: ديوانه، ص ١٣٣-١٣٤.

٤ – تأبط شرًا، ديوانه، ص٦٠.

البُضع: الزواج، المَهر، الفَرْج. تَهوَّلا: مخوف مهيل. أغوَلا: أشدّ فتكًا. ذو السفاسق: السيف. القُحف: غطاء جمجمة الرأس.

فثنّيتُ والمقــدارُ يَحــرِسُ أهلــهُ فلَيتَ يميني قبــل ذلــك شُــلّت[1]

والغول هو كل نوع من الجن، يفتك بالسفار غيلة، وإن كان القزويني يرى أنه حيوان ولــيس جن، ولكنه شاذّ مشوّه متوحش، يأوي إلى القفار، ويظهر لمن يسافر وحــده في الليــالي وأوقــات الخلوات، فيتوهمه إنسانا فيصدّه عن الطريق[2]. وفي تطبيق معنى الغيلة على هذا المصطلح قال المرقش الأصغر:

وللفــــتى غائــــلٌ يَغولُــــهُ يا ابنةَ عَجلانَ مِن وَقــع الحُتــوم[3]

السعلاة

وهي أنثى الغول، ومن العرب من يرى أن السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار، والغول ما يترائى لهم في الليل. ولشدّة كراهة السعلاة، شبّهوا الحرب بها، بل شبّهوا خيول الحرب بالسُعال، ترهيبًــا، فرسم المهلهل بن ربيعة لوحة فنية خيولاً سعالاً تحمل أسودًا:

سُــعالِيًا يَحملــنَ مِــن تغلِــبٍ فتيانَ صــدقٍ كلُيــوثِ الطَّريــقِ[4]

وشبّه البعض النساء القبيحات بالسعالي، إيذانًا بقبح هذا الكائن. ويصف الشاعر جرّان العود في قصة طريفة، زوجتيه اللتين أذاقتاه مرارة العيش بالغول والسعلاة لعدوانيتهما، فقال:

لقد كان لي عن ضُرّتين عَــدمنَني وعمّا أُلاقي منــهما مُتزَحــزِحُ

هما الغولُ والسعلاةُ حلْقي منهما مُخدَّشٌ ما بين التّراقي مُجــرَّحُ[5]

وقد يشبّهون من يُكثر من الأكل بها، وهو ما كان يذهب اليه القدماء أيضًا علــى مــا أورده سيبويه:

لقد رأيتُ عجبًــا مُــذ أمســا عجائزًا مثــلَ الســعالي خَمَســا

---

١ – الحيوان، ج٦، ص٢٣٤.
٢ – القزويني، ص٣٩١.
٣ – المفضّليات، ص٢٤٩.
٤ – الخطيب، ص٣٤٧.
٥ – خزانة الأدب، ج١٠، ص١٨.

يأكلنَ مـــا في رَحلــهنّ هَمســـا لا تـــركَ الله لهـــنَّ ضِرســـا[1]

الخَبَل والسَّفعة

الخَبَل هو تأثير الخُبَّل وهو نوع من الجنون على الإنسان، يقول الأعشى بتأثير الجنّ على عقـل الإنسان:

فكُلُّنا مُغـرَم يهـذي بصـاحبهِ ناءٍ ودانٍ ومخبـولٌ ومُختبَـلُ[2]

ومثل الخَبَل تأتي السَفعة[3] من ناحية الجن، والسَفعة هي الضربة بالكف ومـا يُطلـق عليهـا «الصفعة» ومنها قوله تعالى: [(كلا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)] (العلق/ ١٥). وكـان العـرب يعتقدون أن المسفوع مَن أصابته نظرة الجنّ وهي أضرّ من نظرة الإنس، وفي ذلك قال شاعرهم:

وقد عـالَجوهُ بالتمـائم والرُّقَـى وصَبّوا عليهِ الماءَ مِـن ألمِ الـنّكْسِ
وقالوا أصابتهُ مـن الجـنّ أعـيَنٌ ولو علِموا داوَوهُ من أعيُنِ الإنسِ[4]

ويقول الشاعر أوس بن حجر يصف وحشة مترل حبيبته ليلى بعد أن هجرته، كيف تحوّل إلى مرعى للجنّ والخُبّل:

لِليلى بأعلى ذي معاركَ مـترلٌ خلاءٌ تَنادى أهلُـهُ فتَحمَّلـوا
تبـدّلَ بعـد حـالٍ عهدتُـه تَناوحَ جِنّـانٌ بهـنّ وخُبّـلُ[5]

ويقول نابغة بني شيبان عن شخص ما به؟ هل هو مخبول مجنون، أم ماجن سكّير:

يقولُ الشّروبُ: أيُّ داءٍ أصابه؟ أتخبيلُ جنّ أم دهـاهُ المـروّقُ[6]

عزف الجنّ

---

١ – الآلوسي، ج٢، ص ٣٤٨.
٢ – الأعشى، ديوانه، ص١٤٦.
٣ – سفَع ابنَه: ضربه ولطمه. سف عنقه: ضربه بكفه مبسوطة. سفعه بالعصا: بها. سَفَعَتِ الشَّمْسُ وَجْهَهُ: لَفَحَتْهُ.
٤ – الآلوسي، ج٢، ص٣٦٥.
٥ – أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٩٤.
٦ – نابغة بني شيبان، ديوانه، ص١٢٢.
الشُّروب: جماعة الشُّرّاب. المروّق: الشراب المصفّى.

نسب العرب العزف والموسيقى إلى الجنّ والشياطين، كما نسبوا الإلهام الشعري لهما، وزعموا أنهم يسمعون في الليالي أصوات غريبة منشؤها تلك الكائنات، فمنها الهاتف، وهو نداء من الجنّ يخاطب به الإنس، يُسمع ويُفهم، فيخبرهم بالمغيّبات أو يرشدهم إن ظلّوا في الصحراء، وأصوات أخرى سمّوها «العزيف»[1] وهو صوت يُسمع ليلاً في الصحاري ولا يُفهم منه شيء، ويصف عبيد بن الأبرص صحراء قاحلة بهذا البيت:

قليلاً بها الأصواتُ إلا عوازِفًا   عِرارًا زمارًا مِن غياهيبَ آجالِ [2]

أما نابغة بني شيبان فيصف الصحراء في الليل وعزيف الجنّ وأصداء ما كانوا يسمعونه في الظلام بهذا البيت:

يَسمَعُ فيها الذي يجتابُ قفرتَها   أصواتَ جنّ إذا ما أعتَموا عَزَفوا[3]

ويُخبرنا عمرو بن معديكرب عن صوت آخر من الأصوات المنسوبة للجنّ وهو «الهواهي»:

وأرضٍ قد قطعتُ، بها الهَواهي   من الجنّانِ سَرْبَخُها مَليع[4]

ويصف الأعشى غناء الجنّ وطربهم في أطراف بلدةٍ مقفرة، يُسمع في ليلها زجل الجن، فيقول:

وَبلدةٍ مثلِ ظَهر التِرسِ موحِشةٍ   للجنّ بالليل في حافاتِها زَجَلُ[5]

وقال الشاعر المخضرم، حُمَيد بن ثور الهلالي[6] يصف بعيرًا[7]:

صِلَخْدًا كأنَّ الجنّ تعزِف حَولَهُ   وصوتَ المُغنِّي والصَّدَى ما تَرَنّما[8]

---

١ – العزيف: الرمال إذا هبّت بها الرياح. وقيل هو صوت يُسمع بالليل كالطبل.

٢ – عبيد بن الأبرص، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٧.

الزمار: صوت النعام، الآجال: جمع إجل وهو قطيع البقر والظباء.

٣ – نابغة بني شيبان، ديوانه، شرح عبدالله بن مخارق بن سليم، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص١١٩.

٤ – الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق أحمد محمود شاكر و عبدالسلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، مصر، ص١٧٦.

٥ – الأعشى، ديوانه، ص١٤٦.

٦ – حُمَيد بن ثور الهلالي بن الهلالي، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام، ولذا عدّه ابن سلّام وغيره من شعراء الطبقة الرابعة الإسلاميين... توفي على الأرجح في أيام عثمان بن عفان... ويُعد حميد من فحول الشعراء المُجيدين.

٧ – الهلالي، حميد بن ثور، ديوان حُميد بن ثور الهلالي، صنعة عبدالعزيز الميمني، مصر ١٣٧١هـ– ١٩٥١م، دار الكتب المصرية، ص١١ و ١٥.

٨ – صِلَخْد: غليظ الرأس. ما ترنّما: لم يطرب و لم يترنّح. وفي رواية أخرى:

صِلخدًا لو أنّ الجنّ تعزِف تحته   وضَرْبَ المغنّي دفّه ما تَرَمْرَما

*****

كأنَّ هَزيزَ الرِّيحِ بــينَ فروجِــهِ   عَوازفَ جنّ زُرنَ حيًّا بعَيْهِمَــا[1]

أي؛ حتى عزف الجنّ لا يطربه و لا يخرجه عن رصانته، ولا يحرّكه ولا يُخيفه. وهو لعظمة جثته تعصف الريح فيه وكأن صوتها موسيقى يعزفها الجنّ فرحًا لزيارتهم بني جنسهم من الجنّ في موضع عَيْهَم. أذن تكرر وصف عزف الجنّ بناءً على ما كان يعتقده العرب من إن الجنّ فيه من يعزف ويغني، بالأضافة إلى ما في البيت الثاني من الإشارة إلى وجود أحياء يقطنها الجنّ ويتكاثر فيها.

تعامل الإنسان مع الجنّ وتسخيرهم

لا يمكننا كمسلمين أن ننكر إمكانية تعامل الإنسان مع الجنّ وتسخيرهم – بتسخير من الله تعالى– وقد أنبأنا القرآن الحكيم بذلك في قصة النبي سليمان عليه السلام، [(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجنّ وَالإنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)] (سورة النمل/ ١٧) وقال تعالى: [(وَمِنَ الجنّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ)] (سبأ/ ١٢) ومن هذا المنطلق نؤمن بهذه الفكرة، ولكن لا يمكننا أن نؤمن بصحة كل من ادّعى تسخير الجن، خاصة وان الآية الكريمة تصرّح أنّ التسخير يتم بإذن الله (بِإِذْنِ رَبِّهِ) وانّ الذي سُخِّر له الجن هو نبي من أنبياء الله تعالى، وللأنبياء معاجزهم التي يعجز عنها البشر.

وفي الشعر العربي يمكننا أن نعثر على نماذج عديدة لوجود مثل هذه العلاقة بين هذين الكائنين الناطقين. منها أن النابغة يمدح الملك النعمان ويشبه تسخيره البشر كتسخير سليمان عليه السلام الجنّ وبنائهم مدينة تدمر:

فَتِلكَ تُبلِغُني النُّعمانَ، إنَّ لَهُ   فَضلاً عَلى النّاسِ في الأَدنى وَفي البَعَدِ

وَلا أَرى فاعِلاً في النّاسِ يُشبِهُهُ   وَما أُحاشي مِنَ الأَقوامِ مِن أَحَدِ

إِلاَّ سُليمانَ إذ قالَ الإلَهُ لَهُ:   قُم في البَرِيَّةِ فَاحدُدها عَنِ الفَنَدِ

وَخَيِّسِ الجِنَّ؛ إِنّي قَد أَذِنتُ لَهُم   يَبنونَ تَدمُرَ بالصُّفّاحِ وَالعُمُدِ

فَمَن أَطاعَ فَأَعقِبُهُ بطاعَتِهِ   كَما أَطاعَكَ، وادلُلْهُ عَلى الرَّشَدِ

وَمَن عَصاكَ فَعاقِبهُ مُعاقَبَةً   تَنهى الظَّلومَ، وَلا تَقعُد عَلى ضَمَدِ

---

[1] – عَيْهَم: موضع بتهامة أو جبل بين مكة والعراق. أو قيل جَيْهَم: موضع بالغور كثير الجنّ. وفي رواية أخرى:
كأنّ هَزيزَ الرِّيحِ بينَ فروجِهِ   أحاديثُ جنّ زرن جِنًّا بِجَيْهما

ومن أوضح مصاديق هذا السياق تُطالعنا قصة جنّي الأعشى، عندما تعــذّر علــى الأعشــى الولوج إلى غرفة حبيبته، إذ أهلها والرقباء وحرّاسها من الجنّ يمنعون من ذلك، اذن لا حيلة ســوى إرسال رسوله الجنّي إليها ليفاوضها ويقنعها بلقاء الأعشى، فها هو يصف بحيوية وانسيابية شــعرية هذا الحب وأمانة رسوله، فيقول:

أَوصَــلتَ صُــرمَ الحَبـلِ مِــن ... سَــــلمى لِطــولِ جِنابِهــا

وَرَجَعتَ بَعـدَ الشَـيبِ تَبـــ ... ـــغي وُدَّهـــا بِطِلابِهــا

* * * * *

إِنَّ الثَعالِــــبَ بِالضُـــحى ... يَلعَـــبنَ في مِحرابِهــــا

وَالجِـــنّ تَعـــزِفُ حَولَهـــا ... كَـــالحُبشِ في مِحرابِهــــا

فَخَـــلا لِـــذَلِكَ مــا خَـــلا ... مِـــن وَقتِهـــا وَحِســابِها

وَلَقَـــد غَبَنـــتُ الكاعِبـــا ... تِ أَحَـــظُّ مِـــن تَخبابِهـــا

وَأَخـــونُ غَفلَـــةَ قَومِهـــا ... يَمشـــونَ حَـــولَ قِبابِهـــا

حَـــذَرًا عَلَيهـــا أَن تُـــرى ... أَو أَن يُطـــافَ بِبابِهــــا

فَبَعَثـــتُ جِنّيًّـــا لَنـــا ... يَـــأتِي بِرَجــع جَوابِهـــا

فَمَشى وَلَــم يَخــشَ الأَنيــ ... ـــسَ فَزارَهـــا وَخَـــلا بِهــا

فَتَنازَعـــا سِـــرَّ الحَديـــ ... ـــثِ فَــأَنكَرَت فَنَـــزا بِهــا

عَضِــبُ اللِســانِ مُـــتَقِّنٌ ... فَطِـــنٌ لِمـــا يُعـــنى بِهـــا

* * * * *

فَـــدَخَلتُ إِذ نــامَ الرَقيــ ... ـــبُ فَبِـــتُّ دونَ ثِيابِهـــا[1]

ونرى في مشهد آخر جنّي يعطف على؛ جذع بن سنان الغساني فيخبره بالمستقبل ويحذّره مــن وقوع حرب، ونظرًا لكامل ثقة جذع به يتهيأ لتلك الحرب بالصوارم والرمــاح، دون اللجــوء إلى القداح فيقول:

---

١ – الأعشى، ديوانه، ص١٦–١٧.
الصرم: الإنقطاع. الحُبش: جمع حبشي، قوم من السود. كاعبات: جمع، كَاعِبٌ: جَارِيَةٌ نَاهِدَةُ الثَّدْيِ، أَيْ أَشْرَفَ ثَدْيَاهَا وَنَهَــدَاها.
أخون غفلة أهلها: أستغل غفلتهم عنها.

وحذّرَني أمــورًا ســوف تــأتي   أهزُّ لهــا الصــوارمَ والرِّماحــا

* * * * *

سأمضي للــذي قــالوا بعــزمٍ   ولا أبغــي لــذلكم قِــداحًا[1]

ولّما كانت سنّة الله جارية في خلقه، فمهما سخّرالإنسان مما خلقَ الله فانه مقهور للموت، حــتى إن نبي الله سليمان لم يُمهل ليجلس، فلما وافته المنية مات وهو متكئ على عصاه [(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الارْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجنّ أَن لَّوْ كانُوا يَعْلَمُــونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)] (سبأ/ ١٤). وفي ذلك أنشد زهير بن جناب الكلبي:

ضَلالاً لِمن يرجو الفلاح وقد رأى   حــوادثَ أيــامٍ تحُــطُ الرّوابيــا

أصَبْنَ سليمانَ الذي سُــخّرَت لــه   شياطينُ يحملنَ الجبــالَ الرواســيا[2]

كما وردت حكاية عن جرير البجلي، حيث بات في ليلة من الليالي في وادٍ وحده، فإذا جمعٌ من الجنّ يسامروه ويستنشدوه شعرًا، وهو يقرأ لهم، وطال بهم المجلس حتى الصباح، فجزوه على ذلك بتعليمه دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم[3].

وقصة أخرى وردت في التاريخ حصلت مع عبيد ابن الأبرص مع «شجاع» أي؛ حيّة، حيــث وجدها في الصحراء عطشى، فسقاها وأرواها، ولكن عبيد ورهطه ضلّوا الطريق، فاذا بهاتف يقول:

يا أيها الســاري المُضــلُّ مَذهبــه   دونَكَ هذا البَكــرَ منّــا فاركَبَــه

وبَكركَ الشــاردَ أيضًــا فاجنُبــه   حــتى إذا الليــلَ تجنّــى غيهبُــه

فحُـــطّ عنـــهُ رحلـــهُ وســـيِّبَه[4]

فسار الفرس من الليل إلى الصباح مسيرة عشرة أيام وليالي، ولما وصل عبيد إلى مأمنــه ســأل صاحب هذا الفضل مَن يكون، فاذا هو تلك الحيّة (الشجاع) فقالت له:

---

١ – الآلوسي، ج٢، ص٣٥٢.

القِدْحُ: قطعةٌ من الخشب تُعرَّض قليلا وتُسَوَّى، وتكون في طول الفِتْر أو دونَه، وتُخَطُّ فيه حزوزٌ تميِّزُ كل قِدْح بعددٍ من الحــزوز، وكان يستعمل في المَيْسر، وقد يكتب على القِدح: لا أو نعم، أو يُغْفل لِيُقْرَعَ به ويُستقْسَم، أَبصِرْ وَسْمَ قِدْحِك: اعرِفْ نفسك، وَسْمَ قِدْحِه: قال الحقَّ.

٢ – زهير بن جناب الكلبي، ديوانه، ط١، محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص١١١. الروابي: الــتلال والأرض المرتفعة.

٣ – القزويني، ص٣٩٦.

٤ – عُبيد الأبرص، ديوانه، ص١٥.

أنا الشجاعُ الذي ألفيتَـهُ رَمِضًـا ... في قفـرةٍ بـين أحجـارٍ وأعقـادِ
فجُدتَ بالمـاءِ لمّـا ضَـنَّ حاملُـهُ ... وزدتَ فيـهِ ولم تبخَـل بأنكـادِ[1]

وقصّة شبيهة بذلك جرت مع مالك بن حريم الدلاني والشجاع الذي إحتمى به فحماه مالك[2].

التزاوج بين الآدميين والجن

يدّعي تأبط شرًا الذي قتل الغول، وأراد بُضع أخرى فامتنعت بأنه تزوّج الغـول غـير مـرة واحدة، بل تعدد منه «نكح الغيلان». ولا يُستبعد أن يكون ذلك سدًّا للفراغ الذي تركه في نفسه إعراض الإنسيّات عنه!! فادّعى ذلك تغطيةً لهذا النقص. فهو يقول:

أنا الذي نكحَ الغـيلانَ في بلـدٍ ... ما كَلَّ فيه سمّـاكيٌّ ولا جـادا
في حيثُ لا يعمتُ الغادي عَمالتَهُ ... ولا الظلمُ بـه يبغـى همّـادا[3]

وفي رسالة الغفران للمعرّي يُشكك فيها بقضية إمكانية نكاح الغيلان، ولكنـه لا يشـك في نسب إلى تأبط شرًا[4]. وعندما يحاور المعرّي تأبّط شرًّا على لسان ابن القارح بالقول: «أحقٌّ ما روي عنك عن نكاح الغيلان؟ فيقول: لقد كنّا في الجاهلية نتقوّل ونتخرّص، فما جاءك عنّا ممـا يُنكـره المعقول فانه من الأكاذيب والزمن كلّه على سجيّة واحدة»[5]. وقصد بذلك إن ما لـيس بممكـن للإنسان في هذا العصر ليس بممكن آنذاك أيضًا. ومن هذه الزاوية ينفي المعرّي إمكانية الزواج بـين الإنس وباقي الأجناس.

وصف الجنّيات

وصف بعض الشعراء الجنّيات، أو وصفوا الإنسيات بصفاقمنّ لصـفة شـابَتْهُنَّ وشـابَهَتْهُنَّ بالجنيّات، فحسان بن ثابت يؤرقه منام جنيّة، تكرر حضورها في حلمه، أو لعلّه وصف إنسيّة يريدها

---

١ – عُبيد الأبرص، ص١٥.
٢ – يُنظر: الآلوسي، ج٢، ص٣٦٢.
٣ – سليمان، علي: الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع قراءة في اتجاهات الشعر المعـارض، وزارة الثقافـة، دمشـق، ٢٠٠٠م، ص٢٥٩. السماكيّ: بائع السمك، وكل من يرفع البناء ويزيد في سمكه.
٤ – يقول المعري: «استدللت على أنها لك لما قلت: همّادا، مصدر همّد الظليم، إذا أكل الهبيد» والهبيد، حب الحنظل. وهذا المصدر من خواص الشاعر (تأب[شراً) اللغوية التي ترددت في شعره.
٥ – المعرّي، ابو العلاء: رسالة الغفران، شرح محمد عزت نصر الله، ط٣، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٦٨.

أن تكون عنده فيبحث عنها في نهاره فلا يجدها، ولا في الليل يلقاها، ولا يزوره سوى طيفها المؤرّق.

جِنّيـــــةٌ أرّقـــــني طيفُهـــــا   تَذهبُ صبحًا وتُرى في المنـــامِ[1]

ويشبّه كعب بن زهير تقلّب المرأة وظهورها في كلّ مرة بشكل بالغول.

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بهـــا   كما تَلوَّنُ في أثوابهـــا الغـــولُ[2]

وكما هو «الخيتعور» المتقلّب الذي لا يستقرّ على حال، كذلك حُبّ المرأة، متقلّب متذبذب، لا يؤمَن، فقد يزول بلحظة وينقلب إلى بغض، قال الشاعر:

كُلّ أُنثى وإن بـــدا لـــكَ مِنـــها   آيـــة الحُبِّ،حُبُهـــا خَيتَعـــور[3]

وشبّه العرب المرأة الذميمة الخَلق أو العجوز بالسعلاة فقالوا: «إستَسْعَلَتْ المرأة»، ومرةً تكون السُعلاة هي التي تتشبّه بالمرأة لتغري الرجال بنفسها، وربما تفعل ذلك طلبًا للسفاد (النكاح)، وبهذه الهيأة أتى وصف عميرة بن جُعل:

ترى الحاصِنَ الغرّاء منهُم لِشارفٍ   أخي سَلّةٍ قد كانَ منـــهُ سَـــليلُها

قليلاً تبتغيهـــا الفُحولـــة غَـــيرهُ   إذا اسْتسْعَلَتْ جِنّانُ أرضٍ وغُولُها[4]

أما الرواية التاريخية – على زعمهم – فقد صوّرت الشيطانة العُزّى عندما قطع خالد بن الوليد شجرتها، على شكل عجوز شمطاء نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها ترتـــدي قناعًا[5]، فقال لها الشاعر يتهدد إلهته أو شيطانته ويتوعّدها إن لم تنتقم من خالد:

أعُزّى شِدّي شَـــدَّةً لا تُكـــذِّبي   أعُزّى ألقي القِنـــاعَ وشَـــمِّري

أعُزّى إن لم تقتُلي المـــرءَ خالـــدًا   تَبوَّئي بإثمٍ عاجـــلٍ وتَنَصَّـــري[6]

---

١ – حسان بن ثابت، شرح ديوانه، ص٢٧١.

٢ – كعب بن زهير: ديوانه، تحقيق وشرح علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٦١.

٣ – الدّميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر و مكتبة البيان، بـــيروت، (د.ت) ج١، ص١٨٥.

٤ – الضبي، المفضل محمد بن يعلّى، المفضليات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالســـلام هـــارون، ط١٠، دار المعـــارف، القـــاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٥٨.

والحاصِن: الكريمة المحصنة العفيفة، الشارف: الكبير، السَلّة: السرقة، سليلها: ولدها، استسعلت: أصبحت كالسعلاة.

٥ – الآلوسي، ج٢، ص٢٠٢.

٦ – ابن هشام، ابو محمد عبدالملك، السيرة النبوية، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩، ج٤، ص٦٩.

جَمال الجن

وليس الجنّ كريه المنظر دائمًا في الخيال العربي، فهناك من رأى الجنّ بهيئة جميلة ومظهر أنيـــق، ولا هو مرعب وشرور دائمًا يكيد للإنسان الشرّ، فضيوف جذع بن سنان من الجنّ لهم وجوهٌ سمحة مشرقة، تشكّلوا بأجمل صورة فجاؤوه مسفرين غير متنكرين، فقال:

أتَوني ســـافرين فقلــتُ أهــلاً　　　رأيتُ وجوهَهم وُسمًــا صِــباحا[1]

وأما مارد الأعشى المسؤول عن حراسة صاحبته، فهو الآخَر أنيق مهندم يطمئن اليـــه ليكـــون مرافقًا لها محافظًا عليها لا يمسسها منه سوءًا.

ومارِدٌ من غُواة الجـــنّ يحرِسُــــها　　　ذو نيقةٍ مستعدٌ دونهـــا تَرَقــا[2]

ويقول الحطيئة العبسي[3] يصف جِمالاً له[4]:

إذا خَرَجَـــت أوائلُهُـــنّ يومًـــا　　　مجلجلـــــةً بجـــــنّ عبقـــــريِّ

مَـــنعْنَ منابِـــتَ القُـــلاّم حـــتى　　　عـــلا القُـــلاّمُ أفـــواهَ الركـــيِّ[5]

---

١ – الآلوسي: ج٢، ص٣٥٢.

٢ – الأعشى: ديوانه، ص١٢٤.

النيقة: الأناقة والتجوّد في الملبس والمطعم، والمبالغة في تجويد الأمور. الترق: شبيه بالدرج... دونها: يعني دون الـــدرة. والترقوتـــان: العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق تكون للناس وغيرهم (لسان العرب، مادة ترق)

٣ – جرودل الحطيئة العبسي، شاعر مخضرم، أدرك زهير بن أبي سلمى، مات سنة ٥٩هـــ.، معروف بهجائه، هجا حتى نفسه، فقال عندما رأى وجهه في الماء:

أرى لِيَ وجهًـــا قَـــبّح الله خَلقَـــهُ　　　فقُـــبِّحَ مـــن وجـــهٍ وقُـــبِّحَ حاملـــهُ

٤ – الحطيئة العبسي، ديوان الحطيئة، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م، ص٨٣.

٥ – مجلجلة: عظيمة، ذات صوت رنان. عبقريّ: يفوق الوصف. القِلاّم: ضرب من الحمضيات، البقل. الركيّ: البئر لم تطوَ.

الجنّ في الأدب الإسلامي

عالم الجنّ والمكتشفات

في عصر المكتشفات توصل الإنسان بما وهبه الله من علوم إلى معرفة الكثير من حقائق الخلــق ودقائقه، وغار في أعماق الأرض و عرج إلى السماء، ورأى ما لم يكن يُرى بــالمجهر والتلســكوب. ولكنه ظلّ عاجزًا عن معرفة الكثير من أسرار الكون، منها الملائكة والجنّ والشياطين. وهذه العوالم لا علم قطعي بها إلا عن طريق وحي السماء وتعاليم الأنبياء والأوصياء. ولكن بعض الناس ذهبــوا ذات اليمين وذات الشمال واستغلّ الخراصون هذا الغموض ليغروا الجهال والسذّج مــن النــاس فيغووهم أو يبتزّوهم. وقد أغنانا كتاب الله العزيز بذكره للملائكة والشياطين والجن، عن الكثير من تلك التخرّصات وقد قال تعالى: [(هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكم بِالْحَقِّ)] (الجاثية/ ٢٩).

ومن خلال استعراضنا لآيات الكتاب الحكيم سنتعرّف على بعض صفات هــذه المخلوقــات الخفية ووظائفها وبعض حقيقتها، وعندما نقول «بعض» فذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد آتانا مــن العلم بمقدار ما نحتاج اليه، ولا داعي من الإستزادة في أمور قد لا تنفعنا تفاصيلها. وما أجمــل مــا لخص القرآن الكريم حقيقة «الرُّوح» بقول موجز يسير، فقال تعالى: [(وَيَسْأَلُونَك عَنِ الرُّوحِ قُــلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)] (الإسراء/ ٨٥)، فآتانا من العلــم بمقــدار مــا نستوعب وما نحتاج. وسيتضمن استعراضنا للآيات الكريمة، شذرات من السنّة الشريفة بقدر مــا تسمح به هذه الرسالة المتواضعة، والنظر في قدرات هذه الكائنات الخفية، وسلطانها على الإنســان، وخيرها للإنسان أو شرّها عليه، وتعليمها أو وسوستها، وأدواتها وجنودها، وغير ذلك ممــا ســيأتي ذكره تباعًا إن شاء الله.

إن موضوع الرسالة ليس ترفًا علميًا، بل هو بحثًا عميقًا في موضوع قد تغزو شــكوكه ذهــن الشباب ومن يخوضون غمار العلوم الغريبة بحثًا وراء المغيّبات، كي لا يقعــون في فــخ المشــعوذين والمبطلين.

مفهوم الجنّ في القرآن

«الجنّ نوع من الخلق مستورون عن حواسنا، يصدّق القرآن الكريم بوجودهم، ويذكر أنهم بنوعهم مخلوقون قبل الإنسان، وأنهم مخلقون من النار، كما أن الإنسان مخلوق من التراب. قال تعالى: [(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)] (الحِجر/٢٧)[1] وأنهم يعيشون ويموتون ويُبعثون كالإنسان. قال تعالى: [(أُوْلَئِك الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الجنّ وَالانسِ)] (الأحقاف/١٨)[2] وأنّ لهم شعورًا وإرادة وأنهم يقدرون على حركات سريعة وأعمال شاقّة كما في قصص سليمان عليه السلام وتسخير الجنّ له، وقصة ملكة سبأ. وأنهم مكلّفون كالإنسان، منهم مؤمنون ومنهم كفّار قال تعالى: [(وَمَا خَلَقْتُ الجنّ وَالانسَ إلا لِيَعْبُدُونِ)] (الذاريات/٥٦). ومنهم صالحون وآخرون طالحون. قال تعالى: [(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ)] (سورة الجنّ/ ١-٢)...»[3].

إن القرآن هو كتاب الله المسطور، وإذا نظرنا إلى طريقة تعامل الكثير من المسلمين مع القرآن نجدهم يتعاملون معه بشكل تجزيئي وتقطيعي. فدراسة مفهوم مُعين بالقرآن ينبغي أن يتم وفق منهج خاص به، وذلك من خلال ترتيل الآيات المتعلقة بالموضوع، ومن ثم ترتيبها حسب الأولوية والأسبقية، وملاحظة المعاني من خلال السياق، لأنه إذا اختلف المبنى ومكان الكلمة اختلف المعنى والمقصود مع ثبات المفهوم اللساني، والأمر أشبه باللوحة التركيبية المؤلفة من آلاف القطع، فنزع قطعة واحدة من المجموع، ومحاولة فهمها وحدها ضرب من المحال، لأنها جزء من منظومة عامة، ولا يمكن فهمها إلاّ بإرجاعها إلى محلها من اللوحة، ووضعها بين القطع الأخرى حتى يتم ظهور المنظر العام، وكذلك النص القرآني؛ لا يمكن تشكيل فهم من نص واحد أبدًا، ولو فعل أحد ذلك لوصل إلى مفاهيم باطلة، ووهمية مضحكة، مثل الذي يأخذ جملة (فويل للمصلين) أو (لا تقربوا الصلاة) أو (فانكحوا ما طاب لكم)...الخ، فهذه المقتطعات لو أُخذت وحدها لوصل الإنسان لمفاهيم مخالفة للقرآن ذاته.!!

وهذا العرض يوصلنا إلى أهمية عدم تقطيع النص القرآني، وعدم تشكيل فهم من نص واحد،

---

١ – والآية التي قبلها [(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)] الحِجر ٢٦.

٢ – ومثلها الآية ٣٨ من سورة الأعراف والآية ٢٥ من سورة فصّلت.

٣ – الطباطبائي، المخلوقات الخفيّة في القرآن، الملائكة، الجن، إبليس، بيروت، ١٩٩٥، دار الصفوة، ط١، ص٣٧-٣٨.

وعدم فصل دراسة النص عن لوحته الخاصة به المتمثلة بالواقع، لأن الواقع هو المصداقية الحقيقية الذي يحكم على الأفهام في حال اختلف الدارسون له، وينبغي على الباحث أن لا يتأثر بمفهوم الأكثرية، أو التبعية للآباء، أو مُضي الزمن الطويل على هذا المفهوم، فهذه كلها آفات اجتماعية تمنع من الوصول إلى الحقيقة، وحذَّر القرآن منها.

وما أجمل كلمة الإمام علي – عليه السلام– إذ قال لرجل يزن صواب الأفكار بمكانة الرجال: «لا يُعْرَفُ الْحَقُّ بالرِّجَالِ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه»[1]. « إِنَّ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ لا يُعْرَفَانِ بِالنَّاسِ وَ لَكِنِ اعْرِفِ الْحَقَّ بِاتِّبَاعِ مَنِ اتَّبَعَهُ وَ الْبَاطِلَ بِاجْتِنَابِ مَنِ اجْتَنَبَه»[2] يالها من كلمة عظيمة صارت قاعدة فكرية ومنهجًا علميًا.

إحصائية الجن

ورد ذكرهم في القرآن (على ما أحصاه الباحث): بلفظ الجنّ والجان، **٣٢** مرة، والشيطان ٨٧ مرة، وذُكر إبليس **١١** مرة.

وقد ورد لفظ «الجِنّ» **٢٢** مرة في القرآن الكريم، مرة في سورة الرحمن المدنية، والباقي في السور المكية، أما لفظ «الجانّ» فقد تكرر خمس مرات، أربع منها في سورة الرحمن، ولفظ «جِنَّة» تكرر عشر مرات، خمس منها أتت بمعنى الجِنّ. وقد عُبِّر عن الجنّ بألفاظ أخرى كالشيطان والشياطين وإبليس وعفريت.

وقد ذكرت السورة الثانية والسبعين من القرآن قصة ايمان نفر من الجنّ، ومن القصة أخذت سورة الجنّ اسمها.

صور استخدام كلمة (الجنّ) في القرآن

استُخدمت كلمة الجنّ ومشتقاتها في القرآن في ٩ معان، هي:

١- نوع من الأفاعي: [(.. تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ..)] (النمل/١٠).

٢- الجنين، طفل الإنسان في بطن أمه: [(..أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ..)](النجم/٣٢).

٣- الملائكة:[(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ..)](الصافات/١٥٨).

---

١ – بحارالأنوار، ج٤٠، باب٩٢، ص١٢٥.

٢ – نفس المصدر، ج١٠٥، باب٣٧، ص١٢٥.

٤- الاحتجاب، والاختباء: [(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..)](المنافقون/٢).

٥- سواد اللّيل: [(فَلَمَّا جنّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ..)](الأنعام/٧٦).

٦- مكان الثواب: [(بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ..)](الحديد/١٢).

٧- مزارع النخيل والأعناب: [(فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ)](المؤمنون/١٩).

٨- الجنون: [(إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ..)] (المؤمنون/٢٥).

٩- الجّنّ: [(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجنّ ..)](الجن/١).

ولنتناول بعض هذه المعاني كما وردت في كتاب الله:

تنقسم الآيات بشأن الجنّ إلى عدة أقسام، فبعضها عرّفت هذا الكائن، وأخرى ذكرت بعض قدراته، وغيرها قرنت بينه وبين الإنس، وآيات بيّنت بعض عقائد البشر حول الجن، وأُخر دخلت إلى عالم الجن.

الجنّ والإنس:

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

١- [(وَمَا خَلَقْتُ الجنّ وَالانسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)] (الذاريات/٥٦) وفيه التفات من سياق التكلم بالغير إلى التكلم وحده لان الأفعال المذكورة سابقا المنسوبة إليه تعالى كالخلق وإرسال الرسل وإنزال العذاب كل ذلك مما يقبل توسيط الوسائط كالملائكة وسائر الاسباب بخلاف الغرض من الخلق والايجاد فإنه أمر يختص بالله سبحانه لا يشاركه فيه أحد... فحقيقة العبادة هي الغرض الاقصى من الخلقة وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه. ولعل تقديم الجنّ على الانس لسبق خلقهم على خلق الانس[1].

٢- [(يَا مَعْشَرَ الجنّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكمْ رُسُلٌ مِّنكمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكمْ لِقَاء يَوْمِكمْ هَذَا..)] (الأنعام/١٣٠)

٣- [(قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكم مِّن الجنّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ)] (الأعراف/٣٨) ومثلها في سورة فصلت الآية ٢٥، والأحقاف الآية ١٨.

٤- [(وَقَالَ الَّذِينَ كفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الجنّ وَالانسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكونَا مِنَ الاسْفَلِينَ)] (فصلت/٢٩)

---

١ - الطباطبائي، الميزان، ج ٨، ٣٨٦-٣٨٨

٥- [﴿يَا مَعْشَرَ الجنّ وَالانس إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾] (الرحمن/ ٣٣) وهذه الآية تشير إلى عدم امتناع نفوذ الإنس والجنّ من أقطار السماوات والأرض، ولكن شرط النفوذ وجود السلطان، كمشيئة الله سبحانه وتعالى كما في معراج الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماوات، وكرفع عيسى عليه السلام، أو أن يكون السلطان علمًا يساعد الإنسان على إختراق الغلاف الجوي إلى باقي الأجرام السماوية الخ... وتكرر خطاب المولى جلّ وعلا للجنّ والإنس في سورة الرحمن بقوله: [﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَان﴾] بعد أن عدّ نعمه عليهما.

٦- [﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجنّ فَزَادوهُمْ رَهَقًا﴾] في ما كانوا يعتقدونه من قدرة الجنّ على تخليصهم من المشاكل التي يتخبطون فيها، والأخطار التي يتخوّفون منها، والأمراض التي تحلّ بهم، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يتعوذون بالجنّ بواسطة الكهان الذين يعتقدون بأنهم على علاقةٍ بهم، فيوحون إليهم بما يزعمون أن الجنّ توحي إليهم به، وقيل: إن الرجل من العرب كان إذا نزل الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، ونُقل عن مقاتل أنّ أول من تعوّذ بالجنّ قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب[١].

الجِنّة والنّاس:

١- [﴿... لامْلانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾] (السجدة/ ١٣)

٢- [﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾] (الناس/ ٤-٦)

خلق الجانّ:

١- [﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾] (الحِجر/٢٧)

٢-[﴿وَخَلَقَ الجانّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾] (الرحمن/١٥)

---

١ – فضل الله، السيد محمدحسين: تفسير من وحي القرآن، النسخة الألكترونية، تفسير سورة الجن، الآيات ١-٧ (بتلخيص).
http://arabic.bayynat.org.lb/HtmlSecondary.aspx?id=4671

وما صاحبكم بمجنون

ومما إطلقه المشركون كذباً وجزافًا على الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلّم أنه مُعَلَّم ومجنون [(ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ)] (الدخان/ ١٤). فدفع الله تعالى عنه هذه الفِرية بقوله:[(مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّك بِمَجْنُونٍ)] (القلم/ ٢) / وقوله: [(وَمَا صَاحِبُكم بِمَجْنُونٍ)] (التكوير/ ٢٢) وما صاحبكم يعني؛ محمدًا – صلى الله عليه [وآله] وسلم[١].

وخلاصة القول إن تهمة الجنون كانت تُلصَق بكل رُسل الله [(كذَلِك مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إلا قَالُوا سَاحِرٌ أو مَجْنُونٌ)] (الذرايات/ ٥٢). فمرة يُرمى بها نوح عليه السلام [(كذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)] (القمر/ ٩)، ومرة يُتَّهم بها موسى، حيث قال فرعون لملئه: [(إِنَّ رَسُولَكمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكمْ لَمَجْنُونٌ)] (الشعراء/ ٢٧).

القرآن يُعجز الجنّ والإنس

قال تعالى: [(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)] (الإسراء/ ٨٨) وهذه الآية عظيمة في مغزاها، تعني عجز هذين الكائنين على المجيء بما يشبه هذا القرآن، والنتيجة إن القرآن مصان عن الخرق والتحريف حتى من قبل الشياطين والجنّ الذين ادعت العرب تفوقهم في الكلام والشعر والإبداع الأدبي.

«... وفي تفسير القمي، في حديث أسنده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قوله: [(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)] قال: يعني الكهنة الذين كانوا في قريش فنُسب كلامهم إلى كلام الشياطين الذين كانوا معهم يتكلمون على ألسنتهم فقال: [(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)] مثل أولئك»[٢]. وهو نفي لاستناد القرآن إلى إلقاء شيطان فالمعنى أن القرآن ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بإلقاء من أشرار الجنّ كما يلقونه على المجانين[٣].

هل للجنّ حياة زوجية؟

يبدو من الآية الشريفة [(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ)] (الرحمن/

١ – القرطبي، تفسيرالقرطبي، ص٥٨٦.
٢ – الطباطبائي، تفسيرالميزان، ج٢٠، سورة التكوير.
٣ – تفسير الميزان، ج٢٠. سورة التكوير.

٥٦) إن للجنّ علاقات جنسية أيضًا، فقد أورد الطبري في تفسير هذه الآية: «[فان قيل] ما الفائدة في ذكر الجانّ مع أن الجانّ لا يجامع؟ نقول: ليس كذلك بل الجنّ لهم أولاد وذريات، وإنما الخلاف في أنهم هل يواقعون الإنس أم لا؟ والمشهور أنهم يواقعون وإلا لما كان في الجِنّة أحساب ولا أنساب، فكأن مواقعة الإنس إياهن كمواقعة الجنّ من حيث الإشارة إلى نفيها»[1].

نظرة إلى آيات سورتي الأحقاف والجن

سورة الأحقاف

[(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْك نَفَرًا مِّنَ الجنّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كتَابًا أُنزلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إلى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكم مِّن ذُنُوبِكمْ وَيُجِرْكم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)] (الأحقاف/ ٢٩-٣١)

جاء في التفسير الأمثل ما ملخّصه: وردت روايات مختلفة في سبب نزول هذه الآيات، ومن جملتها: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من مكّة إلى سوق عكاظ في الطائف ــ وكان معه زيد بن حارثة ــ من أجل أن يدعو الناس إلى الإسلام، إلاّ أنّ أحدًا لم يجبه، فاضطر إلى الرجوع إلى مكّة، وفي طريق عودته وصل إلى موضع يقال له: وادي الجن، فبدأ بتلاوة القرآن في جوف الليل، وكانت طائفة من الجنّ يمرون من هناك، فلما سمعوا قراءة النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للقرآن أصغوا إليه وقال بعضهم لبعض: اسكتوا وأنصتوا، فلما أتمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تلاوته آمنوا به، وأتوا قومهم يدعونهم إلى الإسلام، فآمن لهم جماعة، وأتوا جميعًا إلى النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلّمهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإسلام، فنزلت هذه الآيات... جاء في هذه الآيات بحث مختصر حول إيمان طائفة من الجنّ بنبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتابه السماوي، لتوضّح لمشركي مكّة حقيقة، هي: كيف تؤمن طائفة من الجنّ البعيدين ــ ظاهرًا ــ بهذا النبي الذي هو من الإنس، وبعث من بين أظهركم، وأنتم تصرّون على الكفر، وتستمرون في عنادكم ومخالفتكم؟ والمراد من: (داعي الله) نبيّ الإسلام (صلى

---

١ - تفسير الطبري، تفسير سورة الرحمن.

الله عليه وآله وسلم) الذي كان يرشدهم إلى الله سبحانه[1].

سورة الجن

[(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجنّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كذِبًا * وَأَنَّهُ كانَ رِجَالٌ مِّنَ الانسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجنّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الانَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الارْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِك كنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجزَ اللَّهَ فِي الارْضِ وَلَن نُّعْجزَهُ هَرَبًا* وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِك تَحَرَّوْا رَشَدًا)] (سورة الجن/ ١-١٤)

ولنلقِ نظرة موجزة الى تفسيرها على ما أورده العلامة الطباطبائي في الميزان:

سورة الجنّ مكية، نزلت لتعالج مفهوم الجنّ كحقيقةٍ وجوديةٍ أكّدها القرآن في أكثر من سورة، فقد تحدث عن الجنّ كمخلوقاتٍ حيّةٍ عاقلةٍ مسؤولةٍ، تمامًا كما تحدث عن الإنس، وخاطبهما معًا، وجعلهما مسؤولَين عن عبادة الله الواحد، وحذّرهما من الكفر به والانحراف عن خط طاعته تحت تأثير الإنذار بدخول النار والوقوع في دائرة غضبه... وتلك هي الصورة التي يمكن لنا أن نؤمن بها على أساس الحقيقة القرآنية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، كما في الكثير من حقائق الغيب التي لم تقع تحت إدراك حواسّنا الظاهرة، فلا نزيد عليها وعلى ما جاءت به السنّة الصحيحة من النبي محمد (ص). أمّا العقائد الشعبية التي تتحدث عن الجنّ بما يشبه الخرافة، وترى أن لهم تأثيرًا في الحياة العملية للناس في ما قد يحدث للناس من حالاتٍ غير طبيعية، أو في تسخيرهم وإيجاد علاقاتٍ معيّنةٍ بهم، ممّا قد يتحدث به البعض، فلم يثبت لنا ذلك بطريقٍ صحيحٍ، ولذا فإننا لا نستطيع أن نجد فيه أيّ أساسٍ للحقيقة...

وقد انطلقت آيات هذه السورة لتثير الحديث عن بداية إيمان نفرٍ من الجنّ بالإسلام من خلال

---

١ - مكارم الشيرازي، ناصر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم ١٤٢٦هـ، ج١٦، ص٢٩٣-٢٩٧. (بتلخيص)

استماعهم إلى النبي وهو يقرأ القرآن فآمنوا به، واهتدوا إلى الحق من خلاله، وتحدّثوا بعد ذلك فيما بينهم عن الانحرافات التي كانت تعيش في حياتهم، وعن الأوضاع المتغيّرة في حرية حركتهم في الكون، وأنهم كانوا يختلفون في طرائقهم وانتماءاتهم. وقد جاء في مجمع البيان ــ في أسباب نزول هذه السورة ــ في ما رواه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ما قرأ رسول الله (ص) على الجنّ وما رآهم، انطلق رسول الله (ص) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. فمرَّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي(ص) وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، وقالوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا) فأوحى الله تعالى إلى نبيه (ص) (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ). وقد نلاحظ على هذه الرواية عن ابن عباس أنها تتحدث عن حوار الجنّ في مشكلتهم التي فاجأتهم وهي عدم استطاعتهم استراق السمع، ومحاولتهم البحث عن ذلك، فكيف استطاع ابن عباس معرفة ذلك، وما هي تجربته الحسية التي عاشها في هذا الموضوع الغيبي، فهو لم يلتقِ بالجن، أو بمن التقى بهم ليحدثوه عنه، ولم يروِه عن رسول الله (ص) في ما قد يكون النبي (ص) قد عرفه من الجنّ أو من الله. ثم ما هي الطريقة التي فهم منها الجنّ السبب في انقطاع خبر السماء عنهم بمجرد سماعهم للقرآن؟ إنّ مثل هذه الروايات أقرب إلى الأحاديث الموضوعة على ابن عباس وأمثاله لإرضاء الفضول الذي يعيشه الناس في أسباب النزول. ولهذا فإن علينا أن ندقق فيها، لما قد تترك من تأثيرات سلبية على فهمنا للقرآن، في ما قد يثيره من أجواء خاصة بعيدة عن الجوّ القرآني الرائع[1].

ويرى القمّي عند تفسيره للآية الشريفة إن النفر الذين نزلت فيهم آيات سورة الأحقاف هم النفر الذين نزلت فيهم آيات سورة الجن. ولكن العلامة الطباطبائي يعتقد بأن: «ظاهر آيات السورتين لا يلائم ذلك، فان ظاهر قولهم المنقول في سورة الأحقاف [(إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى – إلى قوله – يَهْدِي إِلَى)] إنهم كانوا قومًا مؤمنين بموسى ومصدّقين للتوراة، وظاهر هذه السورة أنهم كانوا مشركين لا يرون النبوة، ولازم ذلك تفاسير الطائفتين»[2].

---

١ – الطباطبائي، تفسير الميزان، ص٣٥–٣٩.

٢ – الطباطبائي، نفس المصدر، ص٣٩.

الجنّ في الروايات

وردت في مصادر الحديث الكثير من الإشارات إلى الجنّ، فَسَّرَت بعضها ما ورد عنهم في القرآن الكريم، وذكرت أخرى إن الجنّ كالبشر، يأكلون وينامون ويتوالدون ويتناسلون ويموتون. وقد أورد العلامة المجلسي في المجلد الستين من كتاب «بحار الأنوار» أكثر من ثلاثمائة صفحة حول الجنّ وقول العلماء فيهم، وذهب إلى إجماع المذاهب والفِرق الإسلامية على وجودها[١]. وقد تحفّظ ابن خلدون حول الإعتقاد بوجود الجنّ واعتبر الآيات الخاصة بالوحي والملائكة والروح من المتشابهات، لعدم ظهور حقيقتها[٢]. في حين اعتبر الدّميري بأن وجود الجنّ من الظهور بالحديث والشعر ما يُعدُّ إنكاره إنكار حقيقة متواترة[٣].

١ – يُنظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٠.
٢ – ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون (المقدمة)، ط١، دار يعرب، ٢٠٠٤، ج ١، ص٦٠٢.
٣ – الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، طبع ابراهيم صالح، دمشق، ٢٠٠٥، ج١، ص٦٧٢.

الفصل السادس

المباحث العامة

والإستنتاج

موقف النبي العربي القرشي من الشعر

لقد بُعث النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب القرشي صلى الله عليه وآله وسلم، في مكة التي نشأ فيها وحولها الكثير من الشعراء، وأساطين الشعر الجاهلي. لذلك من المهم جدًا معرفة موقفه من الشعر والشعراء الذين احتلوا مكانة عريقة عند العرب، يقول الجاحظ مبيّنًا مكانة الشعر لدى العرب: «يقيّد عليهم مآثرهم، ويفخّم شأنهم، ويهوّل على عدوهم ومَن غزاهم، ويهيّب من فرسانهم، ويخوِّف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب غيرهم..»[1]. لذلك كان نبوغ شاعر في قبيلة يُعد مفخرةً. يقول ابن رشيق: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذبّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، واشادة بذكرهم. وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولَد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج...»[2]. ولم يأت ذلك اعتباطًا أو عن فراغ لأن الشعر مكانته خطيرة لدى عامة العرب، فكانت العرب على ما وصفه النهشلي: «لاتعدل بالشعر كلامًا، لما يفخّم من شأنهم، ويُنْهي من ذكرهم..»[3].

ولكن حينما نبحث عن موقف النبيّ من الشعر والشعراء نرى تباين الآراء؛ فمنهم من زعم أن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يستقبح الشعر وممارسته وينظر إليه بنظرة الاستكراه والازدراء، وهو مستمدّ من أحكام شرع الدين الجديد. ومنهم من يَرى أنّ النبيّ يحب الشعر وإنشاده، وكل فريق يحتجّ على إثبات مقالته.

فحجة الفريق الأول هي:

١- مجيء آيات تستنكر الشعر والشعراء، ومنها قوله تعالى: [(وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ)] (الشعراء/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦)، ويُفهم من ظاهر هذه الآيات أن القرآن الكريم يعارض الشعر ويذمّه. وقال تعالى: [(وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ)] (يس/ ٦٩)، ويفهم من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد نزّه نبيّه عن إنشاد الشعر.

---

١ – الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٤١.

٢ – ابن رشيق: العمدة في محاسن العشر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الرشاد الحديثة، بيروت، ١٩٣٤م، ج١، ص٦٥.

٣ – النهشلي، عبد الكريم: اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق د. محمود شاكر القطان، دار المعارف مصر، ١٩٨٣م، ص ٢٨٩.

٢- ورود أحاديث صحيحة في ذمّ الشعر وممارسته مما يدلّ على أن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يحبّ الشعر ولا إنشاده، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا يريه خير له من أن يمتلئ شعرًا»[1].

أما الفريق الثاني فيستدلّ على إثبات دعواه بالأحاديث النبويّة كذلك، فعن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرًا»[2]. وعن ابن عائشة التيمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم من هجاني فالْعنْه مكان كل هجاء هجانيه لعنة»[3] وقد وَرَدَ في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لحسان بن ثابت: «إهجُهُم (أو قال:) هاجِهِم وجبريل معك»[4].

وكان النبيّ (ص) يتأثر بالأشعار التي ينشدها الشعراء، فيشجّعهم، فقد قال فيهم: «هؤلاء النفر أشدّ على قريش من نضح النبل»[5]. وقال لحسّان بن ثابت: «اهجهم ــ يعني قريشًا ــ فوالله لهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غلس الظلام، واهجهم ومعك جبريل روح القدس...»[6].
وحين جاوب حسّان بن ثابت أبا سفيان عن النبيّ بقوله:

هَجَوْتَ محمَّدًا فأجبْتُ عنه   وعند الله في ذاكَ الجزَاءُ

دعا له النبيّ حيث قال: جزاؤك عند الله الجنّة يا حسّان، فلما قال:

فإنَّ أبِي ووَالده وعِرْضِي   لِعِرْضِ محمَّدٍ منكم وقاءُ

قال له: «وقاك الله حرَّ النار فقضى له بالجنَّة مرتين في ساعة واحدة»[7]. وإن النبيّ (ص) كان يعطي الشعراء العطايا على أشعارهم، كما روي أنه قد أوعد كعب بن زهير، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله متنكرًا، فلما صلّى النبيّ (ص) صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله ثم قال: يا رسول الله! إن كعب بن زهير قد أتى مستأمنًا تائبًا، أفتؤمّنه فآتيك به؟ قال: هو آمن، فحسر كعب عن وجهه، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير،

---

١ – ابن رشيق، المصدر السابق، ج١، ص٣٢.
٢ – القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، تعليق علي فاعور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٦م، ص٤٥.
٣ – ولي الدين الخطيب: مشكوة المصابيح، باكستان، (د.ت)، ص ٤٠٩.
٤ – الخطيب، المصدر السابق، ص ٤٠٩.
٥ – ابن رشيق، ج١، ص٣١.
٦ – زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، ط٢، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م، ج١، ص١٩١.
٧ – ابن رشيق، ج١، ص٥٣.

فأمّنه رسول الله وأنشد كعب قصيدته المشهورة التي مطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فقَلْبِي اليــوم متبُــولُ   متيّمٌ إثْرها لَــم يَفــد مكبُــولُ

فتجاوز النبي ووهب له بُرْدَتَهُ»[1]. ولما أنشد النابغة الجعدي النبيَّ (ص) قصيدته التي يقول فيها:

أتيتُ رسولَ الله إذ جَــاء بالهُــدى   ويَتلُــو كتابًــا كــالمجرّةِ نَيِّــرا

بَلغْنا الســماءَ مَجــدنا وجُــدودنا   وإنّا لنَرجو فــوقَ ذلــكَ مَظهَــرا

أحسّ في الشطر الثاني روح الجاهلية وقال له متسائلاً: إلى أين يا أبا ليلى؟ فأجابه النابغــة إلى الجنّة! فسُرَّ النبيُّ(ص)وقال: إن شاء الله، ثم تابع النابغة إنشاده:

لا خيرَ في حِلْــم إذا لم تَكُــن لَــهُ   بَوادِر تَحمِــي صَــفوهُ إنْ تَكــدَّرا

وَلا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكُــن لــهُ   حَليمٌ إذا مَا أوردَ الأمــرَ أصــدَرا

فأراح النبيّ (ص) بحُسن الشعر وجودته ودعا له (ص) بقوله: «لا فضّ الله فاك»[2]. وقَدِم عمرو بن سليم الخزاعي إلى رسول الله (ص) مستنصرًا وقال:

يَــا رَبّ إنّــي نَاشِــدٌ مُحَمّــدًا   حِلْــفَ أَبينَــا وَأَبيــهِ الأَتْلَــدَا

نحــنُ ولــدناهُم فكــانوا وَلَــدا   ثُمّتَ أَسْــلَمْنَا فَلَــمْ نَنْــزِعْ يَــدَا

إنّ قُرَيْشًــا أَخْلَفُــوك الْمَوْعِــدَا   وَنَقَضُــوا مِيثَاقَــك الْمُوَكّــدَا

ونَصَبوا لِي فِــي كَــدَاءٍ رُصّــدَا   وبَيّتُونَــا رُكّعًــا وَسُــجّدَا

وَهُــمْ أَذَلّ وَأَقَــلّ عَــدَدَا   فَانْصُرْ هَدَاكَ اللّــهُ نَصْــرًا تجــرّدا

في فَيلقٍ كــالبحرِ يجــرِي مُزْبِــدا   إنْ سِــيمَ خَسْــفًا وَجْهُــهُ تَرَبّــدَا

فدمعت عينا رسول الله (ص) ونظر إلى سحابة قد بعثها الله فقال: «والذي بعثني بالحق نبيًّا إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. وخرج بمن معه لنصرهم»[3]. وإن الشاعرة الخنساء وفــدت مع بني سليم على النبيّ (ص) وأسلمت على يديه وأنشدته شعرها فأعجب بشــعرها واستحســنه. وفوق ذلك أنه كان يَستنشِد وينشد ويَتمثّل به ويستمع إليه ويصدّقه، كما روي عن أمير المــؤمنين

---

١ – ابن رشيق، ج١، ص٢٤.

٢ – ابن قتيبة: الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٠٨ ـــ ٢٠٩.

٣ – كانت خزاعة حلفاء للنبيّ فلما كانت الهدنة بينه وبين قريش أغاروا على حيّ من خزاعة يقال لهم: بنو كعب، فقتلــوا فــيهم وأخذوا أموالهم، فقدِم عمرو إلى النبيّ متنصرًا.

علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: قال رسول الله (ص) لبعض من حضر: أنشدني كلمتك التي تقول فيها:

وحَيِّ جميعَ الناسِ تَسبِ عقولَهم — تحيتُك الأدنى، فَقد تَرفَع النَّفل
فإنْ أظهروا بُشرًا فأظهِر جزاءَه — وإنْ سَتَروا عَنكَ القَبيحَ فلا تَسَل
فإنَّ الذي يُؤذيكَ مِنهُم سَمَاعَه — وإنَّ الذي قَد قيلَ خَلفَكَ لم يُقَل[1]

رأي النبي (ص) في بعض الشعر

أبدى النبيّ بعض الرأي في الشعر، فقد ثبت أنه قام في بعض الأوقات والمناسبات ببعض التغيير فيه، كما روي أنه استمع إلى كعب بن زهير في المسجد وهو ينشد قصيدة «بانت سعاد» فلما بلغ إلى قوله:

إنّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ — مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الهندِ مَسْلُولُ

فغيّر النبيّ لفظًا منه حيث قال: «من سيوفِ اللهِ» بدل «مِن سيوفِ الهندِ»[2]. وأيضًا روي أنه، استمع بعد يوم أحد إلى كعب بن مالك في قوله: «مَجالِدُنا عَن جَزمِنا كلّ فَخْمَة» فقال له أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم، فقال رسول الله، فهو أحسن، فقال كعب: مَجالِدُنا عَن جَزمِنا كلّ فَخْمَة، ورويَت هكذا في سيرة ابن هشام[3].

ما هوَ بشاعر!

أما تهمة الشاعر فقد سبقت اليها قريش، ولم يسبق أن اتُهم بها نبي قبل نبيّنا، وذلك لتأثير الشعر والشعراء في عصر النبي وما سبقه، وما أحاط بالشعر والشعراء من هالة الغموض، في إنشادهم أو تلقيهم الشعر ومن أين تنبع قريحة الشعر، وهو ما سبق تفصيله في الفصول السابقة من هذه الرسالة. فقال تعالى: [﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾] (الأنبياء/ ٥) وكم هو عجيب هذا التضارب في إصدار التهم، فكم هو الفرق بين

١ – القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، تعليق علي فاعور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٦م، ص٥٢.
٢ – البغدادي، عبد اللطيف: شرح قصيدة «بانت سعاد»، دار الفلاح، الكويت، (د.ت)، ص١٦٦.
٣ – ابن هشام: السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥، ج٣، ص٦٣.

«أضغاث الأحلام» و «الإفتراء» و «الشاعرية»؟!. وورد أيضاًفي الكتاب العزيز: [(وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)] (الصافات/ ٣٦) «فردَّ الله – جل وعز – عليهم فقال: «بَل جاءَ بالحَقِّ» يعني القرآن والتوحيد «وَصَدَّقَ المُرسَلِيْن» فيما جاءوا به من التوحيد[1].

وفي سورة الحاقة جاءهم الردّ القاطع بنفي الشاعرية عن الرسول (ص) وأنه لا ينطق عن الهوى؛ فقال تعالى: [(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ)] (الحاقة/ ٤١). وكما نفى سبحانه الشاعرية عن النبي (ص)، نفى عنه نظم الشِّعر، تعلّمًا ونظمًا [(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)] (يس/ ٦٩) درءًا لأية شبهة من أن يكون القرآن شعرًا.

تشكيك البعض بوجود كائن الجنّ اللامرئي

بدوره يُشكك كاتب مقال «مفهوم الجنّ في القرآن» الذي زعم حرصه على «تحرير الناس من المفاهيم الشبحية والخرافية» بوجود «كائن جنّي شبحي» من خلال طرح هذا السؤال: «هل يوجد كائن جنّي شبحي يعيش بين الناس، ويسيطر عليهم أو يؤذيهم، كما هو سائد في الموروث الإنساني قاطبة؟» فيتجشّم عناء الإجابة على هذا السؤال المستصعب: «والجواب عن هذا السؤال لابد له من أمرين أو أحدهما: الأول: برهان علمي، وهذا يعني قابلية هذا الأمر للدراسة العلمية. الثاني: برهان نقلي من القرآن يخبر بوجوده بشكل صريح وقطعي الدلالة.

والمشاهد أن هذا الكائن الجنّي الشبحي لا يخضع للعلم والدراسة، وبالتالي انتفى عنه البرهان العلمي وانحصر الأمر بالبرهان النقلي من القرآن فقط. لننظر في مفهوم الجانّ الشبحي هل هو من ولادة القرآن، أو ولادة الموروث الإنساني في قديم الزمان من قبل نزول القرآن نتيجة التخلف والبدائية في الحياة؟ نجد أن مفهوم الكائن الجنّي الشبحي من المفاهيم الوافدة، التي دخلت إلى الثّقافة الإسلامية، واندرجت تحت نُصُوص قرآنية، مستغلين دلالات لسانية قاموا بتعبئتها حسب احتمالها اللساني، ومرروا هذه الخرافة التّاريخية التي نُسجت في الخيال الشّعبي منذ آلاف السّنين؛ نتيجة غياب العلم والوعي، وعدم استطاعة الإنسان حينئذٍ من معرفة أسباب الظّواهر التي تحدث له أو لغيره، أو من حوله، مع وُجُود طبقة من النّاس لها غرض في تكريس مثل هذه المفاهيم، فقاموا بتعزيزها في أذهان النّاس؛ حتّى صارت عقيدة يتوارثها الأجيال، ولم تَسلم منها الرّسالات الإلهية؛ وذلك لاستمرار وُجُود هذه الطّبقة النّفعية المستغلة، فأدخلوا هذا التصور الجنّي، إلى مضمون

---

١ – القرطبي، ج١٥، ص٧٠.

الرّسالات الإلهية، من خلال استخدام دلالات الكلمة وسلطة النّص الإلهي؛ فقاموا ببناء مفهومهم من أهداب الكلمات، وجعلوها تنطق بما يريدون إيجاده في أذهان النّاس، مستغلين قابلية المخيال الاجتماعي المتوارث بين مجتمعات أهل الأرض قاطبة لهذه المفاهيم! ويعترضنا سؤال مهم جدًا، لماذا لا تتعامل هذه الكائنات الشبحية إلا مع النصابين والمخادعين!؟ ولماذا لا يخاف منها أو يحسب حسابها إلا البسطاء من الناس!؟»[1].أما كيف يفسر كاتب المقال، الجنّ الذي تكرر وروده في القرآن الكريم؟ فقد استدل بعدة آيات قرآنية بأن النّص القرآني، لم يوجه الخطاب التّشريعي لغير الإنسان منها قوله تعالى: [(إِنَّا عَرَضْنَا الامَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)] (الأحزاب/٧٢).

«والأمر الثّاني: إنَّ بين الجانّ والإنس تداخُلاً في العلاقات الاجتماعية، والثّقافية، وأهم يعيشون في عالم واحد، وهذا دلالة كلمة (يا معشر) التي أتت مرة واحدة في النص، ولم تتكرر، ولو كان الجانّ ليس من الناس لأتت كلمة (يا معشر) مرة ثانية خاصة لهم [(يَا مَعْشَرَ الجِنّ وَالانسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ)] (الرحمن/٣٣). [(وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ)] (الأنعام/١٢٨).

الأمر الثّالث: إنَّ الرّسل، لا يبعثها الله إلا من جنس قومها، والرّسل للبشر هم من البشر، ولا يُوجد رسل من الجانّ إلى الجن.قال تعالى: [(يَا مَعْشَرَ الجِنّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا)] (الأنعام/١٣٠) انتبهوا إلى كلمة (معشر) أتت مرة واحدة فقط، ولم تتكرر في النص قبل كلمة (الإنس) وهذا يدل على أن كليهما معشر واحد من العشرة والاختلاط»[2].

ويستخلص كاتب المقال السالف من بحثه النتيجة التالية: «والإنس والجنّ صفتان لبني آدم من الناس، ويختلفون بطريقة حركتهم في الحياة المعيشية في عالم واحد متداخل بينهما، فهما صفات؛ لا أجناس. وعلى ضوء ما مرَّ ذكره من نصوص قرآنية نفهم النصوص الأخرى مثل: [(وَمَا خَلَقْتُ الجِنّ وَالانسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)] (الذاريات/٥٦)، فالله خلق الناس، وكلمة (الناس) تشمل الجانّ

---

١ – اسلامبولي، سالم، مفهوم الجنّ في القرآن، موقع أهل القرآن:
http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6490
٢ – نفس المصدر.

والإنس، وقد خاطبهما الله معًا بخطاب واحد: [(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًـــا)] (الأعراف/١٥٨)، [(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُـــونَ)] (البقرة/٢١)، وهذا يدل على أن الجانّ من الناس مثل أن الإنس من الناس، فَمَن هُم الناس الجـــن؟ إنهم الفئة التي تعيش في المجتمع بشكل خفي في حركاتهم وأعمالهم لايظهرون غالبًا لبقية الناس، مثل رجال الأعمال، والقيادات، وغيرهم ممن يتحكم في شؤون الناس، وهذا ملاحـــظ في الواقـــع لمـــن يعيشه، فيخبرنا الله أن هؤلاء هم الجان...وكلمة (عفريت) تدل على قوة الإنسان بشيء وإتقانه له، نحو قولنا: إن زيدًا عفريت في البناء، وهذه الصفة يمكن أن يتصف بها الإنسي أو الجنّي، اقرأ قولـــه: [(قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجنّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)] (النمل/٣٩)، العفريت في النص كان من الجنّ، بمعنى أنه من السادة الغرباء الذين أسرهم النبي سليمان، وكلمـــة عفريت تدل على أنه كان من الماهرين في النجارة أو ما يلزم لصنع العرش، ولم يقصد العفريـــت أن يسرقه.!»[1] .ولا شكّ انّ هذا الطرح بالرغم من إثباته لوجود الجنّ الا أنه يتعارض مع مـــا يعتقـــده عامة المسلمون من ان الجنّ هم جنس لقوم آخرين.

ويرى غيره بأن المسلمين يعتقدون: «إيمانًا يقينيًا بوجود كائنات خارقة تسمى بالجنّ ويعتقد المسلمون بأن للجنّ قوى خارقة وأن الجنّ باستطاعتها رؤية الناس وإلحاق الأذى بهم والبعض يعتقد إن أجسام الجنّ غير مرئية وقادرة على التشكل بالشكل الذي تريده، ولكن الجنّ له وجود مادي لحياة عاقلة ورد ذكرهم في الكتب السماوية.

وزعم فريق من المحدَثين أن الجنّ هم الجراثيم والميكروبات التي تصيب الناس بالأمراض التي كشف عنها العلم حديثًا وهذا وهم وخرافة لا أصل لها، فالجنّ وجود مادي لحياة عاقلة ورد ذكرهم في الكتب السماوية، والجراثيم غير ذلك من الأحياء المادية المخلوقة، وانتشرت فكرة أن الجنّ هم من نقل الطاعون في العصور القديمة، وبعض الناس في وقتنا الحالي لا يعتقدون بوجود الجن. ولكن حقيقة الجنّ خلق آخر غير الإنس وغير عالم الملائكة والأرواح. وبين الجنّ والإنس قدر مشترك من حيث الإتصاف بصفة العقل والإرادة ومن حيث القدرة على اختيار طريق الشر والخير، ومن حيث التكليف بالعبادة وحسب ما ذكر في القرآن بقوله: [(وَمَا خَلَقْتُ الجنّ وَالانْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ)] (الذاريات/٥٦)، وفي قوله:[(وَالْجَانّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ)] (الحجر/٢٧»[2].

١ – نفس المصدر.

٢ – موقع ويكي بيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%86

حُكم منكر وجود الملائكة والجنّ

ويعدُّ بعض فقهاء الشيعة إنكار وجود الملائكة والجنّ من الكفر، يقول الإمـــام الخالصـــي في رسالته العملية في موضوع «أصناف الكافرين وأحكامهم»:

«أصناف الكفار ثلاثة؛ ملحدون ومشركون وكتابيون. فالملحدون هم الذين أنكروا وجود الله تعالى وهم الطبيعيون والدهريون والماديون، وبحكمهم من أنكر إرسال الرسل وإنزال الكتب من الله ووجود الملائكة والجنّ ومن أنكر المعاد أصلاً أو أنكر المعاد الجسماني أو ضروريًا مـــن ضــــروريات الدين لا لشبه فهو بحكم المشركين وإن كان مدّعيًا للإسلام لأنه يؤدي إلى تكذيب النبي (صــــلى الله عليه وآله وسلم)»[1].

حُكم تسخير الجن

وفي تسخير الجنّ والملائكة والأرواح وتعلّم السحر، قال الخالصي رضوان الله تعالى عليه:

«..عَمَلُ السحر والكهانة والقيافة والعرافة والعيافة والسيميا والهيميا والريميا والليميا والجَفــر والرّمل، وتسخير الجنّ والملائكة والأرواح الصالحة أو الشـــريرة والتنجـــيم واستحضـــار الأرواح والشياطين وتَلبُسِها ببدن صبي أو إمرأة لكشف المغيَّبات، كما كان معمولاً في قديم الزمـــان قبـــل الإسلام وكما كان جاريًا عند بعض علماء المسلمين في الصدر الأول وكما هو معمولٌ اليوم بطريق آخر ويسمى بالاسبرتزم والهبنيتزم والمانيتزم فعَمَل كل ذلك حرام، لا تَعَلُّمه فإنه واجب كفائي»[2].

---

١ – الخالصي، محمد ، إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، بغداد ١٩٦٥م، ط٢، ج١، ص٨٨.

٢ – الخالصي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٤.

تحليل ودراسة مقارنة

في نهاية هذا الفصل والذي شارفنا فيه على إنتهاء الرسالة لا بدّ لنا من عقد مقارنة ولو سريعة بخصوص الملائكة والشياطين والجن على ما أوردناه من الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي الذي ينهل من القرآن الكريم، لتحصل الفائدة.

ولا يعزب عن ذهن القارئ الكريم إن بعض هذه المقارنة تقدمت في طيات البحث ولكنها أتت متفرقة على موضوعات البحث وفصوله، فصار من الأفضل إعادة تجميعها في تحليل منسجم ومتتابع، لا أقول لزيادة الفائدة بل لتجميع البحث وصقله.

إنّ أهم ما تميزت به النظرة البشرية هي إيمانها بالعموم بقضية وجود الكائنات الغيبية، ولئن كان الإنسان القديم أو إنسان ما قبل بضعة قرون سبقت لا يرى و لا يعرف شيئًا عن كائنات حية تعيش معه وفي جوفه وفي بيته وفي الهواء والغذاء نسميها اليوم الجراثيم والمكروبات والبكتريا والفيروسات، فان الإنسان الحديث قد رآها بفضل المجهر والأجهزة الدقيقة والمختبرات المتطورة.

وقد اعترف قدماء الفلاسفة والحكماء بأن السماء وما فوقها مسكونة بخلق روحاني من غير معدن المادة، وكانوا يعتقدون بأن للأفلاك نفس (روح) وعقل وشعور وإدارك. فيما كان بعض الفلاسفة يعتقدون بأن كل كائن له نفس عامة تنظّم نوعه وتدبّره، كنفس الإنسان الذاتية، حيث لكل شخص نفس ذاتية تمنحه الحياة والعقل والتدبير. في المقابل يعتقد العلماء المعاصرون من الفلكيين وغيرهم بأن للكون قوى منظّمة موجودة، وإن نظم العالَم إنما يتأتى من تلك القوى كالجاذبة العامة بين الأجرام السماوية والتي تحفظ نظم تلك الأجرام، أو كالتجاذب والتنافر الطبيعي الموجود بين ذرات الأجسام، بل والمشهودة حتى في الذرة الواحدة من السالب والموجَب الموجودين

بين جزئيها (النترون والألكترون) بدليل وجود النظم المشهود في أدائها.

وكان الإنسان القديم بدوره قد آمن بوجود كائنات غيبية، ولابدّ أنه تعرّف عليها بداية عن طريق الرسالات السماوية. فأول من تعرّف على هذه الكائنات الخفيّة كان أبونا آدم في عالم الملكوت، الذي فتح عينيه بعد أن سوّاه الله ونفخ فيه من روحه، فإذا الملائكة – وهم من غير جنسه– كلهم أجمعون سجودًا له، وياله من منظر مهيب! ولكن مَن ذاك المنتصب النشاز الذي لم يخرَّ ساجدًا؟! فاذا بآدم يسمع منه – ربّما –: أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته مِن طين! ولكنه ظل يريد التعرّف عليه، وكيفَ تجرأ على ربِّ العزّة وعصاه وأبى تمريغ جبهته بالسجود؟.

وهو في أمواج بحر لجيٍّ من الدهشة ، يفكر في أمر هؤلاء السجود، وهذا الممتنع، فاذا خطاب الربّ يقطع عليه فكره: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فأنبأهم بها. وسرعان ما تعرّف على ذلك الجني الذي فسق عن أمر ربه، إذ جاءه نداء من الله: إن هذا عدوٌ لك ولزوجك!.

اذن؛ فأول إنسان كان على معرفة وثيقة بهذه الكائنات، الملائكة والجن والشيطان. وفي المقابل لم ينفك إبليس يتعقّب آدم وزوجه، فوسوس لهما ودلاّهما بغرور وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، يبتغي من وراء ذلك نزع لباسهما عنهما ليُبديَ لهما سوءاتهما!.

ولم ينته المشهد بعد، فقد واصل تعقّبهما على الأرض ليحتنكنهما وذريّتهما، مستغلاً ما أعطاه الله من قدرة وقوة على الأغواء والتلبيس. لذلك أصبح من المؤكد أن تعرّف الإنسان على الكائن اللامرئي قديم، وقديم جدًا. حتى استقرّ ذلك في ضمير اللاوعي الإنساني.

ولما ابتعد الإنسان عن ينابيع المعرفة السماوية المستمَدة من وحي الله لأنبيائه ورسله، تشوهت عنده صورة هذه الكائنات، وارتبكت لديه الرؤيا. فأخذ حقيقة وجود كائنات أقوى منه، منها الصالح و منها دون ذلك، وكائنات مكلَّفة من الله بتصريف بعض أمور الكون كالرياح والمطر والرزق والموت وغيرها، حتى نسي المسبب والمدبّر وهو الله سبحانه وتعالى، وتشبّث بالسبب. فبات وهّمه إرضاء الطبيعة، وجعل للطبيعة آلهة، وللأنواع آلهة، وللحياة والموت والرياح والبحار والحب والشهوة والتناسل وغيرها آلهة. بل وجعل للشرّ آلهة؛ إله الدمار وإله الخراب وإله الأمراض والنار والزلازل .. الخ. وهي ما تُعرف بالميثولوجيا.

ثم خلط بين الآلهة والشياطين، فمرة سماها آلهة وأخرى شياطين وثالثة جنًا، ورغب لعبادتها طوعًا أو كرهًا. في حين جاءت الرسالات السماوية كلها بالتوحيد، توحيد الله وهو الخالق البارئ المصور المحي المميت الرازق المحاسب، له الأسماء الحسنى وله صفات الكمال كلّها، خالق الخلق، لم يلد ولم يولد، لا مثيل ولا ندَّ له؛ وخلاصتها؛ ليس كمِثلِه شيء. إذًا لا أرباب ولا آلهة في السماوات والأرض، إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

ومن هنا يبرز أهم اختلاف، وهو التوحيد الإلهي والشرك، فالرسالات السماوية كلها تدور حول محور التوحيد الإلهي وعدم الشرك به سبحانه، لا في العبودية ولا في الربوبية ولا في الصفات. [(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)] (الأنبياء/٢٥). أما باقي المذاهب والمعتقدات البشرية فما تلبث أن تدعو إلى الشرك بالله.

لذلك نرى حضارة بلاد الرافدين (العراق) بصفتها أول وأقدم الحضارات البشرية التي تعرّف عليها الإنسان، صوّرت العالم بأنه مليء بالعفاريت أو بالشياطين السماوية الطيبة والشريرة، وأذعنوا لوجود شيطان الظلام والشر والسحر الأسود، وإن كان ظاهرها ظاهر امرأة مستوية الخَلق جميلة الخُلق، تسخر الحيوان المفترسة. وصوروا بعض الشياطين بصور وحوش وحيوانات مفترسة.

وصورت بعض الحضارات، إمهال الله تعالى للشيطان بعد أن استمهله، بمشهد درامي تتدرج قصته لتصل إلى نتيجة أن الشياطين استغلت غفلة الإله –أعاذنا الله– لتعيث في الأرض فسادًا، ومتى انتبه اليها منعها ومتى غفل عنها تمادت في غيّها. في حين ان القرآن يُصرح بأن الشيطان استمهل بقوله: قال فأنظرني إلى يوم يبعثون، فاعطاه الله ما أراد اختبارًا للإنسان وفتنة.

وكان للجن حضور خاص لدى الكثير من الحضارات، وتنوعت أسماؤهم وصفاتهم وأشكالهم وأذاهم وأماكن وأوقات تواجدهم، وطرق التعامل معهم. وانسحب ذلك من الأجيال السابقة على الأجيال اللاحقة، والى يوم الناس هذا، لم يفرغ الذهن البشري من صراعه أو تزاحمه مع الكائنات الخفية القديمة، ناهيك عن اكتشافه لكائنات جديدة.

أما الجزيرة العربية فقد استوردت من جاراتها ومن حضارات أخرى بعض هذا الضمير اللاواعي حول الميتافيزيقيا أو «الجن» كمصطلح عام. وكان لعرب الحيرة والغساسنة أثر في رفد

العقلية العربية بأفكار وافدة من جهة بلاد الرافدين ومن عند الفرس والرومان بحُكم الإتصال القائم مع ثقافة هاتين الأمتين، لتصل بهم في محطة من المحطات التاريخية إلى الطوطمية والإيمــان بالمســخ أو التناسخ، أي إن بعض الأرواح الشريرة تنتقل وتحلّ بعد موت أصحابها في بدن حيــوانٍ شــرير أو مفترس، وتنتقل الأرواح الطيبة إلى بدن حيوان أليف نافع. وأوجد هذا الإعتقاد لدى بعض القبائل أو التجمعات العربية بأنها تنتمي إلى حيوانٍ ما تناسلت منه!.

أما قضية المسخ فقد أقرّها القرآن الكريم بحق قوم من اليهود عندما تعدّوا حــدود الله تعــالى فمسخهم الله قردة، قال تعالى:[(..فَقُلْنَا لَهُمْ كونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ)] (البقرة/ ٦٥)، وثبت في آيــة أخرى مسخ آخرين خنازير، فقال تعالى: [(..وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ..)] (المائدة/٦٠) وقال تعالى: [(وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ)] (يس/٦٧) والمسخ في الأخيرة بمعنى التحجّر. وهناك بعض القصص – لا تعدوا كونها إســرائيليات– وردت في قصــة هاروت وماروت وتعليمهما السحر ببابل، أن كوكب الزُهرة هي لفاجرة مُسخت كوكبًــا، كمــا تقدم ذكره في الرسالة. أما التناسخ فلم يرد في القرآن الكريم شيء يقرّه. وهنا يبرز الإختلاف الثاني بين الإعتقاد بتكاثر المسوخ والتناسخ من قبل الجاهليين، وبين الدين الإسلامي.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل ان تلك القردة والخنازير البشرية الممسوخة تناســلت؟ أمــا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فينفي ذلك بقوله: «انّ المُسوخ لم تبقَ أكثر من ثلاثة أيــام حتى ماتت وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ»[1].

أما أسطورة الخلود والحياة والموت فهي الأخرى قديمة، فالإنسان الأول كان يسعى للخلــود وقهر الموت، ومن هذه الثغرة ورد إبليس فقال لآدم وحواء: [(..مَا نَهَاكمَا رَبُّكمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكونَا مَلَكيْنِ أو تَكونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)] (الأعراف/٢٠). ولطالما قهر الموت البشــر والملــوك والعظماء الذين كانوا يريدون الخلود فلا يستطيعون، فكان المَخرج من هذا المأزق هو تصوير حياة لا مادية لهؤلاء الذين يزعم أنصارهم أنهم خالدون، انتقلوا من عالم إلى عالَم آخر، كما هو الحال مع فراعنة مصر. ولعل التناسخ الذي مرّ ذكره، يريد ترسيخ هذا المعتقد؛ أن الموت يطرأ على البــدن،

---

١ – البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص٢٩٨.

ولكن الروح باقية تتنقل من جسد إلى جسد. وقلتُ: "لعلّ" لأني لم أرَ هذا التحليل في مكان!.

والخلود غير ممتنع على الإنسان، ولكنه لـيس في هـذه الـدنيا، بـل في الحيـاة الآخـرة. وفي الفيزياء ينصُّ قانون حفظ الطاقة أو بقاء الطاقة على أن الطاقة لا تفنى ولا تُستَحدث من العدم ولكن يمكن تحويلها من صورة لأخرى. وهنا يظهر وجه التشابه وهو استسـلام الجميـع للمـوت الجسدي في هذه الدنيا، وأن الروح خالدة لا تموت إلى يوم القيامة. مع اختلاف في اعتقاد الـبعض بالمعاد الروحاني فقط، وهو ما يردّه القرآن الكريم كقولـه تعـالى: [(وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ نَّاضِـرَةٌ)] (القيامة/٢٢) ولا يسنده حديث عن الرسول وآله الأبرار.

من جانب آخر فقد تميز العقل البشري، بسعة الخيـال وسـباحته في الميتافيزيقيـا، ونسـجه للأساطير، ومن هنا نشأت الخرافة والأسطورة لدى البشر، فحاكوا لهم آلهـة وعفاريـت وجـنّ وصوّروهم بصور مختلفة، ونسبوا اليها الخير والشر والسحر الأسود والأبيض. بينما جانبت تعـاليم السماء دائمًا أية أسطورة، وخاصة القرآن الكريم، وسيرة نبي الإسلام محمد صلى الله عليـه وآلـه وسلم [(إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى)] (النجم/٤) وهو فارق آخر يميّز الشرائع السماوية عن المـذاهب البشرية.

ولقد ارتبط أحيانًا لدى العرب – وغيرهم كاليونانيين– الشعر بالكهانة، ومـن ثم بالأديـان القديمة وخاصة غير السماوية، واعتبروا الهجاء تجنيد الجنّ ضد الخصم للإنتقام منـهم والإنتصـار عليهم، بمساعدة القوى الغيبية التي يستمد منها الشاعر قواه وشاعريته. ومن الكهـان المشـهورين لدى العرب عمرو بن لحي، الذي جمع الملوكية والكهانة، وابتدع في الحنيفية ودين اسماعيـل بـن ابراهيم عليهما السلام، وجاء بالأوثان من بلاد الشام إلى مكة، ومنها انتشرت عبادة الأصـنام في الجزيرة العربية. واشتهر الكاهنان "شق" و "سطيح". لذلك نفى القرآن الكريم هذه التهمـة عـن الرسول الصادق الأمين بقوله: [(فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّك بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ)] (الطـور/ ٢٩) وقوله تعالى: [(وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكرُونَ)] (الحاقة/٤٢).

وكما تمت الإشارة اليه في مطاوي الرسالة، فان ذكر الملائكة قلّمـا ورد في الأدب الجـاهلي، لقلّة معرفتهم بها، وكان أصحاب الديانات السماوية هم أعرف بها، وكان العرب يعرفـون الجـنّ

والشيطان، وقد يكون ذلك بفعل الشيطان نفسه. ويرى الدكتور جواد علي في مفصله بأن العرب «خلطوا في الغالب بين الملائكة والجن». ويقول الأصفهاني في أغانيه: «لم نسمع عن العرب في الجاهلية تحدثوا عن الملائكة حديثًا واضحًا، أو سمعوا بوحيها أو نزولها على الناس، إلا قبيل الإسلام. فقد عرفها منهم مَن هوّدوا أو تنصّروا أمثال أمية بن أبي الصلت الذي ذكر الملائكة في شعره. وأشهر رجل منهم ورقة بن نوفل الذي قصّت عليه خديجة خبر «حِراء» فعرف أنه الناموس الذي أنزله الله على موسى، بل إنه سماه الناموس الأكبر»[1].

أما اعتقاد المشركين بأنوثة الملائكة وأنها بنات الله، تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرًا! فقد يكون ذلك لكونها ذوات مقدسة وشريفة لم يُعرف عنها إرادة الشرّ للإنسان، بل –في الغالب– هي عامل الخير والسعادة له، وهذا ما يجعلهم أقرب شيء لأقدس شيء وهو الله تعالى. كما يبدو إن إدعاء أنوثتهم مستخلَص من إعتقادهم بخصوبة الأنثى بشكل عام، وأهمية الخصوبة بالنسبة للعرب في الإنسان والدواب والزرع. لذلك كانت المرأة تُقدّس في مرحلة من المراحل الغابرة، لأنها رمز الخصوبة.

ومن هذا المنظار يمكننا تحليل ظاهرة النسيب في الشعر، والكمّ الكبير من الأشعار الجاهلية التي تذكر المرأة أو الأنثى. والتي كانت محور اهتمام الشعراء، حتى في وقوفهم على الأطلال. كما أن وصف جسد الفرس والناقة والظبية ما هو إلا أسلوب تورية لوصف جسد الحبيبة بتفاصيله! لمن لم يقتحم هذا الوادي فيصفها هي! وفيه كناية أيضًا عن حاجة الشاعر الروحية للمحبوبة. وعلى هذا المنوال –ربّما– أنّثت الملائكة. فأدان القرآن الكريم هذا الأعتقاد ونفاه في آياته واعتبره من دواعي الكفر، فقال تعالى: [(إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الإنثَى)] (النجم/٢٧). مع التذكير بأن مثل هذا الإعتقاد الخاطئ (أنوثة الملائكة) لم يقتصر على العرب، بل هو ظاهرة عالمية، نشاهدها في الرسوم والنقوش وصولاً إلى القرن الأخير.

ولما كان الميل إلى المرأة غريزة طبيعية أودعها الله في البشر، فان حبّ المرأة وإكرامها ورد في آيات عدة، فقد جعل الله لها وُدًّا ورحمة وفيها سَكَن، وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه

---

١ – الأغاني، ج٣، ص١٢٢.

السلام: «فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[1]. أي أن المرأة هي كالزَّهرة تشمُّ وتُضَمُّ ولا تُظـــام. وتؤيد هذه المسألة رواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «مَن اتخذ امرأة فليكرمها فإنما امرأة أحدكم لعبة فمن اتخذها فلا يضيعها»[2].

وقد اقترنت الملامح الملائكية في الأذهان بجمال الوجه والجسد، وورد في الشعر الجاهلي تشبيه الجَمال بصورة الملائكة، قال الشاعر:

فلستَ لإنســـيٍّ ولكـــنْ لِمـــلأكٍ تحدَّرَ من جَوِّ السَّـــماء يَصُـــوبُ[3]

وورد في سورة يوسف ما يشبهه على لسان نسوة مصر يصفن فتى امرأة عزيز مصر؛ يوســـف (ع): [(.. قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَك كرِيمٌ)] (يوسف/ ٣١).

وفي هذا السياق نصل إلى قضية شياطين الشعر، ولنستحضره ملخصًا :

تتلخص قضية الإلهام الشعري والبراعة فيه وربما الفحولة برأي الجاهليين؛ بأن الشعر ليس كلّه تعلّمًا أو قريحة، بل هو إلهام ما ورائي يُلقى في روع الشاعر أو يُعلَّمَه. أما مصدر الإلهام فاعتبروه من الشياطين أو الجنّ ذلك أن الشعراء لا يقولون الشعر من تلقاء أنفسهم. وطريقة الإيحاء مختلفه علـــى زعمهم، فإما أن يدخل الشيطان أو الجني بداخل الشاعر، وأما أن يلتقي به..الخ. وســـاد الإعتقـــاد لدى عامة العرب بأن الشاعر مسكون، ويردد ما تمليه عليه الشياطين، ويستمد قوته من شـــيطانه، فكلما كان شيطانه أقوى كان الشعر أقوى. وكشاهد على ذلك نقرأ قصة حسان بن ثابت الـــذي كان لا يزال صبيًا، فتعرّفت عليه سُعلاة (أنثى الغول) في إحدى طرقات المدينة وعرفت أنه سيكون شاعر قومه، فهددته بأن يُنشدها شعرًا، فانشدها أبياته المعروفة:

إذا ما ترعـــرعَ فينـــا الغُـــلامُ فمـــا أن يقـــالُ مَـــن هَـــوَه
إذا لَم يَسُدْ قبـــلَ شـــدِّ الإزار فـــــذلكَ فينـــــا لا هـــــوَه
ولي صاحبٌ مُن بني الشيصـــبانِ فَطَورًا أقـــولُ وطـــورًا هـــوَه[4]

١ – نهج البلاغة، الرسالة ٣١.
٢ – المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٢٢٤.
٣ – الطبري، تفسير الطبري، ج١، ص٤٤٧.
٤ – حسان بن ثابت: شرح ديوانه، ص٢٩٦.

والمشاهَد في هذه الأبيات القليلة إن بدايات الشعر تبدأ لدى الشاعر وهو غلام صغير، ومنذ أن يخرج من خبائه للّعب فيشاهده أفراد قبيلته ويسألون عنه مَن هو؟ وقبل أن يتعلم أو يقوى على شدّ إزاره يجب أن يكون سيّدًا ومبرّزًا في قومه، وقادرًا على إنشاد الشعر، ولا شك إن هذا العمر لا يمكن أن يكون عمر تعلّم، فان نبغ فيه الشاعر فهو نبوغ وإلهام من مصدر خارجي. وهذا المصدر بالنسبة لحسان شيطانه من بني الشيصبان، وهم قبيلة من الجنّ معروفة لدى العرب. ويمكن أن تستشعر من البيت الثالث بأن هذا الشيطان كان يصحبه قبل ذلك، لأنه أطلق عليه لفظ "صاحب" إشارة إلى طول الصحبة والإستئناس به، فهو لا يخافه، كما يُخاف من الشياطين والجن. وهذا دليل آخر على العلاقة الحميمة التي تربطهما.

وتنكير "صاحبٌ" يوحي بالتعظيم أو الخفاء، وإمّا للتقرب والتحبب منه. والبيتان الأولان بدأهما بـ "إذا" للتدليل على صدق حديثه.

على أن مسمّيات الجنّ والشياطين جاءت ذات مغزى يدل عليها لفظها ومعناها وجرسها الذي يوجِد فيها ايقاعًا خاصًا، يترك أثره النفسي في المتلقّي، فتحليل الدلالة اللغوية لشيطان أمرئ القيس "لافظ بن لاحظ" هي من؛ لَفْظَ الشيء هو رميه من الفم، ولَفَظَ البحر الشيء رماه إلى الساحل، واللافظة؛ الرّحى تخرج ما تطحنه[1]. ومنه "اللفظ" بمعنى "الكلمة" أي النطق بها وإخراجها من الفم. وكأن الشيطان "لافظ" يقذف الشعر من فمه كما يقذف البحر بما فيه، ويطحن المعنى الذي يريده الشاعر فيُخرجه ناعمًا مستساغًا كما هي الرحى. و "لاحظ" اسم فاعل من المصدر "اللحظ" وهو النظر شزرًا، وهو شق العين الذي يلي الصدغ، واللحاظ: ميسم في مؤخر العين إلى الأذن، وهو خط محدود، أو لحظان من جانبين أو لحاظ واحد من جانب واحد[2]. اذن نستنتج أن دلالة "لحظ" اللغوية تدل على النظر بغضب من طرف العين، وتدل على شكل العين التي تبدو مشقوقة، وتدل

١ – يُنظر لسان العرب، كلمة لفظ.

٢ – يُنظر لسان العرب، مادة لحظ.

أيضًا على علامة "خط" يصل العين بالأذن، وهكذا تصورَ العرب عين الشيطان[1]. وتكـــرر حـــرف "الظاء" في "لافظ و لاحظ" وهو من حروف الإستعلاء، فيه نوع من الفخامة والإستعلاء.

أما "جُهُنّام" شيطان عمرو بن قطن، فقد اختُلف في معنى هذا الإسم وأصله، ولا يُســتبعَد أن الكلمة من أصل عبري مكونة من مقطعين "جي – هنوم" ومعناهما، وادي الهمـــس أو الأنـــين، أو الهينمة، أو وادي البكاء والعذاب[2]. ومنه لفظة جهنّم الذي يُحشر فيها الشياطين والعاصـــون. وفي هذه الكلمة الجيم والنون والألف المدية من حروف الجهر وفي النون شدة وفي تشديدها مضـــاعفة الشدة. وبذلك يكون نطق هذه الكلمة بهِ نوع من الجهر المجسّد للغاية التي وضع من أجلها.

وبالنسبة لاسم "هبيد بن الصلادم" فوقعه شديد في التلفظ وعلى السمع. وهبيد؛ تعني الحنظل يُكسّر ويُستخرج حبّه ويُنقع لتذهب مرارته ويُتخذ منه طعام يؤكل عند الضرورة[3]. والحنظل المـــرّ طعام تحبه الظباء التي اعتبرها من مطايا الجن، و"الصلدم والصلادم" الشديد الحـــافر، وقيـــل: هـــو القوي الشديد[4]. وكلّه دليل على الشدة والقوة.

أما حروفها، فكلمة "هبيد" همس برخاوة وجهر برخاوة وجهر برخاوة ثم جهر بشدة، فكأنك تريد أن همس شيئًا مهمًا في أذن شخص تُسِرُّه ثم تزيد من ارتفاع صوتك لتنهيه بشـــدة لترســـيخ المفهوم في ذهنه. وكلمة "صلادم" همس برخاوة، وجهر بتوسط، وجهر برخاوة، وجهـــر بشـــدة، وجهر بتوسط. فالصوت منخفض ويرتفع قليلاً ثم يرتخي فيرتفع بشدة وينخفض. وهـــي تموجـــات صوتية تدلّ على عدم الثبات على وتيرة واحدة وعلى الحيوية المتذبذبة.

و "مسحل بن اثاثة"، المسحل هي الرياح تسحل الأرض سحلاً، تكشط ما عليها وتنزع عنـــها أدمتها، والمسحل الثوب النقي من القطن، والشجاع الذي يعمل وحـــده، والغايـــة في الســـخاء، والجلاد الذي يقيم الحدود بين يدي السلطان، والخطيب الماضـــي، والفـــرس الجمـــوح، والشـــتم

---

١ – صالح، الجنّ في الشعر الجاهلي، ص١٤٢-١٤٣.

٢ – المصدر السابق، ص١٤٤.

٣ – يُنظر لسان العرب مادة هبد.

٤ – يُنظر لسان العرب مادة صلد.

باللسان[1]. إذن معاني هذه الكلمة متعددة. وانتقت منها كاتبة «الجن في الشعر الجاهلي» معنى "الثوب النقي من القطن" لأن «اللون الأبيض حمل رمزًا دينيًا مقدسًا عند العرب، إضافة إلى معنى الشتم، الذي يتوافق مع سلاطة لسان الشاعر»[2]. في حين لو نظرنا إلى وصف "مسحل" على ما وصفه به متبوعه "الأعشى" في الأبيات التالية:

وَما كنتُ شاحِرْدًا ولكن حَسِبتني	إذا مِسحلٌ أسَدّى لي القَولَ أنطِقُ
شريكانِ فيما بيننَا مِن هَوادةٍ	صَفيَّان جنّي وإنسٌ موَفَقُ
يقولُ فلا أعيا لشيءٍ أقولهُ	كفاني لا عَيٌّ ولا هو أخرقُ
جماعُ الهوى في الرُّشدِ أدنى إلى التُقى	وتَركُ الهوى في الغيِّ أنجى وأوفقُ[3]

يترجّح في ذهننا معاني؛ الغاية في السخاء، والخطيب الماضي. أما لماذا؟ فأن الأعشى ينطق إذا مسحل جاد عليه بالكلمات، ولا يعيى من الكلام إذا أمدّه مسحل المفوّه العاقل به. إذن هو سخي بعطاء الكلام خطيب عندما يعطيه، فهما ثنائي ناجح جني وإنسي. لذلك جاءت حروف مسحل، جهر بتوسط، وهمس برخاوة، وهمس برخاوة، وجهر بتوسط، وهي صفات هادئة إذا اتصف بها الخطيب، إمتلك زمام الكلام، وانقادت له المعاني، وسهُل عليه حَزَنُ البلاغة.

ومن هذا المختصر نتعرّف على وجود صلة بين الأسماء والمسميات التي ورد ذكرها، والمعاني المطلوبة من ورائها. وفي بيت لعنترة بن شداد قال فيه:

كَم يُبعدُ الدّهر مَن أرجو أُقارِبُهُ	عنّي ويبعثُ شيطانًا أُحارِبُهُ
فيالهُ من زمانٍ كلَّما انصرفتْ	صروفهُ فتكتْ فينا عواقبُهُ
دَهْرٌ يرَى الغدْرَ من إحدَى طبَائِعهِ[4]	فكيْفَ يَهْنا بهِ حُرٌّ يُصَاحِبُهُ

أعطى الشيطان وصفه الحقيقي من أنه عامل شر وقتل وسفك دماء، وليس أديبًا وملهمًا

١ – يُنظر لسان العرب مادة سحل.
٢ – صالح، المصدر السابق، ص١٤٣-١٤٤.
٣ – الأعشى: ديوانه، ص١١٩.
٤ – ديوان عنترة بن شداد، ص٥١.

للشعر، بل هو بمثابة الكابوس المزعزع للعزائم، والمخيّب للآمال، والمنتقم نيابة عن الدهر الخؤون منه، فهو يرجو قرب ووصال مَن يُحب فيجازيه الدهر بإبعادها عنه، ويمنحه شيطانًا محاربًا فيضطر إلى محاربته. ولا نشك إن هذا الوصف أطلقه عنترة على شياطين الإنس، الذين كانوا يصطفون لقتاله، وما ينتهي من حرب حتى تشتعل حرب أخرى تلهيه عن صاحبته. وقد بدأ الشاعر قصيدته بالإستفهام إشعارًا بتعجبه من صروف الدهر.

وقد وصف القرآن الكريم أيضًا بعض الناس بالشياطين؛ وكذلك تكرر وصف الجنّ بالشياطين، لنصل إلى نتيجة أن الشيطنة هي تصرف أكثر مما هي جنس. قال تعالى: [(وَكَذَلِك جَعَلْنَا لِكلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ)] (الأنعام/١١٢).

وتشترك اللغة العربية في إطلاق اسم الشيطان على الجنّ أيضًا، وتفسّر الاية الشريفة [(إِلاَّ إبليس كَانَ مِنَ الجنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)] بأن جنس الشيطان من جنس الجن، وربما يعود إختلاف المسمى إلى إختلاف الأداء والتصرفات.

واعتبرت العرب بعض الأذى الذي يُصيب الإنسان، مصدره الجن. وليس أوضح من الجنون، وهو فقدان العقل، فانه متأتٍ من سيطرة الجنّ على المجنون وسلبه عقله، صحيح إن مَن فسّروا لفظ "الجن" بمعنى الخفاء، قالوا إن الجنون سمّي جنونًا لخفاء العقل، ولكن بالحقيقة أن العقل هو في الأصل خفيّ لا يُرى، وعلى هذا الأساس فان عقل الواعين هو "مجنون" أي؛ خفيّ وغير ظاهر أيضًا. والأصوب أن يكون الجنون أثرًا من آثار الجن. لذلك نرى بأن المجانين ينطقون بكلام موهوم ويَسبَحون بعالَم لا ينطبق كثيرًا مع العالَم الأرضي.

وقد أورد البيطار الذي درس الجذر الثنائي لكلمات القرآن الكريم في معنى الجذر الثنائي لكلمة «جن»: «قيل انّ الأصل جنّ هو من الستر... فهل هذا صحيح؟... ويبدو ان الجنّ، وهي المخلوقات المستورة عن العيون هي التي أوحت بمعنى الستر لهذا الأصل... جنّ، من الأصل الثنائي (جن) تعني الميل والعطف وليس الستر، كما سوف نرى...

– جنن: الجيم والنون المضاعفة أصل يدل على الميل والعطف كما في الكلمات التالية:

– جنّ عليه الليل: مال عليه. قال تعالى [(فَلَمَّا جنّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كوْكبًا..)][1] والليل علميًا يميل على المنطقة أو الإنسان لأنه يسير من منطقة إلى أخرى ولا يُطبِق مرة واحدة في حقيقتـــه، وإن كان يظهر كذلك، لأن مدى الرؤيا عند الإنسان محدود. وبالتالي فان القول بأن معنى جنّ هو مـــال أدق علميًا من القول ستر...

– الجنة والجنون: ميل العقل عن الإستقامة وبالتالي فساده...»[2].

لذلك فالعرب لا تشك من أن الجنون عارض من الجنّ والشياطين بزعمهم، بل وحتى الصرع والطاعون والخبل ..الخ إنما يحدث بسبب دخول الجنّ أو الشيطان بداخل الإنسان، فلا يصحّ المجنون إلا بإخراج الجنّ من جسده، والطاعون وخز الشيطان ورماح الجن، وأن اللقوة والتشنّج هي لطمة الشيطان. ومنه قول زيد بن جندب الأيادي:

ولولا رماحُ الجنّ ما كـــان هـــزَّهُم　　　رماحُ الأعادي مِن فصيحٍ وأعجَم[3]

وكذلك فربما تنفر الدابة أو تفزع عندما ترى الجن، أو يتلبّس بها، كقول الأعشى يصف ناقته:

وتُصبِحُ مِن غَبِّ السُرى وكأنّما　　　أَلَمَّ بها من طائف الجنّ أوْلَـــقُ[4]

ومعناه؛ أنها تُسرع السير كما لو أجنّها جنّي. والطائف من الطيف وهو الغضب والجنون ومـــا يراه الشخص في النوم أو الخيال. وقد نُسب في القرآن بهذا المعنى إلى الشيطان. قـــال تعـــالى: [(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)] (الأعراف/ ٢٠١).

وقد ورد في بعض الروايات الإسلامية أن بعض الحيوانات ترى ما لا يرى الإنســـان، منـــها: حديث مرفوع إلى الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكَلْبِ وَ نَهِيـــقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا تَرَوْنَ»[5]

وفي آخر: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنهن يرين ما لا ترون، وأقلّوا الخروج إذا هدأت الأرجل؛ فإن الله عز وجل يبث من خلقه في ليلته ما يشاء وأجيفوا[6] الأبواب، واذكروا اسم الله عليه فإن الشيطان لا يفتح بابا إذا أجيف، وذُكِر اسم

---

١ – الأنعام ٧٦

٢ – البيطار، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، ص١٢٥–١٢٧.

٣ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢١٩.

٤ – الأعشى، ديوانه، ص١١٨. أولق: الجنون

٥ – المجلسي، بحار الأنوار، ج٦١، ص٢٦.

٦ – أجيفوا الباب: ردّوا الباب، أغلقوا الباب.

الله عليه وغطوا الجِرار، وأكفئوا الآنية، وأوكؤا القِرَب». ويمكن شرح هذا الحديث – إن صحّ سندًا ومتنًا– انه ثبت علميًا حدّة نظر الكلب في الليل، إضافة إلى حاسة شمّه وسمعه، مما يجعله يرى ويستشعر الأشخاص والأشياء قبل الإنسان. وإن للّيل عوالِمه وأهله، فان الكثير من الوحش والجوارح والقوارض والزواحف والهوام والحشرات، تطلب قوتها في الليل، ومنها ما يُشكّل خطرًا على حياة الإنسان وخاصة في المناطق غير المأهولة والصحارى أو الجبال، فعدم خروج الإنسان في مثل هذه الحالات أسلم له، ومن جانب آخر فان عدم مضايقة هذه الكائنات في الحصول على قوْتها يساعد على اكتمال الدورة الطبيعية (أكو سيستم)، التي أخل بها الإنسان المتحضّر، وبدأ يكتوي بنارها. أما ايجاف الأبواب وغلقها فهو أصل من أصول السلامة حتى في القرن المتحضر، بل أصبح أشد ضرورة من ذي قبل، فلئن كانت الحيوانات الهائمة، ترتدع عندما ترى بابًا مؤصدًا، فان حيوان القرن الحادي والعشرين الذي يمشي على رجلين! لا تمنعه حتى الأبواب الأوتوماتيكية والكهربائية المحصّنة والمرمّزة!!. وأما بقيه الوصايا «غطوا الجِرار، أكفئوا الآنية، أوكؤا القِرَب» فانها وصايا صحية واضحة المدلول. وسنتناول في نهاية هذا التحليل جانبًا من الألفاظ الشرعية التي ذُكرت بلفظ الشيطان أو الملائكة.

ولا يفوتنا دَور الوهم في خلق تخيّلات غريبة لا تمت للحقيقة بِصلة، فلا أحد يُنكر عندما يكون الإنسان في وحدة، فيشتمله الليل، كيف يبدأ خياله يحيك الأوهام، وكلما ازداد الشخص خوفًا وجُبنًا، إزدادت الكارثة، فيسمع أصواتًا لا تخيفه في النهار، بل لا يعيرها اهتمامًا، وأما إذا اجتمعت الوحدة والليل والظلام، فسيتخبّط كالذي يتخبطه الشيطان من المَسّ، فكيف هو الحال إذن إذا اجتمعت الوحدة وظَلمات بعضها فوق بعض –إذا أخرج يده لم يَكَد يراها – والجُبن وخزين من القصص الخرافية الذهنية، وبوم يصيح، وذئاب تعوي، وريح تصفر، ومطر يقصف، وزوابع ترعد، وبرق يلمع؟! وبعض هذا المشهد يصوّره لنا المرقش الأكبر:

ودَوّيةٍ غبراء قد طال عهدها	تَهالَكُ فيها الوِردُ والمرء ناعس
قطعتُ إلى معروفِها مُنكَراتِها	بِصيهامهِ تنسلُّ والليلُ دامِسُ
ترَكتُ بها ليلاً طويلاً ومنزلاً	وموقدَ نارٍ لم ترُمْهُ القوابِسُ
وتسمعُ تزفاءً من البومِ حولَنا	كما ضَرَبَتْ، بعد الهدوءِ النواقِسُ[1]

١ – قناوي، الوصف في الشعر العربي، ص٢٦٧.

وعند اجتماع كلّ هذه المهالك المهولة، تكون الغول نفسها رفيقة للإنسان، أي إن الخوف من الغول يُصبح لاشيء أمام أشياء، فيكون كما وصف الشاعر عبيد بن أيوب:

فللـــهِ درُّ الغـــول أي رفيقـــةٍ لِصـــاحبِ قَفـــرٍ خـــائفٍ مُتقَتِّـــرِ

وهنا أُثبّت قصة طريفة حصلت في عهد ليس ببعيد، عاشه آباءنا، ولم تكن كامل بلادنا تـــنعم بالطاقة الكهربائية، إذ خرج شخص اسمه "شيخ علي" من بيته إلى المسجد يرتدي عباءته لأداء صلاة الصبح، فسار وحيدًا في أزقة الحيّ الضيقة المظلمة الفارغة، من بين "أطلال" الماضـــين، وإذا بهـــاتف يهتف من ورائه «شيخ علي.. شيخ علي.. شيخ علي» فخاف الرجل، فأبطأ من سيره، وأبطأ الهاتف من ندائه، تجرأ الشيخ ووقف، فسكت الهاتف، فاسرع مهرولاً ولم يُعقّب، فاذا بالهاتف يتبعه ويُسرع بالنداء «شيخ علي.. شيخ علي.. شيخ علي»، وكلّما أعاد الكرّة تكررت الحالة، حتى وصـــل إلى المسجد وهو مرتعب، وعندما طلعت الشمس وأنار الصباح مصباحه عاد إلى بيته وإذا بالهاتف خلفه من جديد، توقف ليتدبّر الأمر، فإذا بنبتة شوك صغيرة قد تعلقت في أذيال عباءته يجرّها خلفه علـــى الأرض فتصدر صوتًا وكأن أحدًا يهتف باسمه "شيخ علي"!!.

وعندما نشير إلى الوهم نريد أن نثبت دوره في ما ورد من الكثير من أخبار العرب مع الجـــنّ والغيلان والسعالي والزواج منهم وقتالهم، ولا يخفى ونحن في القرن الحادي والعشرين الميلادي مـــا يُصيب الإنسان أحيانًا من أمراض وأزمات نفسية يتوهم فيها أعداء ليسوا بموجودين، ويُصرّح عـــن أشخاص يلاحقوه ويريدون به السوء ولا أحد يراهم، وغالبًا ما يتم علاج مثـــل هـــذه الأمـــراض النفسية والعصبية بالدواء أو بالعلاج النفساني. ومن غير المستبعد أن تكون بعض القصـــص الـــتي نُقلت الينا نشأت في مثل هذه الظروف، أو من باب التسلية وأحاديث السمر التي تغلب عليها هذه الصفة التي أطلقت على الشعر؛ فالشعر أعذبه أكذبه، كذلك القصص الخرافية تكون أعذبها أرعبها. وهو ما ذكره الجاحظ بقوله: «فالراوية كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أطـــرف عنـــده، وصارت روايته أغلب، ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدَّعي رؤية الغول، أو قتلها، أو مرافقتها، أو تزويجها؛ وآخر يزعم أنه رافق في مفازة نمرًا، فكان يطاعمه ويؤاكله»[1].

ولأن رؤية الشعراء كانت مختلفة للجن، فهي لا تخلو أن تكون مزيجًا من المـــؤثرات البيئيـــة، والموروث الثقافي، ونفسية الشاعر، وغرض القصيدة. فمثلاً يدّعي تأبّط شرًا بأنه تزوّج الغول غـــير

١ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٧٨.

مرة، في هذا البيت:

أنا الذي نكحَ الغـــيلانَ في بلـــدٍ ما كَلَّ فيه سمّـــاكيٌّ ولا جـــادا[1]

ويمكن أن نستشعر المزيج المذكور؛ فالتأثير البيئي متأتٍ من تشرد وصعلكة تأبط شرّآ، وتـــأثير الموروث الثقافي آنذاك والذي لم يكن يُنكر نكاح الغول والسعلاة والجنيـــات، ونفســـية الشـــاعر المزعزَعة نتيجة عدم ميل النساء اليه يجب أن تُجبر بادعاء حصول النكاح وتكرره المفهوم من الجمع في لفظ "الغيلان"، وأخيرًا تأثير غرض القصيدة أو البيت وهو التفاخر والتهويل.

ومن المؤكد أنه ليس كل ما أنشد الشعراء حول الجنّ هو مخيف في معناه، طويل في بحره، شديد في ايقاعه، ثقيل الجرس على الأذن، لا! ليس كذلك بالطبع، ولنعيد الإستماع إلى ايقاع قسم مـــن الأبيات التي سبق أن ذكرناها عن الأعشى:

إنَّ الثَعالِـــبَ بِالضُـــحى يَلعَـــبنَ في مِحرابِهـــا

وَالجِـــنُّ تَعـــزِفُ حَولَهـــا كَـــالحُبشِ في مِحرابِهـــا

فَخَـــلا لِـــذَلِكَ مـــا خَـــلا مِـــن وَقتِهـــا وَحِســـابِها

*****

فَبَعَثـــتُ جِنِّيًّـــا لَنـــا يَـــأتي بِرَجـــعِ جَوابِهـــا

فَمَشى وَلَـــم يَخـــشَ الأَنيـــسَ فَزارَهـــا وَخَـــلا بِهـــا

فَتَنازَعـــا سِـــرَّ الحَديـــثِ فَـــأَنكَرَت فَنَـــزا بِهـــا

عَضـــبُ اللِســـانِ مُـــتَقِّنٌ فَطِـــنٌ لِمـــا يُعـــنى بِهـــا[2]

فالبحر "مجزوء الكامل" والإيقاع سلس وموسيقاه تطرب الأذن وتسُرّ السامعين، والكلمـــات خفيفة، فلا الثعالب مخيفة ماكرة، ولا الجنّ مردة، يحسبهم الســـامع – دون أن يـــراهم– ملـــيحين لعوبين عزوفين طروبين، ليس هذا فحسب، بل صِباح حِسان الوجوه! كيف لا وقد استُؤمنوا علـــى عذراء غيداء جميلة، يخاف عليها أهلها حتى من الإنس، لا تبرح محرابها. وكذلك يجـــب أن يكـــون الجنّي المرسل، فلا مجال لأن يكون جنّي الأعشى غير ذلك، فلا يُعقل أن يتفاوض مع هذه الحســـناء

١ – سليمان، الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع، ص٢٥٩.

٢ – الأعشى، ديوانه، ص١٦–١٧.

جنّي منكر القول، كريه الهيئة عنطنطاً، فيخلو بها، ويتجاذبان أطراف الحديث بلسان عذب ومقال أنيق وعقل فطِن، فلا يخرج من عندها إلا وقد أقنعها بزيارة صاحبه.

ولكنه ليس بنفس العذوبة جني الأعشى الآخَر:

ومارِدٌ من غُواة الجنّ يحرسُها ذو نيقةٍ مستعدٌ دونها تَرَقا[1]

لأن هذا الجني يجب أن يكون فيه بعض الخشونة ليكون مؤهلاً للحراسة، لذلك فقد سلّحه بصفتي "التمرّد" و "الغواية" ولم يعدمه الأناقة بقوله: «ذو نيقة»، ليكون حارسًا مناسبًا.

أما إذا بحثنا الجانب الحقيقي لهذا الإدعاء أو التشكيك به وتكذيبه، وهو وجود شياطين تُلهم الشعراء فيمكن بحثه من عدة جهات:

أولاً: راج هذا الفكر بين العرب في الجاهلية، وتعامل معه البعض ضمن المسلّمات.

ثانيًا: إدعى أكثر من شاعر بعضهم عاش في نفس الفترة الإستلهام من الجنّ وأن لهم توابع وشياطين.

ثالثًا: لم يفند أحدًا منهم الآخر في ادعائه، بل تزايدوا وتعالوا على بعضهم الآخر.

رابعًا: تفوّق الكثير ممن إدعى الإستلهام على أقرانهم، ودخل بعضهم زمرة الفحول.

وتُضعِف من هذه الفرضيات الأمور التالية:

أولاً: عدم إمكانية إثبات الإلهام الشيطاني للشعراء علميًا.

ثانيًا: الشعر قريحة وتعلّم وممارسة بالإضافة الى أنه موهبة.

ثالثًا: لماذا لا يحصل الإستلهام لكل الشعراء، واختص به بعضهم؟

رابعًا: لماذا لم يشاهد أي من الشعراء المتأخرين أو المعاصرين جنًا أو شيطانًا،

ومع طرح هذه النقاط المؤيّدة والرافضة، نبحث عن هذه الحقيقة في آيات القرآن الكريم:

أولاً: قوله تعالى: [(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ)] (الشعراء/٢١٠) [(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)] (التكوير/٢٥). تنفي هاتان الآيتان تهمة أن يكون القرآن من وحي الشياطين، ويمكن أن يَثبُتَ من خلالهما أن الشياطين قد توحي بكلامٍ إلى البشر. ويدعم هذا الإمكان الآية الشريفة؛

---

١ – الأعشى: ص١٢٤.

[(..وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَآئِهِمْ)] (الأنعام/١٢١)،[(.. شَيَاطِينَ الإِنــسِ وَالْجِــنِّ يُــوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرورًا..)] (الأنعام/ ١١٢).

ثانيًا: نفي الشاعرية عن الرسول، مؤدّاه تبرئة الرسول من أي إرتباط بالشياطين.

ثالثًا: أمكانية أن يعلّم الشيطان الإنسان شيئًا أو يدلّه على شيء، بدلالة الآية [(الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)] (سورة محمد/٢٥)[١]. [(وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ)] (البقرة/ ١٠٢)،

رابعًا: للشيطان أولياء يختص بهم دون غيرهم من الناس [(إِنَّمَــا ذَلِكــمُ الشَّــيْطَانُ يُخَــوِّفُ أَوْلِيَاءهُ)] (آل عمران/١٧٥).

خامسًا: أثبت القرآن الكريم أن الشيطان قد يكون قرينًا؛ [(وَمَن يَكنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا)] (النساء/٣٨).

سادسًا: أثبت القرآن تسلط الشيطان على بعض الناس؛ [(اسْــتَحْوَذَ عَلَــيْهِمُ الشَّــيْطَانُ)] (المجادلة/١٩)

سابعًا: يمكن أن يتكلم الشيطان مع الإنسان؛ [(كمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَــالَ لِلإِنســان اكفُــرْ)] (الحشر/١٦)، [(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّك عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْك لاَّ يَبْلَــى)] (طه/١٢٠)

ثامنًا: تعقب ومتابعة الشيطان لبعض البشر وملازمتهم؛ [(فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ)] (الأعراف/١٧٥)

تاسعًا: أثبت القرآن أن الشياطين تتنزل على الآدميين، قال تعالى: [(هَلْ أُنَبِّئُكمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)] (الشعراء/٢٢١-٢٢٢)

عاشرًا: قال تعالى: [(إِنَّهُ يَرَاكمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ)] (الأعراف/٢٧) تثبت هــذه الآية تعذّر رؤية الشيطان والجن من قبل البشر في العادة؟ ولا يستحيل ذلك بدلالة تجسُّد الشــيطان لبعض الأنبياء وتسخير الجن من قبل النبي سليمان عليه السلام وغيرها.

حادي عشر: يمكن أن يكون للشيطان إلقاءات في نفوس بعض البشر من عامة الناس، فعنــدما يتمنى الأنبياء هداية الناس وإرشادهم، يعمل الشيطان على إضلال أتباع الأنبياء وقومهم لكــي لا

---

١ - يقال : أملى له غيِّه : أطال له وأمهلَه .

تتحقق أمنية الأنبياء والرسل في الهداية. وبالطبع لن تؤثر إلقاءات الشياطين إلا في الذين في قلـــوبهم مرض، فتنةً لهم. قال تعالى: [(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّـــيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَـــا يُلْقِـــي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيـــدٍ)] (الحـــج/ ٥٢-٥٣).

ثاني عشر: لم يثبت في القرن الكريم والسنة النبوية أمكان زواج الجنّ والإنس فيمـــا بينـــهما. وهذا ما أورده أبو العلاء المعرّي عن لسان تأبّط شرًّا عندما سأله ابن الفارض عن نكاحه الغـــيلان، فأجابه تأبط شرًّا: «لقد كنّا في الجاهلية نتقوّل ونتخرّص، فما جاءك عنّا مما يُنكره المعقول فانه مـــن الأكاذيب والزمن كلّه على سجيّة واحدة»[1].

وبعد هذا التحليل، نبحث في بعض المسميات الشرعية التي أطلقت لفظ "الشيطان و الجـــن" على بعض الأمور، فنذكرها فيما يلي باختصار:

تُعبّر فنون الطب اليوم عن أسباب الأمراض التي اكتشفتها بعبارات مختلفة وربما وضَعَت لكـــل مكروب اكتشفته اسمًا خاصًا وبقي كثير من الأسباب الموجبة لكثير من الأمراض لم يصل إليها علـــم الطب وباقي العلوم حتى الآن، والشريعة الإسلامية لم تَدَع سببًا يوجِب مرضًا أو ضررًا إلاّ ذكرَتـــه وحذَّرت منه وحرَّمَت أو كرَّهت ارتكابه وقايةً من المرض الذي يتسبب عنه. ولها في ذلك عبـــارات جامعة تكشف عن تلك الأسباب بألفاظ عامة على قدر ما تحتمله أذهان أهل العصر الذي ظهـــرت فيه الشريعة، وقد وردت تلك الألفاظ في القرآن والحديث وجرت على ألسنة الفقهاء. فقد عبّـــر القرآن الكريم عن أسباب الأمراض تارة بالإثم كقوله تعالى في سورة البقرة: [(يَسْأَلُونَك عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ)] (البقرة/ ٢١٩) وأخرى بعمل الشيطان كقوله تبارك وتعالى في هـــذه الآية: [(مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)] (المائدة/ ٩٠) وأمثال ذلك من الآيات الشريفة الـــواردة في القـــرآن الكريم. وكلّ ما نهى الشارع عنه من أمور المعيشة يُحدِث إستعماله مرضًا ويسبب ضررًا.

وما ذُكر في الآيات من الرجس والرجز وعمل الشيطان والفاحشة والمقت وســـوء الســـبيل

---

١ – المعرّي، ابو العلاء: رسالة الغفران، شرح محمد عزت نصر الله، ط٣، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٦٨.

والإثم وغيرها إنما هو لبيان علة التشريع. وقد عبَّرت الأحاديث عن أسباب الأمراض بعبارات القرآن الكريم واختصَّت بالتنصيص على كل مورد كُشِف وجود المكروب المـُضرّ في هذا العصر وعبَّرت عنه تارة بإسم الشيطان وأخرى بإسم الجنّ وزادت موارد كثيرة لم يصل إليها علم الطب إلى اليوم ولم تستطع رؤيتها الآلات المكبرة، مهما بلغت في الدقة. كما عبرت عن موارد النفع برضا الرحمن. فقد جاء في حديث النهي عن تبييت القمامة في الدار؛ إنها مَربَض الشيطان[1]. وفي حديث الأمر باكفاء إناء الشرب؛ إن الشيطان لا يرفع إناءً[2]. وفي حديث الأمر بإزالة الشَّعر عن البدن؛ إنه نجس وإن الشيطان يتخذه مَخبًا[3]. وفي حديث النهي عن تَعلِية سقوف الغرف؛ انّ الجنّ تسكن زواياها[4]. وفي حديث الأمر باتخاذ الدواجن في البيوت؛ إن الجنّ تشتغل بها عن العبث بأهل الدار[5]. وفي حديث السواك؛ إن فيه رضا الرحمن[6]، وأمثال ذلك من الأحاديث كثيرة جدًا...

وصفوة القول إنه ما من مورد كُشف فيه المكروب المُضرّ في العصر الحاضر إلاّ قد عبّرت عنه الأحاديث في الزمن الغابر بإسم الشيطان أو الجنّ وحذّرت عنه وزادت موارد كثيرة لم يطَّلع عليها أهل هذا العصر. ويبعد أن يكون المراد من الشيطان والجن هو هذه المكروبات المـُضرّة، ولعلّ هذه هي قبيل الشيطان المقصودة بقوله عز إسمه في سورة الأعراف في وصف الشيطان: [(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ)] (الأعراف/٢٧) وإن كان ذلك بعيدًا، والظاهر إن هذه المكروبات خَلْق مُلازم للشيطان، فحيث وجِد وجِدَت وفَتَكت وأضرَّت بإغرائه. والشارع كشف السبب والمؤثر والأصل في وجودها؛ وهو الشيطان، والعلم اليوم إنما كشف المسبِّب والأثر والفرع وهو

---

١ – قال الإمام عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِب (ع) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي كَلامٍ كَثِيرٍ «لا تُؤْوُوا مِنْدِيلَ اللَّحْمِ فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَرْبِضُ الشَّيْطَانِ وَلا تُؤْوُوا التُّرَابَ خَلْفَ الْبَابِ فَإِنَّهُ مَأْوَى الشَّيْطَانِ» وسائل‌الشيعة، ج٥، ص٣١٨، باب كراهة مبيت القمامة في البيت.

٢ – عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله أو أبي الحسن (ع) سئل عن إغلاق الأبواب و إكفاء الإناء و إطفاء السراج قال: «أغلق بابك فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقًا و أطفئ سراجك من الفويسقة و هي الفأرة لا تحرق بيتك و أكفئ إناءك فإن الشيطان لا يرفع إناء مكفأ». مكارم الأخلاق، ص١٢٨.

٣ – عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «لا يُطَوِّلَنَّ أَحَدُكُمْ شَعْرَ إِبْطَيْهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَّخِذُهُ مَخْبًا يَسْتَتِرُ بِهِ» وسائل الشيعة، ج٢، ص١٣٦.

٤ – «عَنْ بَعْضِ الصَّادِقِينَ (ع) قَالَ مَا رُفِعَ مِنَ السَّقْفِ فَوْقَ ثَمَانِيَةِ أَذْرُعٍ فَهُوَ مَسْكُونٌ» وسائل الشيعة، ج٥، ص٣١١.

٥ – «شَكَا رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ (ع) وَ قَالَ أَخْرَجَتْنَا الْجِنُّ عَنْ مَنَازِلِنَا فَقَالَ اجْعَلُوا سُقُوفَ بُيُوتِكُمْ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ وَ اجْعَلُوا الْحَمَامَ فِي أَكْنَافِ الدَّارِ قَالَ الرَّجُلُ فَفَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَا رَأَيْنَا شَيْئاً نَكْرَهُهُ بَعْدَ ذَلِكَ» أصول الكافي، ج٦، ص٥٢٩.

٦ – عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): «السواك مرضاة للرب و مطيبة للفم و هو من السنة» تحف العقول ص ١٠١

هذه المكروبات وهذا فرق دائم جاري في جميع الموارد بين الشرع والعلوم المادية، فإن الشرع ينظر دائمًا إلى الأسباب والمؤثرات. والعلوم المادية إنما تنظر إلى الآثار والمسبّبات. فتَرى العلوم المادية مثلاً تبحث عن الجاذبية العامة في علم الفلك وتجعلها الرابطة بين الأجرام السماوية، والشريعة تذكر مُحدِث الجاذبية وهي القوة المختارة الموجودة في تلك الأجرام فتقول: إن الملائكة تحدق بالشمس بين جاذبٍ ودافعٍ وإن تلك الأجرام عوالم كعوالم الأرض مربوطة بعضها ببعض في عمود من نور[1]، وترى العلوم المادية تبحث عن البرق والرعد والمطر فتُعبر عن الأول بتكهرب قطع البخار المتراكم، وعن الثاني بصوت اصطدامها، وعن الثالث باستحالتها ماءً، ولكنّ الشريعة تذكر السبب في تلك الإنفعالات من التكهرب والإصطدام وهي القوة المختارة المـُعدَّة لذلك، وتعبِّر عنها بإسم الملَك كما ورد في الأحاديث؛ إن البرق لمعان مخاريق الملائكة والرعد أصواتهم يزجرون السحاب[2]، وما من قطرة من المطر إلاّ وقد وَكّل الله بها ملكًا يضعها حيث يشاء[3]. فبعض الماديين إذا قالوا بعدم الإختيار لتلك القوى والآثار فلأنهم نظروا إليها نظرهم إلى المادة التي هي مبدؤها –على زعمهم– لأنها فاقدة الشعور والإختيار، والمحققون من العلماء إذا قالوا بأن تلك القوى شاعرة مدركة مختارة فلأنهم علموا أن مبدأها؛ القادر المختار المدرك العليم الخبير أعطى تلك القوى إدراكًا وشعورًا بفضله ولم يختص بذلك الإنسان الضعيف ويحرم قوة الجاذبية أو البرق الرعد أو المطر أو غيرها، أو القوة المـُحدِثة للمكروبات الضارة كالوباء والطاعون وأمثالها من الشعور والإدراك والإختيار. وسمّى المحققون من العلماء القوى النافعة ملائكة ورحمة، والقوة الضارة شيطانًا وعذابًا وتبعوا في ذلك الأسماء الواردة في الشريعة[4].

«وقال علي عليه السلام: (لا تؤوا التراب خلف الباب فإنه مأوى الشيطان) وفي العلل (لا

---

١ – عن الإمام أَبِي جَعْفَر (ع) سُئل عَنْ رُكُودِ الشَّمْسِ فَقَالَ: «... إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ جَذَبَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ بِكُلِّ شُعَاعٍ مِنْهَا خَمْسَةُ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَيْنِ جَاذِبٍ وَ دَافِع..». الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٢٥.

٢ – وسئل أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) عَنِ الرَّعْدِ أَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ: قَالَ: «... تِلْكَ مَخَارِيقُ الْمَلَائِكَةِ تَضْرِبُ السَّحَابَ فَيَسُوقُهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِ الْمَطَرَ» من لايحضره الفقيه، ج١، ص٥٢٦

ومخاريق: جمع مخراق و هو في الأصل ثوب يلف و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب و تسوقه.

٣ – وَ رَوَى سَعْدَانُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ قَطْرَةٍ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلا وَ مَعَهَا مَلَكٌ يَضَعُهَا الْمَوْضِعَ الَّذِي قُدِّرَتْ لَهُ» من لايحضره الفقيه ج١، ص٥٢٥.

٤ – الخالصي، محمد، إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، بغداد ١٩٥٧م، ط١، ج٢، ص١٤–١٧ (بتلخيص).

تؤوا منديل اللحم في البيت فإنه مربض الشيطان ولا تؤوا التراب خلف الباب فإنه مأوى الشيطان إلى أن قال – وإذا دخل أحدكم بيته فليُسلِّم فإنه ينـــزل البركة وتؤنسه الملائكة – إلى أن قال –: فإن لله دوابًا يبثها يفعلون ما يؤمرون.) وفي هذا الحديث من الحكم ما هو واضـــح، وقـــد صـــرح بوجود المكروبات الضارة بقوله (فإن لله دوابًا) فضلا عما كنى عنه بإسم الشيطان في صـــدر هـــذا الحديث وفي الأحاديث الأخرى. وقد خص في الأخبار تنظيف البيوت من نسج العنكبوت[1].»[2].

١ – قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «بَيْتُ الشَّيَاطِينِ مِنْ بُيُوتِكُمْ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ». اصول الكافي ج٦، ص٥٣٢.
٢ – الخالصي، إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، بغداد ١٩٥٧م، ط١، ج٣، ص٣٧٢-٣٧٣.

المحصّلة النهائية

لا شك من أن كثير من قصص الجنّ والشياطين والعفاريت والغيلان تدور في رحى الوهم بالإضافة إلى عوامل قد تكون ساهمت في ذلك منها طبيعة البدوي؛ فهو شديد التأثر، سريع الإنفعال، قريب المحبة، قريب البغض، حليم طويل الأناة، ونزق سريع الغضب، شجاع متهوّر، ومتردد خائف. فاذا كان المسافر وحيدًا، أو مع بعض الرفاق فاستبدّ به التعب وملّ الجميع الكلام وسكتوا، عندها يسبح الخيال ويستعيد الذكريات، ويرسم في ذهنه صورًا مشوّهة طالما سمع بها وآمن، ثم يسمع أصوات بأصداء غامضة فيُخيّل اليه أن الجنّ تلحق به لتنتقم منه لأنه غزى أرضها[1].

فالجنّ كابوس القفر المخيف، لها عالمها، وبغض النظر عن صحة تواجدها على الأرض من عدمه، فالحقيقة إن طبيعة بعض الأراضي القفر، تتردد فيها الأصداء وتصفر فيها الريح، وقد جرت العادة على اعتدادها موطنًا للجنّ يرتبط اسمها بعزيفهم ويُعتقد أنهم سبقوا اليه وسكنوه منذ عهود سحيقة، وفي تلك القفار تتنادى الجنّ في الليالي ويُسمع لها عزيف رهيب يتردد على الرمال ويغوص في كل جوفٍ سحيق من الأرض.

ويبدو أن غالبية الحيوانات الأسطورية في أخبار العرب قبل الإسلام كانت من صنع المتأثرين بالثقافة اليونانية، وقد تكون في الأساس حيوانات حقيقية تمت المبالغة في وصفها حتى تحولت إلى أسطورة، وقد انتقلت مسميات تلك الحيوانات الأسطورية إلى أهل البادية وقد حدث تحوير في وصفها مع المحافظة على بقاء أسمائها. حيث ساعدت البيئة وظروف السفر في بيئات موحشة في انتشار وتعدد قصص تتعلق بتلك الحيوانات.

وينقل الجاحظ في حيوانه: «وكان أبو إسحاق يقول في الذي تذكر الأعراب من عزيف الجنان، وتغول الغيلان: أصل هذا الأمر وابتداؤه، أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش، عملت فيهم الوحشة، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء، والبعد من الإنس استوحش، ولاسيما مع قلة الأشغال والمذاكرين. والوحدة لا تُقطع أيامهم إلا بالمُنى أو بالتفكير، والفكر ربما كان من أسباب

---

١ – ضناوي، د. سعدي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، بيروت، ١٩٩٣، دار الفكر اللبناني، ط١، ص ١٩١.

الوسوسة، وقد ابتلي بذلك غير حاسب، كأبي يس ومثنى ولد القنافر. وخبرني الأعمش أنه فكر في مسألة، فأنكر أهله عقله، حتى حموه وداووه. وقد عرض ذلك لكثير من الهند. وإذا استوحش الإنسان تمثل له الشيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب، وتفرق ذهنه، وانتقضت أخلاطه، فرأى ما لا يُرى، وسمع ما لا يُسمع، وتوهَّم على الشيء اليسير الحقير، أنه عظيم جليل. ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرًا تناشدوه، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيمانًا، ونشأ عليه الناشئ، وربيَ به الطفل، فصار أحدهم حين يتوسط الفيافي، وتشتمل عليه الغيظان في الليالي الحنادس، فعند أول وحشة وفزعة، وعند صياح بوم ومجاوبة صدى، وقد رأى كل باطل، وتوهَّم كل زور، وربما كان في أصل الخلق والطبيعة كذّابًا نفاجًا، وصاحب تشنيع وتهويل، فيقول في ذلك من الشعر بحسب هذه الصفة، فعند ذلك يقول: رأيتُ الغيلان وكلمتُ السعلاة ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: قتلتُها، ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: رافقتُها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: تزوجتُها. قال عبيد بن أيوب:

فللهِ درُّ الغول أي رفيقةٍ ... لِصاحبِ قَفرٍ خائفٍ مُتقَتِّرِ

وقال:

أهذا خليلُ الغول والذئبُ والذي ... يهيمُ بربّات الجمالِ الهُراكِلِ[1]

وقال آخر:

أخو قفَراتٍ حالفَ الجنّ وانتفى ... مِنَ الإنسِ حتى قد تقضَّت وسائِلَه

له نسَب الإنسيّ يعرف نَجله ... وللجنّ منه خُلقه وشمائِلَه

ومما زادهم في هذا الباب، وأغراهم به، ومدَّ لهم فيه، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًا مثلهم، وإلا عاميًا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التكذيب والتصديق، أو الشك، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الأجناس قط، وإما أن يلقوا راويةَ شعر، أو صاحب خبر، فالراوية كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أطرف عنده، وصارت روايته أغلب، ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدَّعي رؤية الغول، أو قتلها، أو مرافقتها، أو تزويجها؛ وآخر يزعم أنه رافق في مفازة نمرًا، فكان يطاعمه ويؤاكله»[2].

١ – الهراكل: العظيمة.

٢ – الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٧٨.

ويرى جواد علي «أنها باب من أبواب التسلية التي كان يتسلّى بها الجاهليون»[1]، وهو غير ما يراه الباحث، وإنما للوهم والظلام والوحدة أفاعيلها في النفس. وإن كنا ملزمين بالإعتراف بأنه ليس كلّ ما قالته العرب وباقي الأمم في المغيّبات يرقى إلى الحقيقة.

وفي براري الصحراء وقفارها أنواع الحيوانات الوحشية والمفترسة. ويمتاز حيوان الصحراء، بصورة عامة، «بأنه سريع العدْو، يعدو من مرعى إلى آخر حتى لا يهلك جوعًا، ويعدو من مورد ماء إلى آخر حتى لا يهلك عطشًا، مثل الغزلان والوعول؛ واما صبور على الجوع والعطش، لكنه إذا طعِم أكل حتى شبع وشرب حتى روي ويختزن طعامه، مثل الجمل الذي يختزن شحمه في سنامه. أما الماعز فهو حيوان يرضى بالقليل، وله قدرة غريبة على التهام كل ما يمكن أن يُؤكل»[2]. وكل ذلك يدلّ على إن الإنسان الجاهلي كثيرًا ما اشتبه بحيوان أو وحش مفترس في ليلة ظلماء فظنّه جنّي ونسناس ولاحس القدم والغول، وكلنا يعرف أن عيون الحيوانات الوحشية وغيرها من الحيوانات التي تطعم وتصطاد في الليل تعكس ضوء القمر و النار وكأنهما تقدحان شررًا، فيضنّها الرائي جنًّا.

وما أكثر مثل هذه الحيوانات في الفيافي والبراري والقفار والمفاوز التي كانت تحيط بحياه العربي، الذي قلّما سكن المدن. «ولم يكن البدوي يسافر دائمًا على طريق واضح ظاهر محدود المعالِم، معروفة أوائله وأواخره. إنما ذاك يسنح له في المدى القريب، والأسفار الحقّة ترمي بالإنسان دون اختيار في دروبٍ بَعُد عهدها بالإنس، أو فوق أراضٍ لا تصلح لمسير ولا لمبيت، ويكون عليه أن يجتاز أحيانًا مسافات شاسعة من التراب أو الصخور، ينجد في الجبال ويهبط إلى الأودية، يهتدي بنجوم السماء وبمعالم من رمال تحرّكها الرياح، فتوقعه في التيه. هناك لا يمكن الكلام على طريق واضح عبّدته الأرجل والأخفاف، وهناك يطول السفر ويمتدّ، وتتضاعف الأخطار وتشتدّ، ويتربّص الهلاك في كل خطوة وخلف كل أكمة فيسيطر الخوف وتُحمد الشجاعة ويَفخر مَن استطاع النجاة بما وُهب من قوى خارقة ساعدته على عبور القفر والخروج ظافرًا من لعبة الموت.

ولئن كان وصف هذه المغامرات يأتي من باب الفخر بالنفس، بقوة الجسد وقوه القلب، فان الحقيقة التي لا مراء فيها، هي أن الشاعر يمرّ بتجربة قاسية، إذا اعتاد عليها بالممارسة فانه لا يملك دفع أخطارها ولا التقصير فيما يحتاجه المغامر كل مرة من جرأة وفطنة... صحيح أن كثرة الأسفار تورث خبرة وتزيد التجربة وضوحًا وتضيف إلى معرفة الإنسان بالطرق وبوسائل الدفاع، معاني

---

١ – علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٦م، ج٩، ص٣٩٠.

٢ – ضناوي، ص٧٩.

كثيرة، إلا أن هذا يخفف أذى المخاطر ولا ينفيها، لذا فنحن نرى البدوي، كما نرى الناقة وحمار الوحش والثور، وكل ذي حياة كتب عليه أن يجتاز المفاوز، يفعل ذلك وكُلُّه أذن صاغية وقلب يخفق وعين تُلاحظ، وباختصار كلّه توجّس وترقّب.

وليس من العسير علينا أن نتصوّر البدوي وحيدًا أحيانًا... مع أفكاره وخيالاته، والنفس أكبر عدو للإنسان، والخوف شيء داخلي نفساني أكثر مما هو خارجي. وتتوارد على ذاكرته الأساطير وما سمع من خرافات، آمَن بها أو لم يؤمن بها، تتمثل أمامه بكل تفاصيلها ويضفي عليها خياله وتوجّسه ورتابة سيره كل امارات الحقيقة والواقع. وما أسرع الشرود إلى ذهن البدوي، وما أكثر ما يمتزج الخيال بالواقع في فكره... وكما أصبح السفر مثلاً لعلوّ الهمّة أصبح اجتياز المفاوز مثلاً أعلى للجرأة ومظهرًا للرجولة والشجاعة»[1].

ومن الطبيعي أن نلمس في الشعر الجاهلي معالِم الإختلاف البيّن باختلاف طبيعة الجزيرة العربية، كما يمكن لمسها في الحياة وألوانها. فليست الجزيرة العربية كلّها صحارى مقفرة يخبُ عليها السراب وتعمرها الوحوش، كما أن الصحراء ليست كلها رمالاً صفراء تنهال وتذروها الرياح. «إن الصحاري تحتل وسط الجزيرة العربية وتمتد إلى شماليها محيطة بمنطقة نجد الخصبة الطيبة الهواء. إلا أن الجزيرة تشمل ساحلاً ضيقًا في الغرب عند تهامة حيث يقترب الجبل من البحر وينحدر اليه سريعًا، وساحلاً شرقيًا أكثر اتساعًا يهبط تدريجيًا، من المرتفعات التي تحدّ الصحراء، نحو الأحساء. وهي تشمل كذلك مناطق ذات أودية عميقة كحضرموت التي يخترقها وادي القصر من الغرب إلى الشرق فيمدها بالماء طيلة السنة وتقوم عليه أكثر مدنها وقراها. وفيها عُمان الكثيرة المرافئ تزهو بموقعها الفريد كبابٍ للتجارة بين الهند من جهة وجزيرة العرب وبلاد الشام من جهة أخرى، كما أن فيها جبالاً متعددة عالية، وإن لم ترتفع إلى مستوى الجبال في الأقطار المجاورة؛ وهي منتشرة منفردة حينًا، أو مكوِّنة سلسلة متواصلة حينًا آخر. فجبال السراة تخترقها من الجنوب إلى الشمال مائلة من الغرب إلى الشرق، تحجز نجدًا المرتفع عن تهامة المنخفضة حيث تكثر الجزائر والصخور والضحاضح. وتسيل من جبال الحجاز هذه مجاري مياه شرقًا وغربًا، مشكّلة أودية تجري غب المطر ثم لا تلبث أن تجف أو تغور فيها المياه لتنبجس في بئر أو في واحة... وتتصل هذه الجبال جنوبًا بجبال اليمن «البلاد السعيدة» وهي من أخصب بقاع العالم وأكثرها اعتدال مناخٍ وطِيب هواء[2]، كما أنها

---

١ – ضناوي، ص ١٦٩-١٧٠.

٢ – كانوا أهل تمدن ودولة لا تقلّ عن دول معاصريهم في أشور وفينيقة ومصر وفارس. فابتنوا المدن وشادوا القصور والهياكل،

موطن لحضارات عريقة اندثرت[1]... وسكان هذه المناطق يعيشون حياة مستقرة، بعكس حياة سكان الصحراء. وقد عمّروا مدنًا لهم وقرى ومزارع وأنشأوا عمرانًا زراعيًا وحِرفيًا وتجاريًا وحضـــاريًا. وكانوا على صِلات بشعوب أخرى غير عربية، صلات اقتصادية تجارية أو صِلات سياسية. وكذلك كانوا على صلات بأهل البادية فمنهم أبناء عم لهم وأبناء أخوال، ومنهم أحلاف لهم ومســـاعدون، ومنهم عملاء لهم يكلون إلى بعضهم حماية القوافل التجارية التي يتولّون أمرها. ومهما يكـــن فقـــد هاجر كثير من عرب الجنوب إلى الشمال واختلطوا بقبائله واستوطنوا مواطن بينها في نجد والحجاز والبلقاء وغيرها[2]. ولقد قضت الأحوال المتنوعة والأسباب الإقتصادية أن تنزح بعض قبائل الجنوب إلى ربوع الشمال للإقامة فيها[3]. وأهل البادية أنفسهم لم يقطنوا الصحارى القاحلة الجرداء بصـــورة دائمة. وأنّى لهم العيش المستمر تحت رحمة ظروفها القاسية؟ إنما تضطرهم عوامل المناخ إلى الإنتقال وتندفع بهم ظروف الحياة والمعاش مدافع غير متوقعة، يجوبون بلاد العرب من أقصاها إلى أقصـــاها ويقتربون من الحواظر صلات، وقد تكون بينهم مناوشات واعتداءات، وقد يرتاح جزء من القبيلـــة إلى حياة الدعة فيستقرون نهائيًا ويطلّقون الإرتحال إلى غير عودة»[4].

وقد أطلق العرب على الصحاري أسماءً منها:

الدوّيّة: هي الفلاة المقفرة تتردد فيها الأصداء وتدويّ الأصوات، تضيع فيها المعـــالِم وتختفـــي السبل، فلا هداية بصخر أو جبل أو نبات، ليس إلا الصحراء وإلا نعيب البوم، لـــيس إلا الظـــلام يُرخي عليها ثنايا أرديته فيلفُها ويلفّ راكبها. وفي وصفها يقول امرؤ القيس:

وذَوّيّـــــةٍ لا يُهتَـــــدى لفَلاتِهـــــا ... بعِرفانِ أعلامٍ ولا ضـــوءِ كوكـــبِ
تلافَيْتُها والبومُ يدعو بها الصَـــدَى ... وقد أُلبِسَتْ أقراطُها ثِنْيَ غَيْهَـــبِ[5]

والدوّية يطول عهدها بالناس وبالماء فتقتم ويغبرّ لونها، يسرع المسافر في اجتيازها، ولابـــدّ أن يدركه الليل لطولها فيُطبق الظلام ويصبح السير محالاً وانتحارًا، والنار فرضًا، والليل يمضي طـــويلاً

وتبسّطوا في العيش مثلهم، ولكن تمدنهم لم يكن تمدنًا حربيًا كتمدن الأشوريين والفرس والمصريين، بل كان تجاريًا كتمدن الفينيقـــين. العرب قبل الإسلام ص١٥٦.

١ – ضناوي، ص١٤.

٢ – عزام، عبدالوهاب، مهد العرب، مصر (د.ت)، دار المعارف، ص١٢٦

٣ – وجبور، حتّي، تاريخ العرب – مطول، دار الكشاف (د.ت)، ج١، ص٣٩

٤ – ضناوي، ص١٥.

٥ – السندوبي، حسن، ديوان المراقسة، مصر (د.ت)، ص ٥٠.

تلافيتُها: قطعتُها. غَيهب: الظلام

ومتثاقلاً، ويدوّي في صمتها صوت البوم. وهذا المشهد يصوّره لنا المرقش الأكبر:

ودَوّيةٍ غبراء قــد طــال عهــدها	تَهالَكُ فيها الوِردُ والمــرء نــاعس
قطعـــتُ إلى معروفِهــا مُنكَراتِهــا	بِصيهامهِ تنســلُّ والليــلُ دامِــسُ
ترَكتُ بها لــيلاً طــويلاً ومــترلاً	وموقــدَ نــارٍ لم ترُمْــهُ القــوابسُ
وتسمعُ تزفاءً مــن البــومِ حولَنــا	كما ضَرَبَتْ، بعد الهدوءِ النواقِسِ[1]

التنوفة: يجتازها البدوي إكرامًا لعيون محبوبته، فيُدلُّ عليها ويذكّرها بالهول الذي جشمه وبما يستحقه بذلك من التفاقا اليه واهتمامها به. وهو دائمًا يستعين بناقته لقطع هذه المفاوز الواسعة التي جفّ فيها الماء وأقفرت من كل أنيس. ويقول امرؤ القيس:

وتَنوفَـــةٍ جـــدباءَ مُهلِكَـــةٍ	جاوَزتُهـــا بنجائِـــبٍ فُتْـــلِ[2]

والخوف يعتري الإنسان في الأماكن المقفرة، وهو إحساس طبيعي، لذا كان الفخر بالجرأة على هذه المواضع كثيرًا في أشعار الجاهليين، وذلك دليل على شعور بالخوف أحسّ به كلٌّ مــن اجتــاز القفار، حتى أكثرُ الناس فخرًا بجرأته وشجاعته. بالإضافة إلى ما يرافقها من وحشة ومن رياح حارة وعواصف رملية تمحو المعالم وترمي في التيه، ثم ما يعيش في بعض المناطق من حيوانٍ، وإنسانٍ خــرج على القانون واتخذ اللصوصية وسيلة له.

وفي الختام نستجمع ما قلناه في الرسالة في نقاط:

١- خلق الله تعالى الإنسان وجعله خليفته في أرضه، وقبل أن يخلقه، خلق قبله كائنات أخرى اختلفت في طبيعتها وواجباتها، قسم منها مختارة كالجنّ، وبعضها مجبولة على عمل معيّن كالملائكــة يفعلون ما يؤمرون. وخلق الله تعالى أيضًا ما لا نعلم: [(وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)].

٢- إختلفت الكائنات في جنسها عن الإنسان، فخُلِق من طين وخُلِقت مــن نــار وغيرهــا. والإنسان غير قادر على رؤيتها في الحالات الطبيعية.

---

١ – قناوي، عبدالعظيم، الوصف في الشعر العربي، (لا مكا) (د.ت)، ط١، ص٢٦٧.

تهالكَ في مشيه: تمايل – الوِرد: مكان الورود وكنّي به عن الإبل – العيهامة: الناقة القوية– تنسلّ: تسير بهدوء – دامــس: مظلــم شديد الظلمة – تركتُ بها: قطعتُ بها – القوابس: طالبو النار – التزقاء: الصياح.

٢ – السندوبي، ص ١٦٨.

الفتلاء: الناقة المفتولة العضلات القوية.

٣- إمتاز الإنسان بعقله وتكليفه، وامتازت الملائكة باختلاف أحجامها وواجباتها، وطاعتـها المطلقة. وامتازت الجنّ بقوتها وسرعة تنقلها، وقدرتها على عمل ما يعجز الإنسان عن أدائه. وامتاز الشيطان بمكره ووسوسته وتغريره وحبائله وكثرة جنوده.

٤- آمن البشر منذ القِدَم بوجود كائنات أخرى وشاهد آثارها، وآثار القوى الـتي تـؤثّر في الطبيعة. ولكن اختلف إدراك البشر لهذه القوى واختلفت ردود أفعاله تجاهها.

٥- تعرّف البشر لقوى الطبيعة، فعبد بهدي الأنبياء خالقها القوي، وظلَّ البعض فعبدوا بعض مخلوقات الله لّما ابتعدوا عن الرسالات الإلهية، وتزلّفوا إلى الشيطان. فوجدوا في الأساطير مندوحـة لإرضاء خيالهم ووهمهم.

٦- وضعت الأساطير التي وصلتنا عن المتقدمين بشأن هذه الكائنات الغيبية (الميتافيزيقية) مادة دسمة تحت تصرفنا لنتمكن من خلالها دراسة الضمير الإنساني الواعي واللاواعي.

٧- اختلفت الأساطير باختلاف منشئها ومقدار قربها وبعدها عـن الحضـارات المختلفـة، والمشاهد أن في جميع الأساطير مشتركات تُوحّدها. وأكثر هذه الصور اشتراكًا صورة الجنّ والمـارد وغيرها، وهي صور مخيفة مرعبة مزجت – على ما وصلنا من رسوم ونصوص- بين الإنسان وأكثر من حيوان في بدن واحد. كما امتزجت أحيانًا بالطوطمية، وهي تقديس لـبعض الحيوانـات الـتي يعتبرونها مسوخ من الأجداد وينتمون اليها. واعتقدت بعض القبائل بوجـود علاقـة بـين الجـنّ والحيوان، وأنه من الأسهل على الجنّ أن يتشكل بأشكال بعض الحيوانات كالحية والظـبي والثـور والنسر والنعجة و..

٨- لم يكن الإنسان العربي الجاهلي بمعزل كامل عـن الإعتقـادات الـتي كانـت في بقيـة الحضارات، لذلك استمدت معظم الأشعار مادتها من الروابط الإجتماعية للجزيرة العربية، وأثراها ذهن وقاد وطبع أدبي مبدِع ومتعمّق ولم يكن ضحلاً. من خلال توظيف الأحاسيس والمشاعر الذاتية ومزجها بالإبداع الشعري العربي.

٩- عندما ابتعد الإنسان العربي عن مصدر السماء، عبدَ الجنّ والملائكة والشياطين، إما رغبـة أو رهبة. وحاول استرضاءهم بطقوس مختلفة أو إرضاءً لَمن ادعوا التوسط بـين الإنسـان وهـذه الكائنات.

١٠- إدعى بعض البشر التواصل مع الجنّ وقتالهم أو الاستلهام منهم أو تبادل المصـالح بـل وحتى التزاوج معهم. واشتهر أن السحر والكهانة تستمدان قدرتهما من الكائنات الماورائية. وممـن

ادعى الإستلهام من الجنّ أو الشياطين؛ الشعراء فانشدوا في ذلك الأشعار وتفاخروا به.

١١- جاء القرآن بالحقيقة والهدى المستبين، وأتانا بالنبأ اليقين حول الملائكة والشياطين والجن، طبيعتهم وواجباتهم وخلقهم ومآلهم.

١٢- امتازت الآيات القرآنية العظيمة بالحكمة وخلوّها من أي تهويل للمغيّبات، وأن مردَّ الأمور كلها إلى الله تعالى [(وَكَذَلِك أَوْحَيْنَا إِلَيْك رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كنتَ تَدْرِي مَا الْكتَابُ وَلا الايمَانُ وَلَكن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّك لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ أَلا إلى اللَّهِ تَصِيرُ الامُورُ)] (الشورى/٥٢-٥٣).

١٣- أثبتَت الآيات القرآنية وسوسة الشيطان للإنسان وإضلاله وإخافته، وسلطانه على من يتبعه، ونفت أن يكون له سلطان على الذين آمنوا وعباد الله المخلَصين، وعرَّفنا كتاب الله طرق الإحتراس من الشيطان وحبائله وكيده ومكره.

١٤- أثبت القرآن الكريم أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم زخرف القول غرورًا. وأثبت أن الشعراء يتَّبعهم الغاوون. ونفى ذلك عن الذين آمنوا.

١٥- أثبت القرآن الكريم القدرة الفائقة للجنّ وأمكان التواصل معهم وتسخيرهم من قبل الإنسان إن سخّرهم الله لذلك.

لذلك كلّه لا ينفي الباحث تأثر بعض البشر بالشياطين والجنّ والإستقواء بهم والإستيحاء منهم وتعلّم زخرف القول، ولكن لا يمكن إثبات صحة كل ما ادُّعيَ في ذلك ولا قول كل من ادّعى ذلك - وإن كان شاعرًا فطحلاً- إنه استلهم شعره من الشياطين، بل لا يمكن أن ننفي دور البيئة والتعلم والقريحة والتمرين في تنمية الكثير من الملكات بما فيها الشعر.

أما السؤال الذي يطرح نفسه ولم نطرحه في أسئلة البحث، فهو: لماذا أقدَرَ الله إبليس والشياطين وكفرة الجنّ على بني آدم ولماذا أمهل إبليس يغوي عباده ويُظلّهم؟! فأجيب بأنها الفتنة والإمتحان، وأُكمل إجابتي بقوله تعالى [(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)] (الأنبياء/ ٢٣).

صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله الأمين وأنا على ذلك من الشاهدين والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث ومآخذه:

القرآن الكريم

١- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (المقدمة)، ط١، دار يعرب، ٢٠٠٤، ج١.

٢- ابن رشيق، العمدة في محاسن العشر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الرشاد الحديثة، ١٩٣٤م، ج١.

٣- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٦.

٣- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ج١.

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢.

٥- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١.

٦- ابن هشام، ابو محمد عبدالملك، السيرة النبوية، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٧- ____ السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٥، ج٣.

٨- الأصفهاني، ابو الفرج، الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ط٦، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ج١٠.

٩- ____ الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٨م، ج٣.

١٠- ____ الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٨م، ج٢١.

١١- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمود شاكر و عبدالسلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨م.

١٢- الأعسم، عبدالأمير، المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥م،.

١٣- الأعشى، ميمون بن قيس، ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٤- الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٢.

١٥- إمرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٦- آموزكار، زاله، ديوها در آغاز ديو نبودند، زبان، فرهنك، اسطوره، معين، طهران، ١٣٨٦ش (٢٠٠٧م).

١٧- أمية بن أبي الصلت، ديوانه، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

١٨- أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

١٩- بريتشارد، جامس ب. (James B. Pritchard)، أساطير بابلية (The Ancient Near East)، ترجمة سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٧٢م.

٢٠-البغدادي، عبد اللطيف، شرح قصيدة «بانت سعاد»، الكويت، دار الفلاح، (د.ت)،

٢١-البنعلي، يوسف، عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، ط١، ١٩٩٧م.

٢٢-البيطار، حسام هاشم، إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، وجه غير مسبوق في إعجاز الكلمة المفردة، ط١، الأردن – عمان ٢٠٠٥م،

٢٣-تأبّط شرًا، ديوانه، إعداد طلال حرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٤-الثعالبي، ابو منصور محمد بن اسماعيل النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٥-الجاحظ، عمر بن بحر، البخلاء، دار وكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٦-____ البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٤، دار الفكر، (د.ت)، ج١.

٢٧-____ الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ج٦.

٢٨-الجوزو، مصطفى، من الأساطير العربية والخرافات، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٩-حرب، طلال، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

٣٠-حسان بن ثابت، شرح ديوانه، عبد الرحمن البرقوقي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣١-الحسيني البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، موسسة البعثة، قم (لا تا)، ج١.

٣٢-الحطيئة العبسي، ديوان الحطيئة، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م.

٣٣-الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة، ١٩٥٧م، ج٤.

٣٤-حميدة، عبدالرزاق، شياطين الشعراء، دراسة تاريخية مقارنة تستعين بعلم النفس، المكتبة

الانجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
٣٥-الخالصي، محمد، إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، ط٢،بغداد، ١٩٦٥م، ج١.
٣٦-____ علوم القرآن، مجلة مدينة العلم، بغداد، السنة الأولى، الجزء الأول، العدد رجب ١٣٧٣هـ - آذار ١٩٥٤م.
٣٧-____ في سبيل الله سيرة ذاتية ومذكرات جهادية، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٦م.
٣٨-____ معراج حضرت خير الأنام؛ آئينه اسلام، مطبعه كلبهار، اصفهان، ١٣٥٠هـ. ق.
٣٩-الخطيب، عماد علي، الصورة الفنية اسطوريًا، دراسة في نقد وتحليل الشعر الجاهلي، دار جهينة، الاردن، ٢٠٠٦م،.
٤٠-الخطيب، ولي الدين، مشكوة المصابيح، باكستان، (د.ت).
٤١-خليل، احمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ط٢، درا الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٢-داود، جرجس، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والإجتماعي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
٤٣-الدّميري، كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، مكتبة البيان، بيروت، (د.ت) ج١.
٤٤-الديوه جي، سعيد، اليزيدية، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل ١٩٧٣م.
٤٥-الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م، ج٣.
٤٦-زكي، د. احمد كمال، الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، ١٩٦٩م، ط٢.
٤٧-زهير بن جناب الكلبي، ديوانه، ط١، محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.
٤٨-زيتوني، عبد الغني، الوثنية في الأدب الجاهلي، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٧م.
٤٩-زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ط٢، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٨م، بيروت، ج١.
٥٠-سليمان، علي، الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع قراءة في اتجاهات الشعر المعارض، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م،

٥١-السندوبي، حسن، ديوان المراقسة، مصر (د.ت)،
٥٢-السوّاح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٢،
٥٣-شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
٥٤-الشورى، د. مصطفى عبدالشافي، الشعر الجاهلي تفسير اسطوري، الشركة المصرية العالمية، مصر، ١٩٩٦م، ط١،
٥٥-صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتيية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢.
٥٦-الضبي، المفضل محمد بن يعلّى، المفضليات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.
٥٧-ضناوي، د. سعدي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٣م.
٥٨-الطباطبائي، السيد محمدحسين، المخلوقات الخفيّة في القرآن، الملائكة، الجن، إبليس، بيروت، ١٩٩٥م، دار الصفوة، ط١.
٥٩-الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تفسير آي القرآن (تفسير الطبري)، حققه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج١.
٦٠-عامر بن الطفيل، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
٦١-عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٢، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٣م.
٦٢-عبد الحكيم، شوقي، مدخل لدراسة الفلوكلور والأساطير العربية، ط١، دار ابن خلدون، (د.م/ د.ت).
٦٣-____ مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م.
٦٤-عبد الله، محمد صادق حسن، خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.
٦٥-عبدالرحمن، د. ابراهيم، الشعر الجاهلي، (قضاياه الفنية والموضوعية)، دارالنهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٦٦-عبود، زهير كاظم، طاؤوس ملك، رئيس الملائكة عند الأيزيدية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ٢٠٠٨م.
٦٧-عبيد بن الأبرص، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
٦٨-عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢،
٦٩-عزام، عبدالوهاب، مهد العرب، دار المعارف، مصر (د.ت)، .
٧٠-عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ط١، دار الكلمة للنشر، دمشق، ١٩٩٩م.
٧١-العقّاد، محمود عباس، إبليس، القاهرة، ١٩٥٥م.
٧٢-علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٩٣م، ج١.
٧٣-____ المفصّل في تاريخ العرب، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٦م، ج٩.
٧٤-عنترة بن شداد، ديوانه، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١م.
٧٥-عياش، عبدالقادر، الحيّة في حياتنا وتراثنا، دير الزور، سوريا، ١٩٦٨م.
٧٦-فردوسي، ابوالقاسم، شاهنامه، نسخة جول مول، شركة سهامي كتابهاي جيبي، طهران، ١٣٧٦ش (١٩٩٧م)، ج١.
٧٧-فضل الله، السيد محمدحسين، تفسير من وحي القرآن (النسخة الألكترونية).
٧٨-القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تعليق علي فاعور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٦م.
٧٩-القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الفكر، (د.ت)، ج١٥،
٨٠-____ الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ج١٩.
٨١-القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.
٨٢-القمني، سيد، الأسطورة والتزاث، ط٣، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ١٩٩٩م.
٨٣-قناوي، عبدالعظيم، الوصف في الشعر العربي، (لا مكا) (د.ت)، ط١،
٨٤-كعب بن زهير، ديوانه، تحقيق وشرح علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٥-لبيد بن ربيعة، ديوانه، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
٨٦-الماجدي، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م.
٨٧-____ المعتقدات الآرامية، ط١، دارالشروق، عمان ٢٠٠٠م.
٨٨-____ بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، منشورات الأهلية، عمان، ١٩٩٨م.
٨٩-____ متون سومر، ط١، دار الكتاب الأول، منشورات الأهلية، عمان ١٩٩٨م.
٩٠-المتلمس الضبعي، ديوان، شرح وتحقيق محمد الونجي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
٩١-المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، ج١٤.
٩٢-المصري، حسين مجيب، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، ط١، المكتبة الثقافية لنشر، القاهرة، (د.ت).
٩٣-المعرّي، ابو العلاء، رسالة الغفران، شرح محمد عزت نصر الله، ط٣، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٦٨م.
٩٤-معلوف، شفيق، عبقر، ط٣، منشورات العصبة الأندلسية، دار الطباعة والنشر العربية، ١٩٤٩م.
٩٥-مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم ١٤٢٦هـ.ق، ج١٦.
٩٦-نابغة بني شيبان، ديوانه، شرح عبدالله بن مخارق بن سليم، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
٩٧-النصراوي، حسين، الملائكة في التراث الإسلامي، دراسة تحليلية، ط١، العتبة الحسينية، كربلاء ٢٠١٢م.
٩٨-نعمة، حسن، موسوعة الأديان السماوية والوضعية، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ط١، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م.
٩٩-نعيمة، ميخائيل، الغربال، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦م.
١٠٠-النعيمي، أحمد إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.
١٠١-النهشلي، عبد الكريم، اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق د. محمود شاكر القطان، دار المعارف مصر، ١٩٨٣م.

١٠٢-النوري بديع الزمان، سعيد، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار النيل، القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٠٣-الهذليون، الديوان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢.
١٠٤-الهلالي، حميد بن ثور، ديوان حُميد بن ثور الهلالي، صنعة عبدالعزيز الميمني، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ.ق- ١٩٥١م.
١٠٥-وجبور، حتي، تاريخ العرب - مطول، دار الكشاف (د.ت)، ج١،
١٠٦-ول، وايزيل ديورانت، قصة الحضارة (نشأة الحضارة في الشرق الأدنى)، تقديم محي الدين صابر، ترجمة نجيب محمود، دار الجيل، بيروت/ تونس ١٩٨٨م، ج٢.

المصادر الانجليزية

1- Lang, Voyages.P.87, wesleyen, Journals of Two Expeditions of Discoverying N.W. and W.Australia,
2- Robertson Smith. Kinship and Marriage in Early Arabia Religion of the Semits, 2nd. Ed. London, 1894, P.35.

الرسائل الجامعية:

١- صالح، حليمة خالد رشيد، الجنّ في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية مقدمة لجامعة النجاح الوطنية بنابلس في فلسطين، ٢٠٠٥م.
٢- محراث، كاظم حمد، ما وراء الطبيعة رافدًا للنص الشعري العربي قبل الإسلام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٨٨م.
٣-ملحس، ثريا عبدالفتاح، أدب الروح عند العرب، رسالة ماجستير في الأدب مقدّمة إلى كلية الآداب في الجامعة الامريكية، أيار ١٩٥١م.

المقالات:

١- الأحمد، سامي سعيد، معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، مجلة المؤرخ العربي، بغداد ١٩٧٥م.
٢- البسيوني، محمد ابو المجد علي، اتجاه المعاصر في الشعر العربي القديم، الاتجاه الاسطوري، غرض

وتقويم، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، عدد٢، الكويت، ٢٠٠٢م.
٣- البسيوني، محمد أبو المجد علي، الإتجاه الأسطوري، عرض وتقويم، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، العدد ٢٠٢، الكويت، ٢٠٠٢م.
٤- الحوفي، أحمد محمد (المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول): شياطين الشعراء، مجلة الرسالة، العدد ٨٥٣، ١٩٤٩م.
٥- طباطبائي، احمد، ديو و جوهر أساطيري آن، مجلة كلية الآداب في تبريز (ايران)، السنة ١٦، العدد١، ١٣٤٣ش (١٩٦٤م).
٦- المعطاني، عبدالله سالم، قضايا الإبداع، قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي، مجلة فصول،م٤، عدد٢، ١٩٨٤م،

<u>المواقع:</u>

١ - اسلامبولي، سالم، مفهوم الجنّ في القرآن، موقع أهل القرآن:
٢ - حسين محمد حسين: مقال: المخلوقات الأسطورية: النشأة والمفهوم، موقع الوسط
٣- موجودات افسانه اي، هيولا، ديو و بري (باللغة الفارسية) (الموجودات الخيالية، المردة والعفاريت والملاك) http://arabic.bayynat.org.lb/HtmlSecondary.aspx?id=4671
4- http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6490
5- http://www.alwasatnews.com/news/600773.html
6- http://ashwood.ir/

Angles, Devils and Elf in Ignorance and Islamic Literature

Comparative Study between Ignorance Literature and Koranic Realities

ISLAM H. DABAGH

ihdi2000@gmail.com

Abstract:

This thesis is dealt with the subject of " Angles, Devils and Elf in Ignorance and Islamic Literature".

The importance of this thesis is to compare between ignorance (early Islam) literature about these metaphysical creatures which are brimful of legend, illusion, fiction and fantasm and also Islamic literature indicating Holy Quran and the realities was inserted in the Scripture. The standpoint of Arab to these metaphysical creatures is not irrelevant to the viewpoint and beliefs of around nations and ineffectiveness of their life environment. Ignorance (early Islam) poetry restated about these metaphysical creatures in different manners and drew a legendary image from them.

The innovation of the present thesis is that these three creatures have been studied together and from the viewpoint of ignorance and Islamic literature and in analytical-descriptive method.

As far as the author knows, such research has not been already conducted.

Keywords:

Quran, Devil, Elf, Pre-Islamic Literature, Islamic literature, Legend, Rituals and Beliefs.

"Angles, Devils and Elf in Ignorance and Islamic Literature

Comparative Study between Ignorance Literature and Koranic Realities"

Supervisor: Seyed Mohammad Reza Khezri, Ph.D

Advisor: Mohammad Ebrahim Khalifeh Shoushtari, Ph.D.

Written by: Islam H. Dabagh

Jan. 24, 2017